ماذا قيل يوما في أفغانستان؟

" جذوره وصداه فيما بعد "

تقرير عن أهم الأفكار الإسلامية التي قيلت في الساحة الأفغانية أيام الحرب السوفييتية وجذورها وامتداداها فيما بعد تلك الحرب

يوسف سمرين



ماذا قيل يومًا في أفغانستان؟

جذوره وصداه فيما بعد

تقرير عن أهم الأفكار الإسلامية التي قيلت في الساحة الأفغانية أيام الحرب السوفييتية وجذورها وامتدادها فيما بعد تلك الحرب.

يوسف محمد يوسف سمرين

تصميم الغلاف: المهدي الموغه



الفهرس

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلقد أرسل إليّ الأخ أحمد حازم المكنى بأبي أيوب المصري، صاحب كتاب **(تجلية الراية)** و كتاب **(مصارع الدول)** رابطًا لكتاب **(ماذا قيل يومًا في أفغانستان؟)**، فقرأته وأعجبني، وأرسلته إلى الأخ فتحي المسعودي المكنى بأبي الفضل التونسي، وكان ممن شارك معنا في أفغانستان، وسألته عن رأيه في الكتاب، فقال بأنه انبهر به، بل إنه قد تعجب كيف يمكن لشخص واحدٍ أن يصنعه، فهو مجهود ضخم، كعمل لمؤسسة بحثية أو معهد دراسات، فقلت له بأنه يمكن أن يصدر عن واحدٍ، وهو جهد طيب جدًا، ووصل إلى نتائج صحيحة مع أن صاحبه لم يكن مشاركًا في تلك الساحة.

أقول هذا وأنا مطلع على تلك الساحة، مشاركٌ فيها بنفسي من 1987 م، حتى شهر 9 لسنة 2001 م، وقد طلبتُ من الأخ فتحي مراسلة صاحب الكتاب، وتواصلنا، وطلب منّي المؤلف أن أكتب تقديمًا للكتاب، فكان هذا التقديم.

كتبه: محمد نجاح حسن السبعاوى

أبو مصعب رويتر

مقدمة النشرة الثانية

حين تم نشر هذا الكتاب للمرة الأولى تفاوتت ردود الأفعال عليه، ما بين محتدٍّ في رفضه، ومرحب به مادح له، وهو ما كنت أتوقعه قبل نشره، إلا أنّ ما لم أتوقعه أن يقع الكتاب في أيدي عددٍ ممن شارك في تلك الساحة ذلك الحين، ويسترعي اهتمامهم ويحرّك نهمتهم لقراءته، فقد طالعه غير واحد منهم محمد السبعاوي، وهو المكنى بأبي مصعب رويتر، الذي كان له مشاركة فعليّة في أفغانستان، لفترة طويلة من الزمن.

أول ما تحدثت معه وقد ذكر لي كنيته، تذكرت أن عصام البرقاوي المكنى بأبي محمد المقدسي ذكره في معرض حديثه عن أفغانستان، فكان مما قاله: **"الشيخ أبو مصعب المصري، الذي كان يشتهر آنذاك في بيشاور وفي أفغانستان بأبي مصعب رويتر، لأنه كان متخصصًا في فترة من الفترات في النشرة الصحفية التي كان مجموعة من شباب القاعدة يعملونها ويلخصونها عن الأخبار العالمية... فكان يقال له أبو مصعب رويتر لأنه كان من المشرفين على هذه النشرة "**[1].

أصيب أبو مصعب في شهر 12، من عام 1988، في منطقة خوست، في جبل يقال له: **(الجبل الأبيض)** وهو يحاول إنقاذ رجل يكنى بأبي الحسين الليبي، بعد أن علق في حقل ألغام، فحمله رويتر على ظهره لينفجر بهما لغم، فيفقد أبو مصعب إحدى ساقيه، وتتضرر الأخرى، مع إصابة في عينيه أما الليبي فأصيب بالعمى.

---

[1] انظر: ولكن كونوا ربّانيين حلقة 9، دقيقة: 12.

لم تتوقف مشاركته في أفغانستان على الجانب العملي فحسب حتى بعد إصابته، بل امتدت إلى الجانب الفكري أيضًا، فكتب تحت اسم مستعار وهو عبد الله الموحّد مع عبد الحميد السوري كتاب (**كشف شبهات المقاتلين تحت راية من أخل بأصل الدين**)، وهو الكتاب الذي رد عليه أبو قتادة الفلسطيني بكتاب حمل عنوان (**جؤنة المطيبين في بيان أخطاء رسالة كشف شبهات المقاتلين**) وقدّم له المقدسي، ثم رد على ردهما أبو مصعب وعبد الحميد برسالة أخرى (**التبيين والرد على افتراء صاحب جؤنة المطيبين**).

هذه المرة يصدر (**ماذا قيل يومًا في أفغانستان**) بعد أن قمت بتصحيح العديد من الأخطاء المطبعية فيه، وإضافة تقديم أبي مصعب للكتاب.

يوسف سمرين

الجمعة: 18 – 8 – 2017

مقدمة النشرة الأولى

عندما يجري الحديث في موضوع قد قيل فيه الكثير، يتصور البعض أن هذه ثرثرة لا فائدة منها، ويغفلون أن كثرة الحديث في موضوع ما، قد تكون حجابًا عن الحقائق فيه، فكل واحدٍ أدلى بدلوه، من زاوية نظره، بما يتفق مع مصلحته، وأمام جبال الخطابات تلك التي تلف الموضوع، تضحي الرؤية النافذة صعبة، فكيف إذا كان الموضوع من وزن ماذا قيل يومًا في أفغانستان؟

إن تلك الخطابات لا زالت فاعلة ومؤثرة إلى اليوم، وعلى كثرة ما قد قيل ما بين حقيقة وتاريخ بديل، فإن دراسة تلك المرحلة بما حوته من جوانب متعددة، وتلمّس جذورها وآثارها يشكل أرضية معرفية مهمّة لأي تحليل أو نقد لكثير من الجماعات الإسلامية، التي تشكل الخطابات التي قيلت يومًا في أفغانستان جانبًا أساسيًّا لفهم مفاصل تفكيرها.

يأتي هذا التقرير مساهمة في إعادة النظر فيما وصَلَنا عن تلك المرحلة، التي يجري الحديث عنها بين كل فترة وأختها، لإعادة سماع الأفكار التي قيلت في تلك الساحة، وعرض تطورها، وهي تُدفع إلى نتائجها المنطقية من قَبل الساحة الأفغانية وخلالها وما بعدها.

قد ينزعج البعض مما يرد في هذه الصفحات، وهذا متوقع كنتيجة لعرض أي نظرة نقدية لمرحلة مثل التي يجري الحديث عنها هنا، ولكن مراعاة الحقيقة قدر الإمكان خير من مراعاة المشاعر، ويجدر بالمثقفين الذين يرحبون بكتب نقدية تعرضت لقضايا خالفت الرأي العام في أمم أخرى، كما حصل لكتاب حنّا آرنت عن محاكمة آيخمان، أن يكونوا

الأحرص على الطرح النقدي الذي قد يلامس ما تعودوا على سماعه، وما قد نشأوا عليه في الصغر.

إن توزع المواقف بناءً على الذاتية ما بين محب ومبغض، يجعل كثيرًا من الناس يتعاملون مع من رأوهم كرموز لهم أو أعداء كأنهم يعرفونهم حق المعرفة، ويدركون تمامًا أبعاد مواقفهم دون الحاجة إلى قراءة كافية لهم، وقد تجد من يشرح لك مواقف واحدٍ من هؤلاء وأفكاره، دون أن يكون قد وصل إلى نصاب أولي يؤهله لفهم ما طرحه ذلك الشخص المعظّم عنده أو المكروه، كل هذا يؤكد على ضرورة إعادة الإصغاء إلى ما قيل يومًا في أفغانستان.

قد يستبق البعض أي نقد بقوله عمّن يراهم رموزًا له، بقوله:

"تعرض هؤلاء لتشويه الأعداء، وذلك الأمر معروف ومتوقع، ولكن الأمر الذي يبعث كوامن الألم في النفس، أن يأتي مثل هذا التشويه من بعض المسلمين، حيث يلقون بالتهم والأقوال جزافًا، دون تحقيق أو تمحيص"[2].

فيقال: بأن قيمة النقد الحقيقي تكون بمقدار ارتباطه بالتحقيق والتمحيص، ومتى كان موثقًا، فلا يكون ذلك تشويهًا أصلًا إلا للصورة الزائفة في ذهن المرء، ومن هنا سيجد القارئ كثافة في الاقتباسات لضرورة التوثيق، وإسماعه ماذا قيل هناك، ليشارك هو أيضًا في التحليل والنقد.

[2] بلادنا والتميز مقالات نثرية، عبد الرحمن بن صالح العشماوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 2، 2003 م، ص 169.

لقد احتد حذيفة عبد الله عزّام مرارًا، على من وصفهم بأنهم يستغلون اسم أبيه، حيث وصف أولئك الذي يستغلونه بالتكفيريين[3]، وقد قال عوض القرني عن عبد الله عزّام: "**لم يكن في زمنه بذور التكفير والغلو**" وتحدث عن وجود قلة معزولة وافدة، كانت تكفر عزّام بحجة أنه يدافع عن الأنظمة الكافرة بنظرهم، إلى أن قال: "**الشيخ عبد الله عندما كان موجودًا كان سدًا منيعًا، لأنه طالب علم متميز، لما استشهد... انهار هذا السد، واجتاح هذا الفكر بشبهاته.**"[4]

فإلى أي درجة كانت هذه الكلمات وأمثالها دقيقة، تعكس إلى الأجيال القادمة صورة حقيقية عن تلك المرحلة؟ هذا ما ستحرص فصول هذا التقرير على إبرازه، مع التأكيد على أن التحليل والنقد لأي شخصية في هذا الكتاب ليس فيه أدنى حرص على التقليل من شأن دينها وعلاقتها بربها، فإذا كان الشافعي يقول: " **أما الثواب والعقاب فما لا أُسأل عنه، ولكن أُسأل عن أحكام الدنيا** "[5]، فكيف والحديث يجري هنا عن تقييم العديد من الأفكار ودراستها، ونقدها أحيانًا.

لقد كانت مادة هذا التقرير متنوعة، مع صعوبات كبيرة في ضبط الكثير من الشهادات والروايات لانحيازاها ومبالغاتها غالبًا، ومن هنا فقد كان الاعتماد على المقارنات لاعتماد ما يترجح صحته، وما يسمح به سياق الأحداث، كما أن هذا التقرير ليس تأريخًا لتلك

---

[3] انظر: (نجل عبد الله عزام: المجموعة التكفيرية اتصلت بي لاستغلال اسم والدي)، على موقف الرسالة. نت: http://alresalah.ps.

[4] على يوتيوب بعنوان: (مغامرات و ذكريات عوض القرني في الجهاد الأفغاني).

[5] الأم، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى: 1422 هـ – 2001 م، ج 9، ص 134.

المرحلة، بقدر ما هو محاولة لرصد المقالات وهي تتطور وإلى أين يمكن أن تفضي، إلا أن هذا كله لا يعني عدم التعرض للأحداث المرتبطة بأفكار معينة، أو صياغة أسطورة يفترض نقدها، وبالتالي فقد جرى ذكر العديد من الأحداث التاريخية بما يسمح به هذا الغرض، وفي الختام، سأكون سعيدًا بسماع أي نقد أو تصحيح لأمر فاتني..

يوسف سمرين

الجمعة: 14/ 7/ 2017

في البدء كان مكتب الخدمات، ومجلة (الجهاد)..

كان كمال السنانيري وهو ممن "يشغل مكانة رفيعة في سلّم القيادة في حركة الإخوان المسلمين، وهو مفرز من مكتب الإرشاد لقضية الجهاد الأفغاني"[6] كان ممن سُجنوا في مصر عام 1954 م، والتقى خلال سجنه بسيّد قطب، وتزوج أخته أمينة، سيلتقي هذا الرجل فيما بعد بعبد الله عزّام في الحرم بمكة[7]، ويقنعه بالذهاب لدعم الجهاد الأفغاني[8].

عزّام الذي كان قد انتسب إلى (**الإخوان المسلمين**) وهو في الثانية عشرة من عمره[9]، سيمتثل لكلام السنانيري ويسافر إلى باكستان ويؤسس: (**مكتب خدمات المجاهدين**) مع عدد من الأشخاص، من بينهم أسامة بن لادن[10] الذي كان هو الآخر من جماعة الإخوان حتى قدومه لاهور- باكستان[11] وسيتكفل بالنفقة على المكتب[12]، وتميم العدناني[13] الذي كان من الإخوان أيضًا وله علاقة قديمة مع مروان حديد[14] وسبق أن اعتقل في

---

[6] شيخي الذي عرفت، محمود سعيد عزام، سلسلة إصدارات إبداع، 2012 م، ص 38.

[7] انظر: البنيان المرصوص، العدد 30، ص 8.

[8] انظر: الجهاد، العدد 74، تحت عنوان: رجال وأحداث، ومجلة: البنيان المرصوص، العدد 4، ص 12.

[9] انظر: شيخي الذي عرفت، ص 146.

[10] انظر: ولادة الأفغان العرب – سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزام، عبد الله أنس، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2002 م، ص 33.

[11] انظر: شهادة الظواهري في مقطع يوتيوب بعنوان: «بن لادن» كان إخوانيًا ولكن الجماعة طردته.

[12] انظر: موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الشهيد عبد الله عزام، مركز الشهيد عزام الإعلامي، بيشاور – باكستان، الطبعة الأولى: 1997 م، ج 1، ص 1012.

[13] انظر: الذخائر، ج 2، ص 579.

[14] انظر: الذخائر، ج 2، ص 574.

سورية بتهمة الانتماء إلى الجماعة [15]، كان المكتب يضم أكثر من عشرين مؤسسة تحت قيادة عزّام [16]، **وهدفه المعلَن هو تنظيم مشاركة العرب في الجهاد الأفغاني**، حيث لا يريد عزّام أن يبقى العرب في المضافات الأفغانية، إذ إنها تتوزع على أحزاب متصارعة، **بل يريد أن يكون للعرب مواقع مستقلة**، ومن هنا سيشاركون جميع الأفغان، دون أن يدخلوا في أي نزاع حزبي بين الأفغان[17]، فقد كان العرب قبل مكتب الخدمات يذهبون مباشرة إلى الأحزاب الأفغانية ليقاتلوا معها، لكنَّ عزّام رأى بأن هذا سينقل الخلافات الأفغانية إلى العرب أنفسهم، وبالتالي فإن القادم إلى أفغانستان **"يجب أن يمر عبر مكتب الخدمات ليفهموا (الأفغان) أننا جئنا إلى داخل أفغانستان إلى جانب شعبهم برمّته، وليس إلى جانب حزب ضد آخر"**[18].

صاروا يستقبلون الوافد الجديد من مطار (**إسلام أباد**) ويقلّونه بسيارة خاصة إلى مكتب الخدمات، يهيئونه ليتأقلم مع الساحة هناك، ويرسلونه إلى **معسكرات تدريب روحية وعسكرية** [19]، قبل إرساله إلى جبهات القتال [20]، وكان للمكتب إضافة إلى هذا نشاطات إغاثية وفتح معاهد دينية ومدارس داخل أفغانستان [21].

---

[15] انظر: الذخائر، ج 2، ص 575.

[16] انظر: شيخي الذي عرفت، ص 42.

[17] انظر: ولادة الأفغان العرب، ص 33.

[18] ولادة الأفغان العرب، ص 34.

[19] انظر: ذكريات عربي أفغاني، أبو جعفر المصري القندهاري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى: 2002 م، ص 24.

[20] انظر: شاهد على الحدث، الطريق الشائك صفحات مطوية من الجهاد الأفغاني، سراج بن سعيد الزهراني، الطبعة الأولى: 2015 م، 60.

[21] انظر: ولادة الأفغان العرب، ص 34.

هذا المكتب أصدر مجلة شهرية باسم مجلة **(الجهاد)**، كان عزّام مؤسسها، وهو الكاتب الأكثر حضورًا فيها، سواء بمقالاته وفتاواه وإجرائه المقابلات أو بتحريره العديد من تقاريرها، بل قد يكتب مقالًا في عدد دون اسم، يتبين بعده أنه هو كاتبه [22]، أو يكتب بكنيته أحيانًا **"الدكتور أبو محمد"** [23]، ولعل هذا ليتوهم القارئ بوجود أكثر من دكتور غيره يكتب في المجلة، لقد كانت سطورها تحت إشرافه فقد كان رئيس مجلس إدارتها [24]، وصدرت عن **(دار الجهاد)** التي يترأس أيضًا مجلس إدارتها [25]، وبدأت تبث العديد من المواقف السياسية والشرعية، فما الذي حوته هذه المجلة؟

صدر أول عدد لمجلة الجهاد في ربيع الثاني: 1405 هـ، الموافق: 28 / 12 / 1984 م من بيشاور – باكستان، بعد عام على تأسيس عزّام لمكتب الخدمات، وكان عددها الأول باهتًا، وقد انفرد عزّام فيه بكتابة مقال عن الصبر، وأن التيه الذي أصاب بني إسرائيل في الصحراء كان من الحكمة فيه أن **"مات الجيل الذليل وجاء جيل عزيز في جو صحراء التيه"** [26]، تكوّن العدد الأول من 17 ورقة وقد تضمن أخبارًا عن المعارك هناك، ختمها بقصيدة حماسيّة لمؤلف لم يذكر اسمه وهي مستلّة من **(مجلة المجتمع)**[27]، وضع لها خانة باسم **(من شعر الجهاد)**، كانت بكلمات عادية.

---

[22] مثلًا مقاله في عدد 17، ص 30، كتب دون تسميته، ثم وضع اسمه على الجزء الثاني من المقال في العدد اللاحق، ص 31.

[23] الجهاد، العدد 36، ص 34، وانظر: البنيان المرصوص، العديد 30، ص 9.

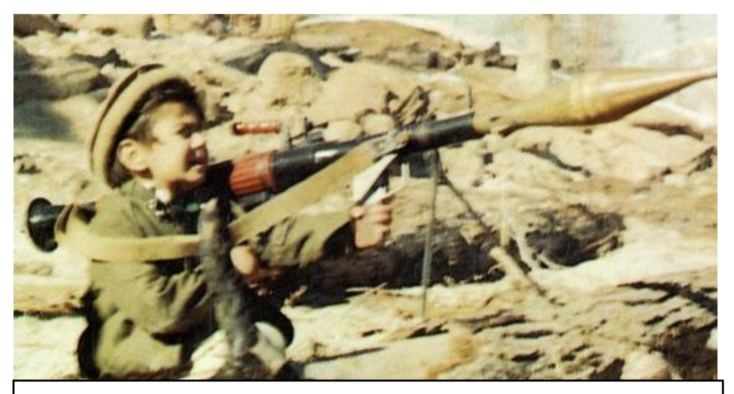
[24] انظر: الجهاد عدد 18، ص 38، ومجلة البنيان المرصوص، ج 28، ص 43.

[25] انظر: البنيان المرصوص، العدد 28، ص 42.

[26] الجهاد، دار الجهاد – بيشاور، العدد الأول: 1984 م، ص 1.

[27] وهي مجلة إسلامية أسبوعية، تصدر من الكويت، وكان لها اهتمام كبير بالقضية الأفغانية حينها.

في العدد الثاني تصدَّر العدد كلمة جاء فيها: " **فريضة الجهاد... لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم**" [28] وهي الفكرة التي سيركز عليها فيما بعد أيضًا، بعدم التحاكم إلى النتائج، فيقول: " **المسلم يعمل مهما كانت الظروف لأن عليه الأخذ بالأسباب، والنتائج بيد رب العالمين**" [29]، فيفصل العمل عن النتيجة، وقد تصدرت في العدد الثالث صورة طفل أفغاني يضع على كتفه قاذفة صواريخ سوفيتية الصنع، وهذه الصور ستتكرر لأطفال يحملون السلاح في أعداد لاحقة[30]، وقد علقت المجلة على صورة أطفال يلهون بقطع سلاح من نوع كلاشنكوف، بقولها:



صورة لطفل أفغاني مع قاذف صاروخي، نشرتها مجلة الجهاد التابعة لمكتب الخدمات .

"ولدوا في قلب المعركة، عاشوا المحنة ومسَّهم قرحُها، عمرهم أقل من عمر الجهاد إلا أنهم يصرّون على المضي في طريق العزة الذي غفل عنه كثير من المسلمين، فبالجهاد يحيون"[31].

[28] الجهاد، العدد 2، ص 1.

[29] الجهاد، العدد 22، ص 6.

[30] انظر على سبيل المثال، العدد 27 من المجلة.

[31] الجهاد، العدد 29، ص 24.

قال عزّام: "**مدى معركتنا الأرض كلها، ومدارها الزمن كله**"[32]، وقد نشرت المجلة مقابلة مع يوسف القرضاوي، أجاب فيها عندما سئل عن الوفاق الدولي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، بقوله:

"**هؤلاء الكفار يختلفون مع بعضهم، لكنهم في النهاية يتفقون علينا، ولذلك يجب أن يجتمع المؤمنون لمواجهة ذلك**"[33].

هذه الفكرة ستكرر في أعداد المجلة، فتحت عنوان: "**الحروب الصليبية مستمرة**"، قيل: "**يجب علينا أن نعي جيدًا عبارة (الكفر ملة واحدة)، فالإرهاب اليهودي، والحقد الصليبي – القديم الجديد – والهجمة الإلحادية الشيوعية والعداء الوثني اجتمع واتحد لمحاربة القرآن وأهله**"[34].

" **الشيوعية الإلحادية والصليبية الرأسمالية – برغم خلافهما الظاهري – على أتم الوفاق عندما يكون الإسلام هدفًا للتحطيم**"[35].

كتب المحرر في افتتاحية المجلة في عام 1987 تحت عنوان "**الغزو الأمريكي**":

---

[32] الجهاد، العدد 5، ص 7.

[33] الجهاد، العدد 5، ص 22.

[34] مجلة الجهاد، العدد 21، ص 30.

[35] مجلة الجهاد، العدد 21، ص 30.

" الوجود الأمريكي على الساحة الأفغانية لا يقل خطورة عن الوجود الروسي، بل ربما كان أكثر خطورة في كثير من الجوانب... تتظاهر أمريكا بمناصرتها القضية الأفغانية وتزعم أنها تؤيدها التأييد الكامل، وهي أول المتآمرين عليها وعلى المجاهدين."[36]

كان هذا الخطاب يضع الدول المختلفة في جبهة واحدة، ولو على المدى البعيد ولم يكن سرًا أن المجلة تطلع عليها الحكومات المختلفة، بل قد تطلب بشكل رسمي الاطلاع عليها كي تتم الموافقة على نشرها على أراضيها، وقد نشرت المجلة صورة خطاب من وزارة الإعلام السعودية تطلب تزويدها بثلاثة أعداد من المجلة لدراستها، وإخبار عزّام بموقفهم من نشرها[37].

وقد تمت الموافقة على نشر المجلة في المملكة العربية السعودية، وكانت هي أكثر الدول التي وُزعت فيها المجلة[38]، وبلغت بعض أعدادها 50 ألف نسخة، بصفحات ملونة، بتمويل من أسامة بن لادن[39].

وكانت توزع في دول كثيرة أيضًا منها الولايات المتحدة الأمريكية، وتجد إعلانًا فيها يقول:

"عنوان مكتب توزيع الجهاد في أمريكا مع الحساب البنكي "[40].

---

[36] الجهاد، العدد 28، ص 3.

[37] انظر: الجهاد، العدد 19، ص 22.

[38] انظر: البنيان المرصوص، العدد 28، ص 42.

[39] انظر: البنيان المرصوص، العدد 28، ص 43.

[40] الجهاد، عدد 13، ص 1.

أو " **نداء من مكاتب الجهاد في أمريكا، أخي المسلم في أنحاء العالم:**

تحية من إخوانك العاملين على خدمات المجاهدين... ونهيب بك أن تسارع إلى العمل بأحد الأمور التالية:

زيارة إخوانك الأفغان في ساحة الجهاد... تجهيز أو استخلاف غاز...أخي المسلم ولإيصال تبرعك اكتب الشيك باسم الدكتور عبد الله عزّام "[41].

وعزّام بنفسه كان "يصول ويجول في المملكة والخليج، **وكان يزور كل سنة أمريكا** لحضور المؤتمرات"[42]، ولتحريض المسلمين هناك على الجهاد في أفغانستان.

كلَّما تقدمت أعداد المجلة كلما زاد عدد صفحاتها وتطور أداؤها وارتفع عدد الكتّاب فيها، وفي العدد السابع وضعوا خانة فيها عدد من الأسئلة في "**ركن الفتوى**"، وكان المجيب هو عبد الله عزّام، ورد عليه سؤال:

"ما حكم الرجل يضع الحزام الناسف على بدنه متفجرات ثم يلقي بنفسه بين مجموعة كفار، أو دبابات فتنفجر به وبهم جميعا؟"

ليجيب: **"أجاز الفقهاء التضحية بالنفس من أجل نصرة الإسلام، ولا يعد هذا انتحارًا، هناك فرق بين الانتحار والتضحية بالنفس، فالانتحار: قتل للنفس هربًا من هموم الحياة**

---

[41] الجهاد، عدد 47، ص 3.

[42] ولادة الأفغان العرب، ص 36.

وآلامها، أما التضحية: فهي بذل النفس من أجل حماية دين الله ونصرة شريعته دون هم ولا غم."[43]

لقد كرر عزّام دائمًا بأنّ: **"صروح المجد لا تبنى إلا بالجماجم"** [44]، **"الدماء.. الأشلاء.. الأجساد.. الأرواح.. هي وقود المعركة.. وقود معركة المبادئ.. وقود معركة الأفكار"**[45]، سيكتب: **"نحن إرهابيون لأعداء الله "**[46]، وسيصدع في خطبة مسجلة له بالصوت والصورة بقوله:

"نحن إرهابيون والإرهاب فريضة في الكتاب والسنة، ليعلم الغرب والشرق أننا إرهابيون وأننا مرعبون "[47].

وكان الإعلان عن كتابه (**الدفاع عن أراضي المسلمين أهم الفروض الأعيان**) على رأس إعلانات المجلة، وأعلنت عن غيره من كتبه كـ (**عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر**)[48]، و (**في الجهاد آداب وأحكام**)[49]، و (**المنارة المفقودة**)[50]، و (**اِلحق بالقافلة**)،

---

[43] الجهاد، العدد 7، 37.

[44] الجهاد، العدد 16، ص 5.

[45] الذخائر، ج 3، ص 25.

[46] الجهاد، العدد 44، ص 3.

[47] انظر يوتيوب: الشيخ الشهيد عبد الله عزام رحمه الله نحن إرهابيون.

[48] الجهاد، العدد 26.

[49] الجهاد، العدد 29.

[50] الجهاد، العدد 34.

و(**جهاد شعب مسلم**)، و (**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**)[51]، و(**كلمات من خط النار الأول**)، و(**حماس: الجذور التاريخية والميثاق**)[52].

بالنسبة للحكومات العربية والإسلامية، فقد كان عزّام لا يحرص على إبراز مواقفه صريحة أمام بعض الشباب[53]، وذلك أن الساحة هناك فيها من كل الأقطار، واستخبارات الدول نشطة هناك في تلك الفترة، ولكنّ المجلة التي تصدر باسم مكتبه كانت تحوي مواقف واضحة، منذ أعدادها الأولى، لكنّها موزعة بين سطورها، وتزاحمها أخبار المعارك، ومقالات الرقائق وقصائد الجهاد، وقد بث بنفسه مواقفه في عدد من كتاباته بشكل صريح لا مداورة فيه.

فقد حوى العدد الثاني عشر (15 – أكتوبر، 1985 م) من المجلة مقالًا بعنوان: "**هجرتنا في الميزان، بقلم: عبد الرحمن السائح**"، جاء فيه:

"**هجرة الأمس واليوم قامتا في زمن خلت فيه الأرض من بقعة تدين لله وتحكم بشرعه، وتفشت الجاهلية، وانتفشت واستقوت على المؤمنين** "[54].

---

[51] ورد الإعلان عن هذه الكتب الثلاثة، في الجهاد العدد 48.

[52] الجهاد، العدد 58.

[53] انظر على سبيل المثال: ولادة الأفغان العرب، ص 36.

[54] الجهاد، العدد 12، ص 36.

الكاتب هذا سيكتب أحيانًا صفحات بعد عزّام مباشرة في ترتيب المجلة [55]، قال عزّام:

"ليكن واضحًا منذ الخطوة الأولى أن الذين يشرعون بغير ما أنزل الله هم كفار وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر"[56].

ويقول: " **إن هذا الجهاد لم يبدأ ضد الروس، بل بدأ ضد الحكام الأفغان أنفسهم**"[57].

لم يكن موقفه هذا حكرًا على الساحة الأفغانية فقد كان يرى أن الدول العربية والإسلامية **"لا تطبق المنهج الرباني فضلًا عن ارتباطها بالغرب، وتنفيذ سياسته في المنطقة... وأن هذه الأنظمة سلّمت فلسطين لليهود ومهدت لقيام دولة إسرائيل"**[58].

قال عزّام:

" من لم يحكم بما أنزل الله، أو تحاكم إلى غير شريعته، فهو كافر ليس في قلبه ذرة إسلام... وإذا كان هذا حكم الإسلام الذي عطلته ولا تزال تعطله الحكومات في البلاد الإسلامية، فإن كل ذي عقل يستطيع أن يدرك بسهولة مدى حظ هذه الحكومات من الإسلام وأن يقول غير متحرج أن هذه الحكومات تدعو المسلمين إلى الكفر وتحملهم عليه."[59]

كتب في 1985:

---

[55] انظر: الجهاد، العدد 14، ص 9 – 11.

[56] الجهاد، عدد 20، ص 5.

[57] الجهاد، عدد 20، ص 5.

[58] شيخي الذي عرفت، ص 111.

[59] الذخائر، ج 1، ص 37.

" أما باقي المسلمين في الأرض فالجهاد فرض عليهم في بلادهم ليقيموا شرع الله ويطردوا الكفار"[60].

كتب: **"آن لنا أن نسطر بماء الذهب كلمة حكمتيار عندما قال: سأحارب الحكومة التي تفرضها أمريكا كما حاربت روسيا"**[61].

وبعد انسحاب السوفييت من أفغانستان، قال عزّام:

" سألني أحدهم: لم القتال، وقد خرج الروس؟ فأجبت: خرج الملحدون، وجاء المرتدون "[62].

فموقف عزّام من الدول العربية أنها كافرة، وأن الجهاد فرض عين على المسلمين في بلادهم، وبعد انسحاب السوفييت لم ير أن الحرب هناك حرب أهلية مع الحكومة الأفغانية لا يفترض المشاركة فيها، بل رأى أنها بين أهل الإسلام والمرتدين.

إن:**" أفغانستان حلم المستقبل ونبضة الحياة.. الطريق إلى الخلافة الإسلامية من أفغانستان"**[63]، هكذا قالت زينب الغزالي على صفحات المجلّة، وقد كانت صفحاتها تتسع للعديد من المقالات المخاطبة للنساء، وليس فقط الأفغانيات بل المهاجرات إلى

---

[60] آيات الرحمن في جهاد الأفغان، عبد الله عزام، المجتمع – جدة، الطبعة الخامسة، 1985 م، ص 165.

[61] الجهاد، العدد 52، ص 7.

[62] الجهاد، العدد 62، ص 9.

[63] الجهاد، العدد 14، ص 38.

أفغانستان، نشرت المجلة على لسان إحداهن: "**نحن لا نريد أن نمنّ على الله تعالى بأن هاجرنا في سبيله وتركنا الأهل والأوطان والخلّان ونشارك أزواجنا الجهاد**" [64].

ويتحدث عزّام عن فاطمة وهي أم لستة أبناء تكنى بأم فيصل، من جدة من المملكة العربية السعودية، "**بلغت السبعين عامًا، تسافر مع ابنها إلى أرض الجهاد وترفض العودة**"[65].

إلا أنّ عزّام حرّم قدوم النساء **بدون محرم** إلى أفغانستان [66].

وبلغ الأمر بالمجلة إلى درجة أنها نشرت سلسلة مقالات لأبي بكر الجزائري كتب في عددها الثامن عشر (1986)، دعوة لغزو الاتحاد السوفييتي! فقال:

" لم لا نقاتل الروس حتى يجلوا عن بلاد الأفغان ثم نقاتلهم حتى يدخلوا في السلم بأي نوع من أنواعه، كالدخول في الإسلام أو إعطاء الجزية وقبول الحماية وما إلى ذلك، لم نخافهم أيها المسلمون والله معنا وليس معهم؟!"[67]

[64] الجهاد، العدد 16، ص 34.

[65] الجهاد العدد 36، ص 5.

[66] انظر: الجهاد، العدد 46، ص 45.

[67] الجهاد، العدد 18، ص 23.

ولم يغفل القائمون على المجلة عن وضع صورة توضيحية لفكرة غزو الاتحاد السوفييتي من أفغانستان.



وكأن معركة (**ستالينجراد**) كانت في دولة أخرى، ولم يضج العالم بأخبارها وهي التي تشكل بداية انكسار ألمانيا النازية بكافة ما حوته من تقنية صناعية عسكرية حديثة في وقتها، وهذا قبل امتلاك الاتحاد السوفييتي للسلاح النووي، ولكنّ المجلة حملت سطورًا مليئة بالثقة إلى حد المباهاة أحيانًا إلى درجة كبيرة في وقت يعاني منه الشعب الأفغاني من حرب، فضلًا عن كون أفغانستان بقعة من قَبل التاريخ الحديث من حيث الصناعة والتقنية والتعليم.

كتب عزّام بأن من القضايا الأساسية: **"نقل الجهاد من قتال قوم ضد روسيا إلى جهاد إسلامي عالمي، وأن الجهاد ينتقل إلى صراع شديد بين العقيدة الإسلامية والعقيدة الشيوعية، وعندها يصبح الكفاح بين الأمة المسلمة، وبين الأمة الشيوعية وحلف وارسو"**[68].

---

[68] الجهاد، العدد 34، ص 4.

سيفتي قائلًا: " **أما النساء الشيوعيات في أفغانستان فيجب قتلهن سواء اشتركن في الحرب أو الرأي أم لم يشتركن، سواء انفردن أو اختلطن، سواء كانت واحدة أو مجموعة لأنهن ذوات عقائد يكافحن ضد الإسلام ويؤذين الإسلام والمسلمين.**"[69]

ومع أن "الشعب الأفغاني متعصب للمذهب الحنفي، ولا يعرف شيئًا عن المذاهب الأخرى"[70] و"لا يقبلون خلافه بحال من الأحوال" [71]بل "**الدّين في ذهن الأفغاني متمثل في المذهب الحنفي** "[72]، وترتفع نسبة الأمية فيهم، وقد كان عزّام نفسه يوصي بمراعاة المذهب الحنفي هناك[73] فيقول:

" **مراعاة المذهب الحنفي من قِبل المجاهدين العرب أمر ضروري وشرط أساسي لنجاحهم**"[74]، إلا أن عزّام خالف المذهب هناك بهذه الفتوى، فقد "**ذهبت الحنفية إلى أن المرتدة لا تقتل**"[75]، على تسليم انطباق التكفير العيني للشيوعيات الأفغانيات، إلا أن سطوره اتسعت لكلامه هذا في تلك البيئة.

---

69 الجهاد، العدد 18، ص 31.

70 ولادة الأفغان العرب، ص 33.

71 شاهد على الحدث، ص 16.

72 الذخائر، ج 2، 727.

73 انظر: شيخي الذي عرفت، ص 52.

74 الذخائر، ج 2، ص 727.

75 الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، طباعة: ذات السلاسل – الكويت، الطبعة الثانية: 1406 هـ – 1986 م، ج 22، ص 195.

وقد نشرت المجلة تحت عنوان (**حكم الأسير الشيوعي الأفغاني**): "**كثير من الشيوعيين إذا أسرهم المجاهدون، وشعروا أنهم سيقتلون ينطقون بالشهادتين، ومع ذلك فإن المجاهدين يقتلونهم فاعترض بعض الناس على هذا الفعل**"[76].

فجاءت الفتيا لتسويغ هذا الفعل، باعتبار الأسير "**إما زنديق أو مرتد**"[77]، وقد امتدح في كتابه (**عبر وبصائر**) ذبحهم بالسكين، فيقول:

" **هذا عبد الصبور – شاب أفغاني في العشرينات – قال لي: لقد ذبحت بالسكين 29 نفرًا من الشيوعيين في وسط كابل، عدا من شاركت في قتلهم بالسلاح**"[78].

وتحدث عزّام عن "**بعض المراكز الشيوعية فيها جنود مكرهون يصلّون ويؤذنون**" [79]، فقال: " **يجب قتال هذه المراكز ولو قتل هؤلاء المسلمون المُكرهون**"[80].

لقد كانت الأسماء التي تنشر لها المجلة متنوعة، بعضها يظهر أن **الهدف منه عملي، أكثر من أهميته التنظيرية لها** منها: عبد العزيز بن باز [81]، وله مكانة كبيرة بين السلفيين عمومًا، ومكانة رسمية بشكل خاص في المملكة العربية السعودية، كذلك نشرت المجلة أيضًا لمفتي سلطة عمان، أحمد الخليلي وهو إباضي، له مكانة رسمية هناك [82]، واستضافت

---

[76] الجهاد، العدد: العدد 20،ص 34.

[77] الجهاد، العدد 20، ص 35.

[78] الذخائر، ج 1، ص 647.

[79] الجهاد، العدد 37، ص 34.

[80] الجهاد، العدد 37، ص 34.

[81] انظر: الجهاد، العدد 4، ص 25.

[82] انظر: الجهاد، 10، ص 35.

يوسف إسلام وهو بريطاني أسلم، كان اسمه كات ستيفنز قبل إسلامه وكان مغنيًا وكاتب أغاني، ثم أسلم وقد زارهم في (**أرض الرباط**)[83].

أما الأسماء الأبرز التي تحتل المكانة التنظيرية والفكرية في المجلة فكانت لمحسوبين على جماعة الإخوان المسلمين، كسعيد حوّى [84]، يوسف القرضاوي [85]، مروان حديد [86]، سيّد قطب [87]، زينب الغزالي، راشد الغنوشي[88]، كمال الهلباوي[89]، مصطفى مشهور[90]، حسن الترابي [91]، مصطفى السباعي[92]، وقد نشرت تعزية بوفاة مرشد الإخوان عمر التلمساني، بوصفه المرشد لا مرشدًا لجماعة الإخوان فحسب، وجاءت الصيغة باسم كل مجاهدي أفغانستان:

" المجاهدون في أفغانستان يتقدمون للأمة الإسلامية بصادق العزاء بوفاة المرشد الأستاذ عمر التلمساني الذي قدم للمسلمين عامة، وقضية أفغانستان خاصة غاية ما يستطيعه من

---

83 انظر: الجهاد، العدد 17، ص 20.

84 انظر: الجهاد، العدد 4، ص 26.

85 انظر: الجهاد، العدد 5، ص 20.

86 انظر: الجهاد، العدد 13، ص 17.

87 انظر: الجهاد، العدد 17، ص 35.

88 انظر: الجهاد، العدد 59، ص 32.

89 انظر: الجهاد، العدد: 61، ص 14.

90 انظر: الجهاد، العدد 62، ص 36.

91 انظر: الجهاد، العدد 37، ص 10.

92 انظر: الجهاد، العدد 10، ص 46.

جهود خيرة لنصرة المجاهدين، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء."[93]

عزّام نفسه بلغ به الولاء للإخوان، أنه لمّا سئل مرة ما هي عقيدتك؟ قال: "**عقيدتي، عقيدة الإخوان المسلمين**"[94].

ومن هنا سيجري تداول أفكار في دائرة عزّام المقرّبة حول إيجاد فئة مختلفة عن **حملة الكلاشنكوف من المتطوعين للقتال، ليكونوا أمراء ومستشارين** إلى جانب أمراء الولايات، ولا بد أن يكونوا من (**أبناء الحركة الإسلامية = أي الإخوان**)[95]، وهنا يأتي الهدف الباطني من مكتب الخدمات، فقد كان عبارة عن شبكة تحت قيادة عزّام، يريد بهم الإشراف على الجبهات ونشر جماعة الإخوان بينهم، ويكون أعضاء المكتب والمقربون منه من نوعية مختلفة عن "**حملة الكلاشنكوف**".

وقد تقدم عزّام بطلب رسمي إلى جماعة الإخوان المسلمين لكي يؤمنوا له 60 داعية على مستوى عالٍ من الكفاءة، ليكونوا حجر الأساس في الولايات الأفغانية، أي بمعدل اثنين من هؤلاء لكل ولاية من الولايات الأفغانية، كان هذا في عام: 1984 م[96].

وسيتكرر هذا الطرح منه في عام 1986 م، في جلسة جمعت بين عزّام وبعض أعضاء مكتب الإرشاد، من بينهم مصطفى مشهور.

---

[93] الجهاد، العدد 19، ص 29.

[94] شيخي الذي عرفت، ص 146.

[95] انظر: رحلتي مع الجهاد.. الحلقة التاسعة، دقيقة: 3.

[96] انظر: شيخي الذي عرفت، ص 149.

قال فيها عزّام:

" وفروا لي 60 داعية.... وأنا أضمن لكم بإذن الله، أن أحول لكم أفغانستان إلى إخوان مسلمين خلال سنتين" [97].

وكان ممن دفعت به الجماعة إلى أفغانستان (عبد المحسن شربي) ليكون (**مدير التعليم في أفغانستان**) من سنة 1986 إلى سنة 1993، أنشأ خلالها مدارس، ووضع لها خططًا تعليمية[98]، وكان كمال الهلباوي مسؤولًا عن القضية الأفغانية بتوجيه من مرشد الإخوان عمر التلمساني[99]، كان ثقل الإخوان يتوجه نحو الدعم التعليمي، والسياسي، والإغاثي، والفكري.

وكانت توجيهات عزّام تدور في هذا الفلك، فقال:

"لا تضيع وقتك سدى، وطالع الكتب الإسلامية خاصة رسائل البنا، وآل قطب، وسعيد حوى، ومصطفى مشهور، والقرضاوي، وفتحي يكن، والمودودي، ومحمد أبو فارس، وأحمد نوفل، ومحمد أحمد الراشد، وجاسم المهلهل "[100].

فلم يكن عزّام مجرّد مجمّع للمجاهدين العرب، بل كان يقوم: بـ**"غسل أدمغتهم بفكر الإخوان المسلمين، فوق أرض الجهاد"**[101]، وهذا ما أدركته استخبارات الدول المختلفة،

---

[97] شيخي الذي عرفت، ص 149.

[98] انظر يوتيوب: جهاد الإخوان في أفغانستان – الجزء الأول، دقيقة: 2، 3.

[99] انظر يوتيوب: شاهد على الإخوان – علاقة الإخوان بالأفغان و مشاركتهم في حرب أفغانستان، دقيقة: 2.

[100] الذخائر، ج 1، ص 861.

[101] شيخي الذي عرفت، ص 63.

وحاولت تكييف موقفها على هذا الأساس ولو على المدى البعيد، لقد "**أنفق المكتب 200 مليون دولار من المعونة القادمة من الشرق الأوسط، ومن الغرب، أساسًا أمريكا وبريطانيا، المكرسة للجهاد في أفغانستان، وغالبًا ما اعتمدت جهوده في مجال التجنيد على شبكة مكاتب الإخوان المسلمين** "[102].

وكان عزّام متشبعًا بنظرية المؤامرة، ويبث رؤيته عن خيوطها الكونية بحماس في المجلة على الحركة الإسلامية التي هي الإخوان المسلمون بنظره، فيقول:

" تم التمهيد لقيام دولة إسرائيل، بضرب الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين) في ديسمبر سنة 1948، ثم قتل حسن البنا في 12 فبراير سنة 1949، ثم عقد معاهدة رودس للاعتراف باليهود ككيان ودولة بعد مقتل البنا بيومين..... أسرع السفير الأمريكي جيفرسون كافري للاتصال بعبد الناصر سنة 1952 وشلة الضّباط الأحرار... وضرب الإخوان في أواخر 54، وفي 1955، لتتقدم إسرائيل سنة 1956 " [103].

فبهذه الصيغة يتحرك التاريخ عند عزّام، يتم ضرب المرشد أو جماعة الإخوان فهم السّد المنيع والحصن الحصين، وبعدها فقط تنفذ المخططات الكونية التي يراها على الإسلام والمسلمين.

---

[102] التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، مارك كورتيس، ترجمة: كمال السيّد، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية: 2014، ص 211.

[103] الجهاد، العدد 50، ص 2.

وفي الوقت الذي كان يمجد فيه قادة الجهاد الأفغاني بأنهم **"يصل السفير الأمريكي إلى أبوابهم ويطردونه "** [104]! كان متوقعًا أن يتجاهل هنا أن فيليب ايرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية في مصر راسل مؤسس جماعة الإخوان، واستجاب لذلك البنا، وزاره في بيته مع محمود عساف الذي سجل هذه الحكاية، وقال له البنا: **"لدينا معلومات كثيرة عن التنظيمات الشيوعية في مصر "** [105].

فقال ايرلاند: **" لقد طلبت مقابلتكم حيث خطرت لي فكرة، وهي لماذا لا يتم التعاون بيننا وبينكم في محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية؟ أنتم برجالكم ومعلوماتكم، ونحن بمعلوماتنا وأموالنا.**

قال الإمام: فكرة التعاون فكرة جيدة، غير أن الأموال لا محل لها، لأننا ندافع عن عقيدتنا.." [106]

فحسن البنا وافق على التعاون مع السفارة الأمريكية في مجال تقديم المعلومات، ويظهر إلى أي درجة كانوا يقدّرون قيمة المعلومات التي يمكنه أن يقدمها، بأنهم عرضوا عليه أموالًا لقاءها، الأمر الذي رفضه البنا، بمعنى أنه يقبل التعاون المجاني معهم ضد الشيوعية وهذا في العهد الملكي قبل ثورة 1952.

ولذا كان رأي الشيوعيين في الإخوان أنهم **"من أهم الأدوات في يد الإمبريالية"** [107].

---

[104] الذخائر، ج3، ص 212.

[105] مع الإمام الشهيد حسن البنا، محمود عساف، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1993، ص 12.

[106] مع الإمام الشهيد، ص 13.

[107] طرق تطور الدول المتحررة، ف. فيودروف، مطبوعات وكالة أنباء نوفوستي، موسكو 1971، ص 126.

ولم يكن البنا دائمًا يرفض الأموال بشدة! فقد سبق أن قَبِل منحة بمبلغ 500 جنيه من البارون دي بنوا مدير شركة قناة السويس وكانت مملوكة وقتها لبريطانيا، ووضعت في (**دار الإخوان المسلمين**) وسوّغ البنا هذا بقوله:

" هذا مالنا لا مال الخواجات، والقناة قناتنا، والبحر بحرنا، والأرض أرضنا، وهؤلاء غاصبون في غفلة من الزمن "[108].

وسيبدأ الموقف البريطاني السياسي يتجه نحو تمويل الجماعة عام 1942 م، وذلك باتفاق مع عثمان باشا رئيس الوزراء في مصر وقتها، وتم الاتفاق على تمويل الإخوان؛ بأن الأمر سيحتاج إلى **بعض المساعدات المالية من السفارة البريطانية**[109]، وتم الاتفاق على أن يُسمح للبنا بإصدار صحيفة، **ونشر مقالات تؤيد الديمقراطية**[110].

سيكتب البنا بشيء من المقارنة بين الصلاة وبين حسنات الديمقراطية، ومن ذلك أن الإمام في الصلاة قد يخطئ في التلاوة، **"فإذا انحرف أو أخطأ في تلاوة أو عمل كان للصبي الصغير وللرجل الكبير وللمرأة المصلية خلفه، كان لكل واحد من هؤلاء الحق كل الحق أن ينبهه إلى خطئه وأن يرده، إلى الصواب في أثناء الصلاة وكان على الإمام كائنًا من كان أن ينزل على هذا الإرشاد وأن يعدل عن خطئه إلى الحق والصواب، وليس في الديمقراطية أروع من هذه الحسنات"**[111].

---

[108] مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، مكتبة آفاق، الكويت، الطبعة الأولى: 2012 م، ص 109.

[109] التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 61 – 62.

[110] انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا، ص 62.

[111] رسائل حسن البنا، رسالة: اتجاه النهضة الجديدة في العالم الإسلامي، نسخة إلكترونية، ص 739.

وسيلقي محاضرة في مقر جمعية الشبان المسلمين سنة 1948، بعنوان: (**الديمقراطية الإسلامية)** [112].

وما يتحدث عنه عزّام عام 1948، يقول في وصفه عساف: "**اعتقالات الإخوان في ديسمبر 1948، والتحقيق مع بعض أعضاء النظام الخاص**"[113]، فهناك تنظيم مسلح في الدولة، " **أنشئ النظام الخاص في عام 1940، تحت شعار أن الحق لا بد وأن تحميه قوة**"[114]، وعزّام نفسه وصف هذا النظام بأنه "**جهاز عسكري لمواجهة اليهود وأعداء الحركة** "[115]، فالنظام الحاكم خشي منه، ولذا تمت ملاحقتهم فترتها، هذا التنظيم نفسه هو الذي سيقلق مؤسسه البنا، فكيف بالدولة؟

على أي حال قام هذا النظام بقتل الخازندار وكيل محكمة استئناف القاهرة سنة 1948، وقد انزعج البنا نفسه من المسؤول في النظام الخاص بعد هذا الاغتيال، فقد فهم عبد الرحمن السندي أن البنا يأذن له بقتل الخازندار، الأمر الذي نفاه البنا، ثم قال له البنا: " **إن كان قتلك للخازندار قد تم بحسن نية فإن علينا الدية**. ولكن الحكومة دفعت تعويضًا كبيرًا لأسرة الخازندار، **فأسقطت الدية عن الإخوان**."! [116]

---

112 انظر: الإسلام والديمقراطية، فهمي هويدي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى: 1993 م، ص 124.

113 مع الإمام الشهيد، ص 28.

114 مع الإمام الشهيد، ص 137.

115 مجلة الجهاد، العدد: 60، ص 9.

116 مع الإمام الشهيد، ص 148.

ثم قتل أعضاء في النظام الخاص رئيس الوزراء المصري محمود النقراشي في 1948، وخرج البنا بعد أن فقد السيطرة عليهم ببيان يقول فيه: **"ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين. وكان قتل النقراشي سببًا في اغتيال حسن البنا"**[117].

التنظيم الخاص سينفلت من عقاله، وسيظهر هذا جليًا بعد مقتل البنا، فسيتهم بتصفية داخلية لأحد عناصر الجماعة، فقد اتهم عددٌ كبير من أعضاء الجماعة مسؤول النظام الخاص عبد الرحمن السندي بقتل سيّد فايز أحد عناصر الإخوان[118].

كل هذا يتجاهله عزّام، ليجعل الحكاية فصولًا من مؤامرة كبرى للوصول إلى اتفاق الهدنة بين العرب وإسرائيل 1949، الاتفاق الذي يصفه بقوله: **"عقد معاهدة رودس للاعتراف باليهود ككيان ودولة "**، مع أن هذه الاتفاقية **"لم تكن إلا نوعًا من الهدنة المسلحة"** [119]، وقد نصت كل الاتفاقيات على البند التالي: **"شروط هذه الاتفاقية أملتها فقط اعتبارات عسكرية، وليست سياسية."**[120]

وبالتالي: " إن اتفاقيات الهدنة التي وقعت بين الدول العربية والسلطات الإسرائيلية **ليست معاهدات سلام**، وإنما هي مجرد **اتفاقيات كان الهدف منها وقف القتال."**[121]

---

[117] مع الإمام الشهيد، ص 166.

[118] انظر: التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مذكرات علي عشماوي، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، ص 101.

[119] اتفاقية رودس بين العرب وإسرائيل 1949، محمد متولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م، ص 5.

[120] المصدر السابق: ص 39.

[121] المصدر السابق: ص 41.

لكن هذه عينة تفصح عن طريقة تناوله للتاريخ بأنه مجرد مؤامرة كبرى على **(الحركة الإسلامية)**، وشيء من قراءته للاتفاقيات السياسية، مما سينعكس على من بعده.

لقد كان من مصادر قراءة عزّام للمؤامرة كتاب **(بروتوكولات حكماء صهيون)**[122] الذي لم يكن في حقيقته سوى دعاية للقيصرية الروسية، تم اللعب فيه على جانب التعصب القومي/ الديني في روسيا حينها؛ لوصم الثورة على القيصر بأنها يهودية ومنحلّة، دون أي سند تاريخي حقيقي للكتاب.

وكان يرى أن الإعلام الغربي الذي تتزعمه أمريكا وتحركه أيدي اليهود[123]، هو الذي يبث أخبار الاقتتال بين الفصائل هناك، وحذر من تتبع عورات المجاهدين [124]، فإذاعة أخبار السوء عن الجهاد والمجاهدين ونشر سلبياتهم اتباع للشيطان[125]، وهذا ما سيجعله يصوغ أسطورة حولهم تتجاهل الوقائع، وبالتالي يرفع سقف توقعات المصغي بثقة إلى دعايته، فعلى سبيل المثال كتب عزّام في **يوليو 1986**:

" حاولت أمريكا أن تسبر غور الجهاد وأبعاده الإسلامية، فأرسلت الرئيس الأمريكي السابق نيكسون لزيارة مخيمات المهاجرين والحدود وزار مخيم ناصر باغ وتقدم نيكسون

[122] انظر الجهاد، العدد: 61، ص 7.

[123] انظر: الجهاد، العدد 62، ص 6.

[124] انظر: الجهاد، العدد 62، ص 9.

[125] الجهاد، العدد: 22، ص 6.

ليسلم على شيخ بلغ من العمر عتيًّا... وإذا بالشيخ يقبض يده، قائلًا: أنت مشرك نجس، لا أسلم عليك "[126].

وظل يكرر هذه القصة حتى قبل مقتله بشهر، وهو يقول بأن ذلك الشيخ قال: **"هذا كافر وأنا لا أصافح كافرًا"**[127].

وكأنه يستلهم بهذا كلام حسن البنا القائل: **"سنخرج للشعب فتاوى ابن حزم المخبوءة في بطون الكتب، من أن العدو المشرك نجس، لا يجوز مسه، ولا التعامل معه"** [128].

هذا الموقف لذلك الشيخ المسن ينشره عزّام بلغة خطابية مختالة، مع أن الولايات المتحدة لم تكن بحاجة لكي تسبر غور الجهاد إلى ذلك الموقف، فقد تجاهل عزّام ما حصل في عام: 1985، حيث إن " **هيئة من المجاهدين برئاسة قلب الدين حكمتيار، طلبت في نيويورك اللقاء بالرئيس الأمريكي رونالد ريغان، الذي رفض اللقاء بها** "[129].

ولكن حكمتيار قلب هذا الأمر تمامًا و**"ظل يعلن بمناسبة وبدون مناسبة عن رفضه اللقاء بالرئيس الأمريكي رونالد ريغان** " [130]، الأمر الذي سيتابعه عليه عزّام، ليقول:

---

[126] الجهاد، العدد 20، ص 6.

[127] مجلة المجتمع، العدد: 944، ص 14.

[128] التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1992 م، ص 54.

[129] ولادة الأفغان، ص 137.

[130] معارك البوابة الصخرية، مصطفى حامد، ص 20.

" لقد رفض حكمتيار أن يقابل ريغان وفي داخل أمريكا "! [131]، بل لقد تطور هذا الخبر فكتب: **"طلب ريغان بنفسه مقابلة حكمتيار ورفض، فأرسل له رسالة مع ابنته مورين ريغان، فرض مقابلته، ودعي من الكونجرس ورفض مقابلته "!** [132].

ويتطور الأمر أكثر: **" حكمتيار أحدى عشرة ساعة في نيويورك، والسفير الباكستاني يريد أن يقنعه أن يلتقي ريغان، قال: لن ألتقي ريغان "[133]!**

هذا الملحمية في الصمود التي يصوغها عزّام، ستتبخر صورتها بعد بث صور وفد المجاهدين الذي التقى مع ريغان في البيت الأبيض عام: 1986، ويتولى عزّام سياسة التسويغ لها، والتماس البطولات منها أيضًا.

كانت أخباره على هذا المنوال عديدة، مثل قوله في عام: 1987:

" أمريكا ليس لها دور لا في الحرب ولا في السلاح، وإنما هي مساعدات صحية وغذائية للمهاجرين، ومع ذلك رفضها كثير من قادة الجهاد رغم حاجتهم الماسة لها "[134].

[131] الذخائر العظام، ج 1، ص 710.

[132] الذخائر، ج 1، ص 853.

[133] الذخائر، ج 3، ص 571.

[134] الذخائر، ج 2، ص 69.

في حين أن صواريخ ستينغر بدأت في الوصول إلى المجاهدين في 1986، وقد ورد في تقرير أمريكي لهيئة الأركان المشتركة " **أن صاروخ ستنجر قد غيّر مسار الحرب؛ لم تعد طائرات الهليكوبتر الحربية، وقاذفات القنابل قادرة على العمل كعهدها السابق** "[135]،

صورة لمجموعة من المجاهدين الأفغان مجهولي الهوية مع قاذفة صواريخ ستينغر أمريكية الصنع، على الطريق أثناء معركة جلال أباد، أفغانستان، 8 مارس / آذار 1989. (تصوير روبرت نيكلسبرغ / جيتي إيماجيس).

وكان أحد الأسباب التي دفعت السوفييت إلى الانسحاب ففي " **اجتماع المكتب السياسي في 13 تشرين الثاني / نوفمبر 1986 قرر غورباتشوف إنهاء الحرب خلال سنة أو اثنتين على أقصى تقدير** "[136].

إن التهيب من النقد باعتبار أنه تتبع عورات المجاهدين، وطعن في الجهاد ونحو هذا سينعكس على عموم المجلة، وتحت عنوان نادر فيها (**في النقد الذاتي**)، كتب نور الدين في المجلة:

---

[135] صراع الحلفاء السعودية والولايات المتحدة منذ 1962، نايف بن حثلين، ترجمة: أحمد مغربي، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2013 م، ص 169.

[136] صراع الحلفاء السعودية والولايات المتحدة منذ 1962، ص 170.

"إن حركات التصويب وأبواب النقد الذاتي ضرورة ملحة، لتصحيح المسار، وإعادة الركب إلى الجادة"[137]، إلا أنه بقي في الكلام الإنشائي العام، ولم يتحدث عن خطأ واحد بعينه في الساحة الأفغانية!

إنها وصية عزّام تلقي بظلالها هنا:

" لا بد أن تعتبر نفسك جنديًا، وإياك أن تفرض نفسك ناقدًا" [138]!

أما عن النظرة لقضية فلسطين، فقد تحدث عزّام باكرًا في المجلة أن المجاهدين هناك " **شعارهم من كابل إلى فلسطين"** [139]، وقد جرى بينه وبين حكمتيار حديث، فقال له حكمتيار كما ينقل عنه عزّام: **" نشترك معًا في بناء أفغانستان المسلمة بدولتها الإسلامية ثم نمضي معًا إلى فلسطين "**[140].

هذه النظرة كانت منتشرة بين المقاتلين العرب أيضًا في أفغانستان، قال أحد المقاتلين العرب هناك:

" علينا أن نفتح (كابل) أولًا ونقيم دولة الإسلام في أفغانستان، ثم يفتح الله لنا العراق وسوريا والأردن ولبنان، ثم بعد ذلك نحارب اليهود "[141].

---

137 الجهاد، العدد 37، ص 29.

138 الذخائر العظام، ج1، ص 722.

139 الجهاد، العدد 7، ص 6.

140 الجهاد، العدد: 52، ص 1.

141 ذكريات عربي أفغاني، ص 150.

وقد عبر عزّام عن موقفٍ متباهٍ جدًا واعتداد كبير بما أنجزه على أرض أفغانستان، حين قال: **" تجاوز الجهاد عنق الزجاجة وتعدى مرحلة الخطر، وأفلت من قبضة القوى الدولية كلها"**[142]! وهذا ما يتماهى مع لغة المجلة بشكل عام في تلك الفترة التي كتب بها هذه السطور، فقد رفعت المجلة سقف توجيه القرّاء نحو اعتبار الولايات المتحدة كروسيا، فقد جاء فيها: **" حكمتيار: أمريكا تريد أن تحل محل روسيا في أفغانستان "**[143]، وفي لقاء مع مصطفى مشهور نائب مرشد الإخوان في ديسمبر 1989، صرح للمجلة:

" إننا ننظر إلى أمريكا على أنها عدو، وربما تكون أسوأ من روسيا "[144].

ومع هذا التصعيد في اللهجة ستعلن المجلة في 13 / 10 / 1989 خبرًا عن إبطال عبوة ناسفة في مسجد الشهيد الأحمدي – بيشاور، تحت المنبر الخشبي الذي يخطب عليه عزّام[145].

قبل أشهر قليلة من اغتياله، كتب عزّام:

" أعداء الله وعلى رأسهم الأمريكان.... يودون أن يكون صنعاؤهم هم قادة الجهاد والسادة، ولكنهم في المقابل يدركون أن ثقل المعركة وإدارة دفتها بأيدي هؤلاء الصادقين... فكلّما فكروا في اغتيالهم خافوا على الجهاد أن يتوقف أو يتزعزع، وعندها

[142] الجهاد، العدد 52، ص 5.

[143] الجهاد، العدد 61، ص 11.

[144] الجهاد، العدد 62، ص 38.

[145] انظر: الجهاد، العدد 61، ص 13.

يضرب الروس بجذورهم في أعماق أرض أفغانستان، على مقربة من الخليج والبترول العربي وباكستان.

أما الآن وقد خرج الروس فلا بأس باغتيال الأصوليين المتطرفين من أبناء الحركة الإسلامية والعلماء المخلصين "[146]، وكأنه بهذا ينعى نفسه، ويشير إلى قاتله.

وكانت باكستان تتذمر من بعد خروج السوفييت، **"فأسلحة الكلاشنكوف، ومدافع الهاون والصواريخ، والصواريخ المحمولة على الكتف وغيرها من الأسلحة المتطورة وجدت طريقها إلى سوق الأسلحة في الباكستان، وسرعان ما امتلأت الباكستان بالأسلحة القاتلة، التي ما زالت في يد الأفراد حتى يومنا هذا "**[147]، فلم يكن في مصلحة باكستان وجود زعيم ديني له ذلك التأثير الكبير على المسلحين والمقاتلين ويقيم في بيشاور، كتب مصطفى حامد: **" ظهر من اغتيال الدكتور عبد الله عزّام تواطؤ السلطات الباكستانية "** [148].

وبعد اغتيال عزّام ستستمر المجلة بالصدور، و توسعت تغطيتها لمناطق غير أفغانستان، كامتداد لمشروع عزّام لجهاد عالمي، من بين تلك العناوين التي نشرتها: **(كشمير تستلم**

---

[146] الذخائر، ج 2، ص 259.

[147] انظر: على خط النار، مذكرات الرئيس الباكستان برويز مشرف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص 215.

[148] المطار 90، مصطفى حامد، ص 4.

الراية بعد أفغانستان) [149]، سيغطون أخبار **"مجاهدي الجزائر "** [150]، أريتيريا [151]، كردستان [152]، الفلبين [153]، البوسنة والهرسك [154]، فلسطين [155]، بورما [156]، وغيرها، وسيطورون زاوية الأطفال في المجلة الذين يسمونهم **(أشبالًا)** في عرفهم الحركي، ليصبح لهم زاوية بعنوان **(كيف تكون شبلًا مجاهدًا)**[157]، و **(استراحة الأشبال)** [158]، وسيكررون حديثهم عن أمريكا، قال حكمتيار:

" بعد تحطيم القوة السوفييتية على أيدي المجاهدين، أصبح التآمر الأمريكي بشكل واضح وخفي أكبر عائق أمام المجاهدين "[159].

لقد رأوا بأن **"سقوط الشيوعية بشرى بانهيار الحضارة الغربية كلها "**[160].

---

149 الجهاد، العدد: 91، ص 95.

150 الجهاد، العدد 109، ص 40.

151 انظر: الجهاد، العدد 106، ص 6.

152 انظر: الجهاد العدد 106، ص 9.

153 انظر: الجهاد، العدد، 106، ص 23.

154 انظر: الجهاد، العدد: 94، ص 8.

155 انظر: الجهاد، العدد: 93، ص 9.

156 انظر: الجهاد، العدد: 89، 52.

157 الجهاد، العدد 87، ص 32.

158 الجهاد: العدد 84، ص 33.

159 الجهاد، العدد: 83، ص 20.

160 الجهاد، العدد 87، ص 45.

الجهاد الأفغاني: بين الأسطورة والواقع.

كتب عبد الله عزّام في 1984 [161]:

" كنت أحتار أن أجد تفسيرًا في الجيوش الإسلامية التي كانت تجوب الأرض أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دون رواتب من الدولة، فوجدت مليون أفغاني مجاهد لا يستلم الواحد منهم روبية واحدة "[162].

في الواقع لقد بدأت أجهزة الاستخبارات الأمريكية بمساعدة (المجاهدين) في أفغانستان **قبل 6 أشهر من التدخل السوفييتي،** ففي 3 يوليو وقع الرئيس كارتر التوجيه الأول للمساعدات السرية لمعارضي النظام الموالي للسوفيت في كابول [163]، كذلك **"المعونة السرية البريطانية للمقاومة الأفغانية كانت بدأت تتدفق حتى قبل الغزو السوفييتي "**[164]، وبالتدريج بدأت الأموال تتدفق على أفغانستان لدعم الجهاد الأفغاني حتى صارت كالسيل الجارف [165]، ويظهر أن عزّام لم يسعفه الوقت لتفقد المليون مجاهد المذكورين جيدًا! فقد عرض في تقرير مدير (السي.آي.إيه.) عام 1984 م، إلى الرئيس ريغان

---

[161] انظر: الذخائر، ج 1، ص 235.

[162] الذخائر العظام، ج 1، ص 238.

[163] انظر مقال: Sleeping With the Devil: How U.S. and Saudi Backing of Al Qaeda Led to 9/11، على موقع: http://www.globalresearch.ca.

[164] التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 200.

[165] انظر: شاهد على الحدث، ص 24.

ومجلس الأمن القومي الأمريكي أن الأموال التي اقتطعت من الأمريكيين الخاضعين للضرائب **200 مليون دولار، إضافة إلى 200 مليون دولار** من السعودية [166]، ثم جاءت موجة تمويل ضخمة في أكتوبر 1984 إلى درجة التهديد بإحداث تغيير في طبيعة عمليات (السي.آي.إيه.) السرية في أفغانستان.

وصل الدعم الأمريكي للمجاهدين هناك عام 1985 م إلى **250 مليون دولار** [167]، وقد "خصص الكونغرس سرًا **470 مليون دولار** أمريكي للعمليات السرية الأفغانية في السنة المالية 1986 م، ثم رفع المبلغ إلى **630 مليون دولار** في السنة المالية 1987 م، من دون احتساب المبالغ المماثلة التي قدمتها السعودية "[168]، مما أوجد دوائر عديدة منتفعة تعمل على الاستفادة قدر الطاقة من الدعم الوافد حيث يجري الحديث هنا عن أعداد تصل إلى 200 ألف مقاتل على الأرض من المجاهدين عام 1987 [169] على أقل تقدير [170].

عزّام نفسه كان يتجمع بيديه مبالغ مهولة، فالأموال كانت أحيانًا توضع باسمه شخصيًا، مما يفسر جانبًا من تأثيره على الفصائل الأفغانية المتنوعة، كونه أحد المراكز الرئيسية التي يتوزع الدعم من خلاله عليها، كما أن الحالة الفردية هذه في توزيع الأموال أوجدت

---

[166] انظر: حروب الأشباح، السجل الخفي: السي أي إيه، لأفغانستان، وبن لادن، ستيف كول، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، ص 137.

[167] انظر: حروب الأشباح، ص 154.

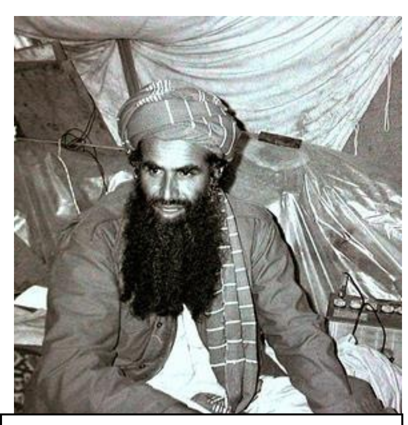
[168] حروب الأشباح، ص 224.

[169] انظر: مجلة المجاهدون، العدد 3، ص 6.

[170] بعض التقديرات تشير إلى 250 ألف من الأفغان فحسب، غير المتطوعين من غير الأفغان، انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 210.

غياب رقابة لمؤسسة عليها، واعتمدت على ورع الأفراد وتقواهم في إيصال الأموال لعموم الشعب الأفغاني، ولكون الأمر بهذه الصورة يصعب العثور على وثائق واضحة تبين أين كانت تذهب الأموال بدقة، في حين كانت تشاع أخبار عن اختلاسات لأموال، كان آخرون يعتبرون أن تلك الأخبار مجرد تمويه لدعم مدروس لجماعة إسلامية أخرى في العالم، كدعم عزّام لحركة حماس [171].

إن عبد الرسول سيّاف وهو اسمه الحقيقي سيقترح عليه أبو مازن – وسيأتي الحديث عنه– تغيير اسمه إلى عبد رب الرسول سيّاف [172]، وذلك ليجري قبوله في المملكة العربية التي ينتشر الحديث فيها عن التوحيد وأهميته مما قد يخدش من تأثير اسمه في القبول العام له هناك، سيتلقى سيّاف مئات ملايين الدولارات المقدّمة على شكل مساعدات وأسلحة [173]، بوصفه أمير المجاهدين الأفغان! [174]، في حين أنه مجرد أمير لما يسمى: **الاتحاد الإسلامي للمجاهدين** وهو اسم لعدد من الفصائل اجتمعت تحت إمرته، هذا الاتحاد كان ضعيفًا على الأرض، ولو انتشر خبر ضعفه الواقعي فإن الدعم المالي الموجه إليه سيقل على حسب حجمه الحقيقي في الواقع



صورة لعبد رب الرسول سيّاف فترة الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي.

[171] انظر: الطريق الشائك، ص 23، 24.

[172] حروب الأشباح، ص 129.

[173] انظر: حروب الأشباح، ص 804.

[174] انظر: ولادة الأفغان العرب، ص 30، و الطريق الشائك، ص 24.

الأفغاني، وكذلك كانت باقي الفصائل المختلفة، فلم يكن منها حرصٌ على نقل الصورة الواقعية لحجمهم وتأثيرهم على أرض الواقع، وهذا يبين جانبًا من دوافع المبالغة في إظهار الخسائر السوفييتية من كل فصيل، فكل فصيل معنيّ ببيان أنه قَتَل أكثر، وأنه موجود بشكل أكبر، وأنه أحق بحصص الدعم من غيره، ومن هنا كانت تنسج حول المعارك أساطير عديدة.

وهذا سيفرز معارضة لهؤلاء القادة، فما هو سلوك عبد الله عزّام مع تلك المعارضة؟

يعلق على واحدٍ كانت قد سبقت منه بيعة لعبد رب الرسول سيّاف – أي إنه لم يكن مواليًا للحكومة أو السوفييت – ثم اتهم هذا الرجل سيّافَ بسرقة الأموال واستغلال منصبه واسم الاتحاد، فعلّق عزّام: **" يرسل شقيق مساعده واسمه عبد الحق إلى لندن ليبث من إذاعة الكفر كل ليلة من بي.بي.سي اتهامات الاتحاد ورئيس الاتحاد "**[175].

وكأن عزّام لا يزور أمريكا كل سنة، ولا يستقبل الأموال منها، بل ولا يذهب ليحاضر فيها عن الجهاد بالزي الأفغاني[176]، ويقوم بتجنيد الشباب المسلمين في الولايات الأمريكية، وقد كان قادة المجاهدين أيضًا كبرهان الدين رباني يقابلون بي.بي.سي[177]، التي يسميها عزّام إذاعة الكفر!

---

[175] آيات الرحمن، ص 42.

[176] انظر على سبيل المثال على يوتيوب: (محاضرة مرئية للشيخ عبد الله عزّام رحمه الله سنة 1988 في أمريكا ولاية واشنطون مدينة سياتل).

[177] انظر نص مقابلة برهان الدين رباني للقناة، في مجلة المجاهدون، العدد 2، ص 13.

إنه يسل عليه سيف التشهير واللمز بالاحتماء بالغربي الكافر، لمجرد أنه اتهم سيّاف باختلاس الأموال، فكيف إذا علمنا أن **عزّام نفسه كان يقدّم سيّاف على أنه أمير المجاهدين** [178]، ولم تكن للرجل في الواقع سيطرة حقيقية في أفغانستان، وسيتلقى سيّاف أموالًا مهولة لا تتوافق مع التصور لحقيقة وجوده في ساحة أفغانستان، فأين ذهب بتلك الأموال، ولم يكن له ذلك العدد من المقاتلين!؟ أليس في هذا سؤال مشروع؟!

فكيف إذا علمنا أن سيّاف نفسه اتهم غيره بـ"أنه ينفق الأموال الطائلة على أسرته في حين يهلك أبناء المهاجرين جوعًا وعطشًا، ويقول: إن أولاده يدرسون في لندن، وبعض أهله يصطاف في إسلام أباد، وكل **ذلك بمال المساعدات المخصصة للمجاهدين**، ويؤكد ذلك أن مسؤولًا من الهلال الأحمر السعودي أخبره بأنهم حسبوا مصروفات هذا الزعيم فبلغت عشرة آلاف روبية لكل يوم."[179]

فها هو سيّاف يقول كلام الرجل السابق في غيره، فعلامَ إذًا الامتعاض من الأول لما تكلم عن سيّاف؟! ولكنّ سيّاف يقول هذا في غيره، ليفهم المتبرعون أنه الخط الإسلامي الأصيل في أفغانستان.

ويذكر عبد الله أنس – وهو من المتطوعين العرب هناك وقتها، وهو صهر عبد الله عزّام – أن الناس في الخارج كانوا يعتقدون أن سيّاف هو الرقم الأساسي في أفغانستان، ولكن ميدانيًا كانت حصة الأسد لحكمتيار ورباني وقد تحقق من هذا بنفسه ولا ينافسهما بقوة

---

[178] انظر: ولادة الأفغان العرب، ص 30، الذخائر، ج 2، ص 18.

[179] ذكريات لا تنسى مع المجاهدين والمهاجرين في باكستان، محمد المجذوب، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الأولى: 1984، ص 27، 28.

إلا الجماعة التقليدية حركة مولوي محمد نبي [180]، ولذا لمّا أعطاه عزّام شيئًا من الدعم وقام عبد الله أنس بتوزيعه بناءً على نسب الأحزاب على أرض الواقع غضب سيّاف، وقال: "لقد خدعك الحزب الإسلامي وأوهمك ألا نفوذ للاتحاد الإسلامي في مزار الشريف، فقلت له: لقد قمت بزيارات وبقيت عند قادتك ثلاثة أيام، والنسب التي حددتها ليست مبالغة، **غضب الشيخ سيّاف من ذلك** "[181].

لقد كان موقف عزّام ممن اتهم سيّاف بالاختلاس مجرد جزء من اعتبار نقد المجاهدين في العلن تخذيلًا لغيرهم عن الالتحاق بهم، وطعنًا في الجهاد " **فإذاعة أخبار السوء عن الجهاد والمجاهدين ونشر سلبياتهم اتباع للشيطان** " [182]، فيفترض أن يصمت المرء عن أي تجاوز، أو أن يظل الأمر داخليًا فحسب.

بعض الوافدين كان قد " تزوج من الباكستانيات أو الأفغانيات، والبعض الآخر أحضر أهله من بلده، ومنهم من يستأجر، ومنهم من يشتري له بيتًا ويعيش في باكستان آمنًا مطمئنًا، والرواتب والمصاريف على فاعلي الخير! "[183].

---

[180] انظر: رحلتي مع الجهاد.. الحلقة الثامنة، دقيقة: 27.

[181] ولادة الأفغان العرب، ص 41.

[182] الذخائر، ج 2، ص 53.

[183] الطريق الشائك، ص 22.

بعض فصائل المجاهدين كانت تأخذ حصتها العسكرية من الأسلحة وتقوم ببيعها إلى الباكستانيين، ثم تشتريها فصائل أفغانية أخرى بأموال الدعم الخارجي [184]، مما أشرك قطاعًا كبيرًا من الباكستانيين في الفائدة، من وجود الصراع في أفغانستان.

لم يكن الأمر حكرًا على الباكستانيين، فقد كانت كذلك مناطق الشيعة الأفغانيين فهي مدعومة من إيران، ويحاول السوفييت تجنيبها المعارك والتركيز على مناطق السنة، أما الحكومة الأفغانية الموالية لهم فكانت تقرّب بعض الرموز الأفغانية الشيعية، للّعب على تناقضات الواقع الأفغاني، وكانت إيران تدعم شيعة أفغانستان بكميات كبيرة من السلاح، و يقوم هؤلاء الأفغان ببيعها لمن يشتري، بقطع النظر عن توجهه، سواء كان قاطع طريق أو مجاهدًا [185].

إن سوق السلاح في أفغانستان انتعشت، وكانت في البداية في صالح الحرفيين المحليين الذين يقلدون الأسلحة العالمية في صناعتهم إلا أنها لا تنافسها بالجودة لرداءة الصُلب المصنوعة منه، ثم مع احتداد الصراع وانتشار الدعم للجهاد الأفغاني انفتحت أفغانستان على أحدث الأسلحة العالمية الخفيفة من بنادق آلية ورشاشات.

أسلحة إنجليزية، أمريكية وقد كانت صواريخ (**ستنجر**) المضادة للطائرات قد بدأ وصولها عام 1986 م [186]، صينية، مصرية، روسية، بلجيكية، تشيكية، يوغسلافية، وحتى

---

[184] انظر: تحت وابل النيران في أفغانستان، أحمد منصور، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1992 م، ص 89 – 90.

[185] انظر: تحت وابل النيران في أفغانستان، ص 88.

[186] انظر: تحت وابل النيران، ص 50.

(**عوزي**) الإسرائيلي [187]، وغيرها، وكان هناك العديد ممن التحق بالمجاهدين قد اكتسب ملايين من وراء هذه التجارة [188].

كانت المناطق الحدودية الأفغانية والباكستانية في حالة فوضى، تحكمها قبائل تمتلك أسلحة ثقيلة وراجمات صواريخ، وقد يحصل فيما بينها قتالٌ متبادل بين فترة وأخرى [189]، منطق القبيلة كان يحكم كثيرًا الأحزاب الجهادية هناك، ومفهوم الإغارة على بعضها والاغتنام من بعضها استشرى، وقد كان شيئًا عاديًا أن ترى أحد أتباع حكمتيار على سبيل المثال يسرق سلاح غيره من الفصائل، أو سياراته، وهكذا باقي الفصائل المقاتلة هناك ويقولون هي غنيمة! [190].

كان هناك فصائل شيعية أيضًا قاتلت ضد السوفييت [191]، وبما أن الدعم الأمريكي والعربي إجمالًا يصل إلى الفصائل المحسوبة على (السُنّة) في مكاتب الأحزاب الموجودة في بيشاور، فإن إيران دعمت هذه الفصائل الشيعية التي تشكل امتدادًا مذهبيًا لها وشكّلت قاعدة خلفية لها، كما تفعل باكستان مع الفصائل السنية، وكان وصول صواريخ (**ستنجر**) إلى أفغانستان قد فتح شهية إيران للحصول على بعضها فهجمت قواتها قرب الحدود المشتركة على المجاهدين، واستولت على عدد من تلك الصواريخ [192].

---

[187] انظر: تحت وابل النيران في أفغانستان، ص 19.

[188] انظر: تحت وابل النيران، ص 88.

[189] انظر: تحت وابل النيران، ص 19.

[190] انظر: تحت وابل النيران، ص 91.

[191] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 168.

[192] انظر: مجلة المجتمع، الكويت، العدد 847، ص 22.

الأحزاب الجهادية السنية سترتضي بعض الإحصائيات القائلة بأن الشيعة يشكلون نسبة 7٪ من الشعب الأفغاني[193]، الأمر الذي سترفضه الفصائل الشيعية لتقول بل إن الشيعة يشكلون 35٪ من الشعب الأفغاني[194]! ويطالبون بمقاعدَ تتفق مع الرقم الأخير في أي حكومة قادمة، وهذا ما سيحدث خلافًا كبيرًا بين الأفغان.

سيشكل وجود طائفة شيعية في أفغانستان أولَ احتكاكٍ للكثير من العرب بساحة فيها مذهب شيعي، وسيطلعون على شيء من الخلافات الشيعية السنية، مما سيدخل إلى ثقافتهم لأول مرة اعتبار هذا الخلاف العقدي في المناطق الإسلامية، وليس كما كانوا يتصورون الأمور بطريقة سطحية ساذجة، بأنّ كل المسلمين على معتقد واحد ونحو هذا، فسيرون شيئًا من التمييز الطائفي ضدهم، باعتبارهم سنة، أو وهابية في المناطق الشيعية[195]، وكانت الدعاية من إيران والشيعة الموالين لها لعموم الأفغان بأن العرب القادمون سيحوّلون الأفغان إلى الوهابية ولم يأتوا لنصرتكم [196].

وستشتعل الخلافات بين الأحزاب الأفغانية المحسوبة على السُنّة، في فترة مبكرة، ففي عام 1980 سيحتدم الخلاف بين مجددي وسيّد أحمد جيلاني، ومحمد نبي محمد ويونس خالص من جهة، مع سيّاف وحكمتيار من جهة أخرى، وسيصدر الأولون بيانًا فيه **"أن**

---

[193] انظر: تحت وابل النيران، ص 79.

[194] الشيعة في أفغانستان، حسين الفاضلي، دار الصفوة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2006 م، ص 154.

[195] انظر على يوتيوب: رحلتي مع الجهاد الأفغاني.. الجزء السادس.

[196] انظر على يوتيوب: رحلتي مع الجهاد الأفغاني.. الجزء الثامن، دقيقة 19.

سيّاف خائنٌ، ومستبد وظالم"[197]، وتقتتل فصائلهم **"وسفك دماء بعض المجاهدين بيد الآخرين "**[198].

لتخف الأزمة بعد عام، بعد جهود عديدة في محاولات الإصلاح بينهم، برز فيها اسم كمال السنانيري [199].

كانت الأموال تتدفق على الأحزاب، وكان كل فصيل يدعم أنصاره وحلفاءه ويقدّمهم في الدعم على غيرهم بل وصل الأمر إلى **"حرمان بعض الناس الطعام "** [200]لأنهم ليسوا تابعين للحزب، فإذا كنت من حزبهم تتلقى الدعم، وتدخل الجامعات وإلا فلا تتلقى أي شيء [201].

<u>وستبدأ الخلافات بين العرب والأفغان</u>، فبعض الشباب من السلفيين سيمتعضون من عدم وجود فصيل يمثلهم لانتشار العديد من المظاهر المخالفة لمعتقداتهم كانتشار التمائم، أو الحَلف بغير الله، أو الأسماء التي فيها تعبيد لغير الله، ووجود شيوخ الطرق ونحو هذا، والأحزاب بشكل عام لا تريد أن تزيد حزبًا فتقل حصتها من الدعم، وبالتالي سعت إلى التضييق على السلفيين في إيجاد حزب لهم.

---

[197] الذخائر، ج 1، 232.

[198] الذخائر، ج 1، ص 232.

[199] انظر: الذخائر العظام، ج 1، ص 232.

[200] انظر على يوتيوب: شهادة الشيخ عدنان العرعور على مرحلة الجهاد الأفغاني 1، دقيقة: 4.

[201] المصدر السابق: دقيقة 4.

كان مكتب الخدمات برئاسة عزّام يمتعض من وجود هذه النوعية من الشباب، كان يرى أن على السلفيين أن ينضووا تحت حزب من الأحزاب الرسميّة هناك، دون تواجد علنيّ، وهذا ما جعل عزّام يحتد أحيانًا في مواجهة هؤلاء السلفيين باعتبار أنهم جامدون لا يعرفون مراتب الأحكام، ولا الأولويات عند التعارض، بجمودهم الظاهري، دون فقهٍ بعيد النظر.

وستنشأ خلافاتٌ بين العرب أنفسهم، فقد كان العديد من المهاجرين كأيمن الظواهري الذي يترأس جماعة (**الجهاد المصرية**)[202] وعناصر جماعته، يحملون عداءً كبيرًا للأنظمة العربية، ويتعاملون مع باكستان كمنطقة آمنة للإعداد والتخطيط لأعمال مسلحة في مصر، ولا يرون أنفسهم ملزمين أدبيًا بأي طاعة لجماعة الإخوان بل تعاملوا مع أنفسهم كتنظيم موازٍ لها، وقد جاء كثيرٌ منهم إلى بيشاور بجوازات سفر مزورة أو تنقصهم أوراق ثبوتية معينة، فكان بعضهم قد تزوج في أفغانستان ويحتاج إلى إصدار شهادة ولادة لابن له ونحو هذا، وسيستعين عزّام لحل مشاكلهم برجل يكنى بأبي مازن الذي سيقدّمه لهم بأنه " **رجل غيور على الجهاد نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا وله مكانته في بلده**"[203]، هذا الرجل شاعت تسميته بين المجاهدين العرب هناك بـ(**حلّال العقد**)، حيث كان يسهّل معاملات أصحاب الوثائق الناقصة والمزورة هناك، وقد وصفه عزّام في وصيته بقوله:

---

[202] انظر: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أبو مصعب السوري، ص 728.

[203] الذخائر ج 3، ص 365.

" **أما أبو مازن فقد خبرته، فوجدته أطهر من ماء السماء، صوّامًا قوّامًا غيورًا على الجهاد، ولقد ساقه الله هديّة إلى الجهاد، فخدم بصمت وكان أحد أعمدة الجهاد** "[204]، وقد كتب أبو مازن بشكل نادر في (مجلة الجهاد) [205]، وكان عزّام أحيانًا يقدمه لغيره بكنية " **أبي أسامة**"[206].

يقول عبد الله أنس: كان أبو مازن برتبة عقيد يعمل مسؤولًا عن القضية الأفغانية في السفارة السعودية في إسلام أباد[207]، وستصلهم أخبارٌ تفيد بأنّ أبا مازن هذا ضابط في المخابرات السعودية وأن أوراقهم الثبوتية تصوّر ويتم إرسالها إلى السفارة السعودية مقابل تسهيلات يقدمها لهم [208]، وسيرى الظواهري أن هناك حِلفًا **يضم باكستان ومصر والسعودية والولايات المتحدة** للقضاء على (المجاهدين العرب في باكستان) وتفتيتهم [209]، وبهذا سيتحطم مشروعه الذي يفكر له هناك هو وأنصاره، فجن جنونهم وقامت ثائرتهم إذ رأوا بهذا التسريب أن المعلومات ستصل إلى الحكومة المصرية وغيرها من الحكومات العربية، وحمّلوا عزّام مسؤوليّة تسريب أسمائهم ووثائقهم إلى هذا الرجل [210]، واعتبروا

---

[204] الذخائر، ج 1، ص 1012.

[205] انظر: الذخائر، ج 2، ص 441.

[206] انظر: معارك البوابة الصخرية، مصطفى حامد، ص 23.

[207] انظر: رحلتي مع الجهاد.. الجزء الثالث، دقيقة: 9.

[208] انظر على يوتيوب: محمد الملا و نبيل نعيم واحداث اغتيال انور السادات وتكوين الجهاد مع الظواهري الجزء الاول 25-07-2016، دقيقة: 55.

[209] انظر: فرسان تحت راية النبي، ص 88.

[210] هذه التهمة قيلت في عزّام كما يروي ذلك عبد الله أنس، رحلتي مع الجهاد.. الحلقة التاسعة، الدقيقة: 18.

عزّام متواطئًا مع الحكومة السعودية، وبعضهم اقترح فكرة قتله [211] وآخرون قالوا بل يجب محاكمته محاكمة شرعية [212].

كتب أبو مصعب السوري:

" لقد كان الوسط الجهادي العربي الذي تسيطر عليه أفكار الولاء والبراء والمدرسة السلفية الجهادية كان متوترًا تجاه بعض الشخصيات الحكومية التي تأتي لتقديم الدعم وربما دخلت بعض المضافات أو المعسكرات العامة المفتوحة، مثل الملحق العسكري في السفارة السعودية أبو مازن " [213].

كان رد عزّام الكلامي بأن المملكة العربية السعودية داعمة للجهاد في أفغانستان، وشيء عادي أن تعرف من تدعم هناك [214]، وهو القائل: **" عندما يقولون لي: فلان من المخابرات فكأنما يقولون لي: أبو تمام مدح المعتصم، أي لم تعد تثير فيّ اهتمامًا، ولا تحرك في أعماقنا أية مخاوف "** [215]، ورد عليهم عمليًا **بقطع الدعم المالي** عنهم مما فجر الخلاف بينهم، ومما زاد

---

[211] انظر على يوتيوب: محمد الملا و نبيل نعيم واحداث اغتيال انور السادات وتكوين الجهاد مع الظواهري الجزء الاول 25-07-2016، دقيقة: 53.

[212] انظر يوتيوب: محمد الملا و نبيل نعيم واحداث اغتيال انور السادات وتكوين الجهاد مع الظواهري الجزء الاول 25-07-2016، الدقيقة: 55.

[213] دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أبو مصعب السوري، ص 711.

[214] انظر على يوتيوب: محمد الملا و نبيل نعيم واحداث اغتيال انور السادات وتكوين الجهاد مع الظواهري الجزء الاول 25-07-2016، دقيقة: 56.

[215] الذخائر، ج 2، ص 100.

من ثقل ظلهم عليه معرفته بأنهم يكثرون توجيه الانتقادات لجماعة الإخوان المسلمين وتعاملهم مع أنفسهم كتنظيم مستقل عنه وعن الإخوان.

لكن من هو (**أبو مازن**) هذا الذي كان يعمل في السفارة السعودية في باكستان؟ سيما أن أغلب من تحدث عنه ذكره بكنيته هذه فحسب، وبعضهم يقول هو ملحق عسكري، وآخرون يقولون هو عقيد مسؤول عن القضية الأفغانية في السفارة، ويظهر أنه كان يقول هذه الكنية فحسب لمن يخالطهم في باكستان..



صورة لأحمد باديب، والذي يعرّف اليوم بأنه رجل أعمال، ومؤرخ وأديب.

اسمه الحقيقي **أحمد باديب، كبير الموظفين في جهاز الاستخبارات العامة في المملكة العربية السعودية**، كان قد درس في جامعة أمريكية وعمل لبعض الوقت أستاذًا بعد أن وظفته وزارة التعليم في السعودية، وسيلتقي هناك بتلميذه أسامة بن لادن ويدرّسه، ولما اشتدت أحداث أفغانستان كان باديب قد تخرج من الأكاديمية ليصبح كبير الموظفين في جهاز الاستخبارات العامة، وتم إرساله إلى باكستان مرفقًا بدعم مالي سخي [216].

وقد أنشأ باديب منازل آمنة له ولرجال الاستخبارات السعوديين من خلال الجمعيات الخيرية السعودية التي تعمل في بيشاور، ونزل بشكل مستمر في السفارة السعودية في

---

[216] انظر: حروب الأشباح، ص 114.

إسلام أباد التي لعبت دورًا فعّالًا في الجهاد الأفغاني، وغالبًا ما أقام السفير عشاءً للدعاة السعوديين والزائرين والمسؤولين الحكوميين، ودعا ابن لادن إليها [217].

لقد كانت المخابرات السعودية، والأمريكية، والباكستانية، في باكستان تتعاون مع بعضها عبر اتصالات رسمية، وفي نفس الوقت تجسست كل واحدة منها على الأخرى بشكل منفرد، وعملت وفقًا لجداول أعمال سياسية مستقلة. وقد أصر السعوديون على ألا يحصلَ أي تفاعل بين (السي.آي.إيه) والمخابرات السعودية في باكستان، بل كانت تجري اللقاءات جميعها في الرياض، أو لانغلي[218].

كذلك أصرّ باديب على أن تكون المساعدات الإنسانية منفصلة عن الأمريكيين فلا يتدخلون فيها، خاصة في البداية لأن بعض الجهاديين اعترضوا على التواصل المباشر مع الكفار الغربيين[219].


صورة لأحمد باديب مع الفنان محمد صبحي، خلال حفل تدشين جائزة أحمد باديب لتعزيز الهوية الوطنية، في مصر 2017 .

حاليًا يعتبر أحمد باديب أحد رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية [220]، وله مركز

---

[217] انظر: حروب الأشباح، ص 136 .

[218] انظر: حروب الأشباح، ص 134 .

[219] انظر: حروب الأشباح، ص 133 .

[220] أحمد محمد باديب: «علقة الفرفيرة» جعلتني رجل أعمال، على موقع صحيفة المدينة: http://www.al-madina.com.

باديب للدراسات الثقافية والاستشارة الإعلامية، ونادرًا ما يتحدث عن تلك الفترة من حياته في باكستان على الإعلام.

وبالعودة إلى قطع عزّام الدعم المالي عن الظواهري وجماعته، فإنهم رأوه بهذا قد أعلن حربًا عليهم، وأنه يوجّه الأموال التي تأتيه باسم **(المجاهدين)** إلى عمومهم بهواه؛ **إذ قطع عنهم المال لخلافه معهم**، فاتهموه **بالسرقة** والحزبية الضيقة، وبما أنهم اتهموه بتسريب أسمائهم، ومع قناعتهم بوجود تعاون استخباراتي ضدهم، فقد اتهموه بأنه **عميل للمخابرات الأمريكية**، وتزعم الكتابة في ذلك **(دكتور فضل)**[221] وهو اسم مستعار لسيّد إمام الشريف في الفترة الأولى له من بيشاور، وهو مفتي جماعة الجهاد المصرية بل وأميرها الفعلي في مرحلة أفغانستان [222]، مؤلف كتاب **(العمدة في إعداد العدة)** سنة 1988، وفيما بعد كتاب **(الجامع في طلب العلم الشريف)** سنة 1993 [223]، وهما من أهم الكتب التي ستؤثر في الجماعات الجهادية فيما بعد، وقد ألفهما باسم مستعار آخر وهو **(عبد القادر بن عبد العزيز)** تمويهًا حتى لا يوحي بأنه مصري [224] وكان اسمه الأول (فضل) يُذكر في

---

[221] انظر، الجريدة، الكويت، العدد 152، ص 13.

[222] انظر: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أبو مصعب السوري، ص 741، والصحيح أن الشهرة كانت من نصيب الظواهري لإجادته اللغة الإنجليزية، وعرضه لقضية الجهاد، وإلا ففي مرحلة أفغانستان كان الأمير الفعلي للتنظيم هو سيّد إمام، انظر: الجريدة، عدد: 145، ص 13.

[223] انظر مقابلة سيّد إمام على قناة العربية، مرفوعة على يوتيوب بعنوان: الدكتور فضل منظر الجهاديين في مصر والعالم، دقيقة: 29.

[224] انظر: الجريدة، العدد 145، ص 13.

الجوانب التنظيمية، أما الثاني (عبد القادر) فبوصفه مسؤولًا شرعيًا في الجماعة، وقد شاركه أيمن الظواهري[225] في كيل التهم لعزّام كاتهامه بالكذب[226].

وبتوقف الدعم المالي عنهم توجهوا إلى أسامة بن لادن الذي كان قد ساهم بتأسيس (**مكتب الخدمات**) مع عزّام، وكانوا يعرفون أنه يجمع الأموال ويعطيها إلى عبد الله عزّام باعتبار أنهما من جماعة (**الإخوان المسلمين**)[227]، وطلبوا من ابن لادن التوسط في حل المشكلة المالية مع عزّام سيما وأن لهم أُسرًا فضلًا عن وجودهم في المعسكرات، ولكنّ وساطته قد فشلت فقد صمّم عزّام على قطع المال عنهم، ومن هنا تكفل بن لادن بنفقتهم وسلّم المال إلى الظواهري قائلًا لهم: **لا شأن لكم بعزّام**[228]، **وبهذا يكون قد حال بينهم وبين انفجار الأزمة مع عزّام**[229]، وبنفس الوقت صار مقرّبًا منهم، وسينظر إليه الكثيرون منهم بمكانة الأمير عليهم، فقد **"كان ينفق بسخاء على كل متطلبات الجهاد"**[230]، ويظهر إلى أي درجة كان ابن لادن قد اكتسبهم إلى صفه، أنه لما أسس تنظيمه (القاعدة) عام

---

[225] انظر: لقاء خاص قناة العربية، المقدّم: سعد السيلاوي، تاريخ الحلقة: الثلاثاء 26/ 7/ 2005، ضيف الحلقة: حذيفة عزّام، رفع على موقع دنيا الوطن: www.alwatanvoice.com .

[226] انظر: نبيل نعيم: الظواهري وصف عبدالله عزّام بـ "أونطجي" وكذاب، على موقع قناة العربية: https://www.alarabiya.net.

[227] انظر: الجريدة، العدد: 152، ص 13.

[228] انظر: محمد الملا و نبيل نعيم واحداث اغتيال انور السادات وتكوين الجهاد مع الظواهري الجزء الاول 25-07-2016، ساعة و دقيقة: 1.

[229] انظر: حوار مع د. حذيفة عزّام: تنظيم الدولة وإخوانه في المنهج، المنشور على موقع: هيئة علماء فلسطين في الخارج: http://palscholars.com.

[230] ذكريات عربي أفغاني، ص 230.

1988، فإنه أقامه على جهد عدد من الكوادر والمدربين من **أبرزهم كوادر جماعة الجهاد المصرية** [231]، **حتى كانوا الأكثرية في معسكراتها** [232].

وبهذا يظهر أن ما قام به ابن لادن لم يكن انشقاقًا عن عزّام كما حاول بعضهم تصوير هذا منه بتأسيسه لتنظيمه [233]، إنما كان امتدادًا لموقفه في حماية عزّام من سخط العديد من القادمين المسلحين في أفغانستان على تصرفاته، فعزّام كما يظهر أراد كسر (تجمعهم/ تنظيمهم) الخارج عنه بقطع الدعم المالي عنهم، بحجة أنه لا يريد تنظيمًا مستقلًا من المجاهدين العرب [234]، والواقع أنه أقام بنفسه شبكة من العرب التابعين للإخوان كوسيلة للانتشار والإشراف على الساحات، إلا أنه استشعر خطورة وجود تنظيم لا يخضع لرقابته ولا للإخوان، وله طموحات خارج أفغانستان.

لم يأتِ الظواهري إلى باكستان مقاتلًا بل كان طبيبًا، وقد جاءه العرض الأول للسفر إلى أفغانستان من مدير مستوصف السيّدة زينب التابع للجمعية الطبية الإسلامية، وقد كان هذا المدير من جماعة الإخوان، كذلك الجمعية من أنشطة الإخوان [235]، لقد كان يريد إيجاد قاعدة آمنة له للعمل المسلح في مصر [236]، سافر واستقر به الأمر ليعمل في مستشفى الهلال

---

[231] انظر: دعوة المقاومة العالمية، أبو مصعب السوري، ص 738.

[232] انظر: ولكن كونوا ربانيين، حلقة: 9، دقيقة: 10.

[233] انظر: شهادة مجاهد ديرانية على الخلاف المنهجي بين عبد الله عزّام و الظواهري، على الرابط: https://justpaste.it/alqaeda.

[234] انظر: الجريدة، العدد 152، ص 13.

[235] انظر: فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، أيمن الظواهري، عن منبر التوحيد والجهاد، ص 74.

[236] انظر: فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، ص 74.

الذي تموله الكويت عند الحدود الأفغانية[237]، وكان يشاركه العمل صديقه في تلك الفترة سيّد إمام[238] الذي كان طبيبًا أيضًا، تحت إطار المجتمع الطبي التابع لجماعة الإخوان المسلمين، وقد سبق أن حصل اتفاق بين جماعة الاخوان والحكومة المصرية أيام السادات بالسماح للأطباء التابعين لهم بالذهاب هناك لخدمة المصابين الأفغانيين، بشرط عدم المشاركة بحمل السلاح ولو على وجه التدريب[239]، وسيختلف الظواهري أيضًا هناك مع مجتمع الإخوان الطبي، ويتهمهم بسرقات مالية[240]، مما سيجعله يترك العمل معهم، وكان قد استقر في بيشاور 1986[241]، وستصل أخبار خلافه معهم إلى عزّام، مما يجعل الخلاف بين الرجلين حادًّا.

خلاف الظواهري للإخوان له جذوره من أيام وجوده في مصر، حيث رأى أن مواقفهم متخاذلة بالنسبة إلى الجهاديين في مصر، سيّما وهو مشترك في قضية اغتيال السادات، وقد سجل مواقفه وامتعاضه منهم في كتابه **(الحصاد المر.. الإخوان المسلمون في ستين عامًا)**، وبما سبق من خلاف مع عزّام وقطع الدعم المالي عنهم، فإنه لم يكن يذهب إلى المسجد الذي يصلي فيه عزّام واتخذ له مسجدًا مستقلًا[242]، ولا يوجد أدلة على أن هذا كان لتكفيره

---

[237] انظر: حروب الأشباح، ص 230.

[238] انظر: ولكن كونوا ربانيون، حلقة 9، دقيقة: 5، 6.

[239] انظر: رحلتي مع الجهاد.. الحلقة العاشرة، الدقيقة: 20.

[240] انظر: نبيل نعيم هيئات الإغاثة بدول الخليج "البيضة الذهب" للإخوان ولا رقيب عليها، على موقع اليوم السابع: http://www.youm7.com.

[241] انظر: حروب الأشباح، ص 230.

[242] انظر: حوار مع د. حذيفة عزّام: تنظيم الدولة وإخوانه في المنهج، المنشور على موقع: هيئة علماء فلسطين في الخارج، http://palscholars.com.

عزّام كما يلمّح ابنه حذيفة، بل من باب الهجر والمقاطعة له – وقد سبق لعزّام نفسه أن طبق هذا مع الألباني كما سيأتي لاحقًا – و بعد مقتل عزّام واشتهار اسمه بين المتعاطفين مع الحركات الجهادية سيكتب الظواهري أنه أستاذ الجيل في العلم والعمل[243]، وانه **العالم الرباني العابد الزاهد التقي الورع من أهل العزائم والصبر**[244]، علمًا أنه كان في حياته حامل لواء المعارضة ضده، ومرة قال له في وجهه على الملأ:

"لست أنت عبد الله عزّام الذي نعرفه، عبد الله عزّام الذي نعرفه هو صاحب كتاب (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) "[245].

وذلك لأن عزّام صرح في هذا الكتاب بتكفير الحكومات في البلاد الإسلامية فقال:

"من لم يحكم بما أنزل الله، أو تحاكم إلى غير شريعته، فهو كافر ليس في قلبه ذرة إسلام...

وإذا كان هذا حكم الإسلام الذي عطلته **ولا تزال تعطله الحكومات في البلاد الإسلامية،** فإن كل ذي عقل يستطيع أن يدرك بسهولة مدى حظ هذه الحكومات من الإسلام وأن يقول غير متحرج أن هذه الحكومات تدعو المسلمين إلى الكفر وتحملهم عليه."[246]

وكان سيّد إمام قد قصد عبد الله عزّام في كتابه الجامع في طلب العلم الشريف حين قال:

" قد رأيت جماعات إسلامية ترفض أن تحتكم إلى شريعة الله.... فهم أولى بالجهاد من

[243] انظر: التبرئة، أيمن الظواهري، السحاب للإنتاج الإعلامي، ص 27.

[244] انظر: التبرئة، الظواهري، ص 191.

[245] انظر: مذكرة التعرية لكتاب التبرئة، لسيّد إمام، نشرتها الشرق الأوسط، وقد نشرها هذا الموقع كاملة:
http://www.hurriyatsudan.com

[246] الذخائر العظام، ج 1، ص 37.

حكامهم، وهذا صريح النفاق " كما بينه الظواهري فيما بعد وعيّره بهذا لما نشأ خلاف بينهما على وثيقة (**ترشيد العمل الجهادي**) 2007 م التي أصدرها سيّد إمام من سجنه، فقال له سيّد إمام بأنك قد اطلعت على الكتاب وتعرف ما فيه في عام 1994، وأثنيت عليه حينها ووصفته بأنه فتح من الله! ولم ينكر أنه قصد بها عزّام [247].

فهذا يبين إلى أي درجة كان العداء مستحكمًا بين سيّد إمام والظواهري لعبد الله عزّام في حياته، حتى حاول الظواهري استثمار اسم عزّام في خلافه مع فضل لاحقًا عام 2008 م!

ورغم الخلاف بينهم، إلا أن الظواهري وإمام كغيرهما من الوافدين إلى باكستان وأفغانستان كانا قد تأثرا بأفكار عزّام، وكتاباته، وسيرددان في كتبهما العديد من أفكاره، ويعيدان صياغة العديد من كلماته، وكان سفر الحوالي قد نقد كتاب (**الدفاع عن بلاد المسلمين أهم الفروض الأعيان**)، بمقطع صوتي حمل عنوان (**وقفات مع كتاب عبد الله عزّام**) والذي تمحور حول أن التوحيد أهم الفروض، وأن الجهاد من أهم الفروض لا أهمها [248]، فرد عليه سيّد إمام في رسالة تقول بأن ما كتبه عزّام سائغ، وكان رد سيّد إمام قد وقّع بتاريخ 1990 م بعد اغتيال عزّام، ويظهر مقصده بهذا الرد في مقدمته:

---

[247] من وثيقة التعرية.

[248] المقطع يبلغ 7 دقائق، وقد نشر المقطع، وتفريغه النصي تحت عنوان (وقفات مع كتاب عبد الله عزّام)، على موقع سفر الحوالي الرسمي:
.http://www.alhawali.com

" قد وجدت أن البعض أساءوا فهم كلام الدكتور سفر، واتخذوه ذريعةً للقعود عن الجهاد "[249].

ففي المقام الأول كان الدفاع فيه عن مشروعهم، بشكل أكبر من شخص عزّام، بحيث إن نقد سفر لهذا الكتاب قد ينعكس على المتأثرين به، وقد يضعف من عزيمة من أراد السفر إلى باكستان، ممن يشكلون عناصر افتراضية تتحرق شهية سيّد إمام، والظواهري وغيرهما من العاملين في الساحة هناك لتجنيدهم، وتوسيع منظماتهم بهم.

في بيشاور كانت الجماعات العربية المختلفة تسوّق لنفسها هناك، وتطبع كتبها وتوزعها، مثل كتب جماعة الجهاد، كتب الجماعة الإسلامية، حتى ديوان مصطفى شكري زعيم (**جماعة المسلمين**) طبع هناك... وغير ذلك، ووجد في بيشاور بعض الشباب ممن يكفر عبد الله عزّام، بمقالات متنوعة له مثل ما اعتبروه استهزاءً منه بالسنة النبوية [250]، فقد قال مرة بأن بعض الشباب يقول آمين جهرًا كالشيطان [251] فيخالف المذهب الحنفي هناك وبذا يشق صف المجاهدين، فاعتبروا هذا التشبيه بالشيطان سبًّا وتقبيحًا منه للسنة، مع أن سياق كلامه يدل على أنه قال ذلك في فعل الشخص نفسه الذي يشق الصف لا السنة من عدمها، كذلك كفّروه لعلاقته بالفصائل الأفغانية، والحكومات المختلفة.

---

[249] رد على سفر الحوالي وتعليقه على كتاب الشيخ المجاهد عبد الله عزّام "الدفاع عن أرضي المسلمين، نسخة إلكترونية عن منبر التوحيد والجهاد، ص 1.

[250] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، وهو سيرة ذاتية لأبي محمد المقدسي بالصوت والصورة، حلقة 8، دقيقة: 20.

[251] انظر: الطريق الشائك، ص 61.

وسينظم عبد الله عزّام حلقات تربوية للشباب القادم، وكان يأمر بتدارس ما سطره سيّد قطب في ظلال القران نصف ساعة تقريبًا يوميًا [252]، لقد كانت تنتشر كتب المودودي، وسيّد قطب، حسن البنا، الندوي [253]، هذه الكتب إجمالًا كانت تصادم الكثير من (علماء الدين الأحناف التقليديين) في أفغانستان، فقد كانوا يرون مثلًا أن المودودي له بعض الآراء الكفرية [254].

وفي عام 1988، سيدعو عبد الله عزّام عمر عبد الرحمن لإلقاء محاضرة في مكتب الخدمات، وتطرق عمر عبد الرحمن للرئيس الباكستاني ضياء الحق الذي دعم الجهاد الأفغاني، **وقال بأنه كافر لعدم حكمه بالشريعة،** فحاول عزّام الدفاع عن ضياء الحق بأنه يتدرج وأنه في الطريق إلى ذلك، وهذا ما أزعج عمر عبد الرحمن، وقال بأن ضياء الحق مثل أبي طالب، كافر لكنه يحب النبي صلى الله عليه وسلم [255].

وسيلتقي هناك بعزّام واحدٌ ممن سيكون له تأثير كبير فيما بعد، وهو عصام البرقاوي، المكنى بأبي محمد المقدسي، والذي سيطبع له في بيشاور كتابه (**ملة إبراهيم**)، ومن أول لقاء بينهما، حصل صِدام بين الرجلين، فقد تحدث عزّام عن ضرورة الحكمة، وعدم الإنكار على الأفغان قضايا مثل التمائم ونحو هذا، تأليفًا لهم لِما بعد ذلك، فقفز له المقدسي من بين الحضور مقاطعًا له في (معسكر صدى)، قائلًا له: **كيف تنهوننا عن التوحيد،**

---

[252] انظر: يوتيوب: رحلتي مع الجهاد، الجزء الرابع، دقيقة: 3، 4.

[253] انظر: رحلتي مع الجهاد.. الحلقة السابعة، الدقيقة: 20.

[254] انظر: رحلتي مع الجهاد.. الحلقة السابعة، الدقيقة: 21.

[255] انظر: فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي والجهاد الأفغاني، صالح الهامي، ص 486.

وكيف نجاهد وبيننا مشركون؟! فاعتبره عزّام تكفيريًا [256]، لم يطل الأمر حتى غادر المقدسي المعسكر وبعض الأخبار تقول بأنه طرد منه طردًا، ولم يلتقِ بعدها بعزّام، بل كان مجتهدًا في نشر أفكاره بين الشباب وبعضهم وجده من طلبة العلم سيما وقد كان له بعض المؤلفات السابقة.

على الصعيد المحلي الأفغاني سيبرز من بين الأسماء الأفغانية (**جميل الرحمن**) وكان قد من السبّاقين في الجهاد الأفغاني، ورأى أن الأحزاب المتنوعة هناك لا تتفق مع تصوراته السلفية، ومن هنا سيؤسس (**جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة**)، لقد رأت هذه الجماعة أن هذه الأحزاب إخوانية حزبية ضيقة، وأنها لا تقوم بالدعوة الإسلامية كما يجب، بل إنها تداهن غيرها في المخالفات الشرعية لتحقيق مكاسب حزبية، هذه الجماعة سترى أن الأموال تأتي من أهل التوحيد وتذهب إلى جماعات تنتشر بينها البدع [257]، وستنجح باستقطاع حصة كبيرة من الدعم المالي الذي كان يذهب إلى الأحزاب المتنوعة هناك لصالحها، حيث ستصل أخباره إلى ابن باز في السعودية، ويبدأ الدعم المالي يتركز عليها بعد أن كان موزعًا على الفصائل المختلفة، وستتوسع الجماعة بعدها بشكل كبير، حيث ستوفر الكثير من الوظائف والأشغال، وقد بلغ عدد الجماعة فترة من



الصورة لجميل الرحمن مؤسس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة، وإمارة كونر في أفغانستان.

[256] انظر: ولكن كونوا ربانيون على يوتيوب، حلقة 8، دقيقة 18.

[257] انظر: الطريق الشائك، ص 21.

الفترات مليون ونصف أفغاني، سواء في أفغانستان، أو من المهجّرين إلى باكستان [258]، وقد أعلن جميل الرحمن قيام إمارة إسلامية في منطقة (**كونر**) في أفغانستان وكان هو أميرها.

سينظر العديد من الأفغان إلى هذه الجماعة نظرة عداء، بأنها تشتري ذمم الأفغان لنشر (**الوهابية**) بينهم، وأنها تستقوي عليهم بالمال [259]، كما إن الأحزاب السياسية المتنوعة ستنظر إلى هذه الجماعة كمنافس اقتطع حصةً كانت من نصيبها ومن هنا سيبدأ التحريض المتبادل بين هؤلاء وبين باقي الأحزاب المحسوبة على الإخوان، والتي لها جذور تمتد إلى عقيدة الماتريدية، والمذهبية الحنفية، والسلوك الطرقي الصوفي.

وقد بدأت تشاع أخبارٌ تقول بأن جماعة حكمتيار وغيرها من الأحزاب قامت بتصفية بعض السلفيين في الجبهات [260]، سيما وقد كان بعضهم يكن حقدًا شديدًا على الوهابية إلى درجة تكفيرهم، أما السلفيون فقد سلك بعضهم الخشونة في النهي والإنكار مع الأفغان فأحدهم على سبيل المثال سحب أقسام الكلاشنكوف على آخر لأنه رآه يعلّق حرزًا [261]، ونفر منهم كثيرون في الجبهات لأمثال هذا السلوك.

وستحصل اشتباكات بين جماعة حكمتيار، وجماعة جميل الرحمن، والتي سيحاول بعض الوجوه الصلح فيها، من بين المشتركين في الصلح عدنان عرعور، وأسامة بن لادن [262]،

---

[258] انظر: الطريق الشائك، ص 74.

[259] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 133.

[260] انظر: الطريق الشائك، ص 65.

[261] انظر، الذخائر، ج 3، ص 428.

[262] انظر على يوتيوب: شهادة الشيخ عدنان العرعور على مرحلة الجهاد الأفغاني 1، دقيقة: 6.

وبحسب شهادة عدنان عرعور، فإن جميل الرحمن وافق على التزام بوقف إطلاق النار من جهته رغم أنه هو الذي كان في موضع الدفاع، ولكن حكمتيار رفض أن يوقف إطلاق النار على السلفيين من جماعة جميل الرحمن [263]، بل سيقوم حكمتيار باعتقال لجنة التحكيم المعقودة بغرض الصلح بين الجماعتين وزجهم في السجن! [264].

عادة كان يجري التكتم على أخبار الاشتباكات بين فصائل (**المجاهدين**) على اختلافها بأوامر رسمية من قادة الجهاد حتى لا يقل الدعم لهم [265]، وبالتالي سيقل المتطوعون والمال المتدفق على أفغانستان.

لقد انتشرت بين الأفغان نظرة محافظة على عاداتهم وتقاليدهم وتوحد بينها وبين مفهومهم عن الدين، وكانوا ينظرون إلى أي جديدٍ على مسامعهم على أنه بدعة ولقد كان هناك صراع بين خريجي الدراسة النظامية الحديثة، وبين نظام المولوي، كما كان هناك صراع بين أتباع الإخوان، وبين المدرسة التقليدية المذهبية.

طريقتهم المحافظة سيستحسنها بعض المجاهدين العرب، حتى رأوا بأن الجهل أحد أسباب نصر الأفغان، فقد كان مانعًا من انتشار الشيوعية في أفغانستان! وبالتالي فلو كانوا متعلمين مثقفين لانتشرت الشيوعية أسرع بيهم، ولكن **الجهل كان من أهم عوامل النصر!** [266].

---

[263] انظر على يوتيوب: شهادة الشيخ عدنان العرعور على مرحلة الجهاد الأفغاني 3، دقيقة: 11.

[264] انظر على يوتيوب: شهادة الشيخ عدنان العرعور على مرحلة الجهاد الأفغاني 3، دقيقة: 14.

[265] انظر على يوتيوب: شهادة الشيخ عدنان العرعور على مرحلة الجهاد الأفغاني 3، دقيقة: 6.

[266] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 56.

لقد نظر الأفغان إلى الغرباء بعين الريبة، وقد "علق (ملّا شيرين) على وجود صحفيين فرنسيين بأسف ومرارة فقال:

لقد كنا نقتلهم حتى جاءوا ببدعة الأمان هذه، حيث كان الصحفي يحمل ورقة بالأمان موقع عليها من أحد قادة الأحزاب، ورغم ذلك لم يكونوا دائمًا يسلمون من القتل."[267]

أحد القادة الأفغان واسمه عبد الرزّاق كان يريد الذهاب إلى باكستان والهجوم على إحدى المدارس (**الصليبية**)، التي تعلم أبناء المهاجرين الأفغان، وكان **يرى أن موت بضعة أطفال سيمنع كل الآباء من إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس**، الأمر الذي استنكره بشدة المتطوعون العرب تحت إمرته مما جعله يعدل عن رأيه [268].

في حين أن قائدًا كعبد الحق سيزرع قنبلة في سبتمبر 1984، في مطار كابول قتلت 28 شخصًا، كان كثير منهم طلابًا يستعدون للسفر إلى الاتحاد السوفييتي، وردًا على الانتقاد الذي وجه إليه لدوره في تفجير المطار قال بأن الغرض من التفجير كان:

" **تحذير الناس حتى لا يرسلوا أبناءهم إلى الاتحاد السوفييتي** "[269].

في أفغانستان "كان المقاتلون بمعظمهم لا يعرفون قادتهم، وبعض الأمراء كان يجاهد منذ سنوات ولم يلتقِ بأميره أبدًا.

---

[267] ذكريات عربي أفغاني، ص 126 – 127.

[268] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 151.

[269] التاريخ السري لتآمر بريطانيا، ص 217.

قادة الجهاد الأفغاني كانوا متمركزين في باكستان مثل سيّاف وحكمتيار ورباني، وكان ارتباطهم بقادة الجبهات في الداخل بموفدين في معظم الأحيان، كان الموفد يأتي من الجبهات إلى بيشاور ويلتقي قادة الجهاد ويحمل التعليمات إلى الداخل، ثم صارت باللاسلكي فيما بعد."[270]

هذا يهز الشعارات الحماسية التي كان يطلقها عزّام مرارًا بأن القادة لا يُصنعون إلا في المعارك، ولا يُفرزون إلا في الجبهات [271]، فقد كان قادة الجهاد الأفغاني في مناطق آمنة في باكستان، وتسود الفوضى بين أتباعهم إلى حد بعيد، وكانت القيادات العسكرية ينتشر بينهما السلوك القبلي في التعامل سواء في التعامل مع العدو أو مع من هم تحت إمرتهم، لقد كان القائد العسكري يعطى صلاحيات واسعة في تعامله، ولا يتردد في ضرب من يعصي أوامره من المجاهدين، أو يهدد من يخالفه بالقتل رميًا بالرصاص **"وكان لا يتردد في تنفيذ هذا التهديد "** [272].

أما على صعيد العمليات العسكرية ضد السوفييت أو الحكومة الأفغانية، فيقول أوليفيه راوا:

" المجاهدون طيلة هذه الحرب لم يشنوا هجومًا على موقع حكومي أفغاني، أو سوفياتي، يفوق عديده الكتيبة، باستثناء رجال المقدّم مسعود "[273].

---

[270] ولادة الأفغان العرب، ص 31، 32.

[271] انظر: الذخائر العظام، ج 1، ص 657.

[272] ذكريات عربي أفغاني، ص 124.

[273] تجربة الإسلام السياسي، أوليفيه راوا،ترجمة: نصير مروّة،دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 1996 م، ص 149.

فكما سبق لعزّام أن قال بأن المهم هو العمل، أما النتائج فبيد الله، يصوّر راوا المسألة في ذهن المقاتلين هناك، فيقول:

" الجهاد هو مسألة بين المؤمن وربه، وليس بينه وبين عدوه. فليس ثمة اعتبار للنتيجة... فعل إيمان، وهوى توّابين يقنعون بأسهم نارية ليلية يطلقونها تمجيدًا لله " [274].

ويقول أبو جعفر المصري أحد المجاهدين العرب بأن أحد الشيوعيين من مليشيا (عصمت خان) أوقف تقدم المجاهدين لمدة أسبوعين، حيث تحصن وأطلق النار على أي رجل يتحرك منهم، وفشلت كل محاولاتهم للتقدم! حتى جاءه الإمداد وبدأ الهجوم المضاد ضدهم، وكلفهم هذا الهجوم المضاد: **500 قتيل وألفي جريح من المجاهدين!** [275].

وهذا يكشف إلى أي درجة كانت بعيدة عن الدقة ملحمة الأوديسة الأفغانية كما يرسمها عبد الله عزّام، في تصوير الأفغان بأنهم **"شعب لا نظير له في الأرض كلها"**[276]، وفي تصويره لسير العمليات العسكرية هناك، يروي عن أرسلان أحد القادة العسكريين هناك: **" كانت معنا قذيفة واحدة مع مضاد واحد للدبابات، فصلينا ودعونا الله أن تصيبهم هذه القذيفة، وكان مقابلنا (مائتا دبابة وآلية) فضربنا القذيفة فإذا بها تصيب السيارة التي تحمل الذخيرة والمتفجرات فانفجرت ودمرت (85) دبابة وناقلة وآلية، وانهزم العدو وغنمنا كثيرًا "**[277].

---

[274] تجربة الإسلام السياسي، ص 150.

[275] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 124.

[276] آيات الرحمن في جهاد الأفغان، ص 30.

[277] آيات الرحمن، ص 104.

ولا ينسى عزّام أن يقول بعدها بأنه التقى بـ (**باطور**) رامي القذيفة المذكورة!

فما وجه العلاقة بين قول عزّام بأنه التقى مع الشخص الذي قيل بأنه رمى القذيفة، وبين تقرير يفترض أنه تقرير عسكري يتحدث عن تدمير 85 آلية بقذيفة واحدة؟! ولك أن تتخيل المساحة التي توزعت عليها هذه الآليات!

أرسلان هذا سيبتهج بأمثال هذه القصص، فيسهب بأمثالها، ففي إحدى المرات هجمت عليه 120 دبابة ونفدت ذخيرته ومن معه، ومع ذلك فشل الهجوم، حيث يرى أن الملائكة كانت معهم [278]، يمكن تخيل شكل التقارير العسكرية الواردة من مثل هؤلاء القادة.

بل كانت بعض تلك (الكرامات) تشكل دعاية حزبية، مثلًا يقول عزّام: "حدثني محمد ياسر قال: إن الشيوعيين إذا دخلوا قرية بدباباتهم يسألون عن (**اصطبلات خيول الإخوان المسلمين**) فتعجب الناس، لأنهم لا يركبون خيولًا، ثم تفطنوا أن هذه **خيول الملائكة** "![279]

بل حتى أصغر المسائل التي يفترض أن يقع فيها شيء من التفكير بموضوعية مثل عدم انفجار القذائف السوفييتية بجانبهم لمشكلة في الصناعة مثلًا، تم حملها رأسًا على أنها كرامة للمجاهدين أنفسهم! [280].

---

[278] انظر: آيات الرحمن، ص 106.

[279] الذخائر، ج1، ص 221.

[280] انظر: آيات الرحمن، ص 110.

لقد قال عزّام بأن هذه الروايات سمعها فمًا لأُذن، من رجال ثقات[281]، وسيرفض مراجعة مرويات أرسلان هذا وأمثاله، ولما يراجع فيها سيقول منفعلًا: **"لو كان البخاري حيًا لأخذ عنهم، لو كان الرسول حيًا لجاهد معهم"**! [282]

قال عزّام: **"يقولون لي: أنت هوّلت الجهاد الأفغاني في أذهان الناس، مهما نقلت فإني لا أنقل عشر الحقيقة، ولا ربع الحقائق، أنا ماذا كتبت؟ كم كتب عن الجهاد الأفغاني؟ كم كتاب بالعربية؟ عشرة كتب؟! الله أكبر! والله من الظلم العظيم أن يكتب عن هذا أقل من ألف كتاب، لأن كل واحد يمكن أن تكتب عنه كتابًا، كل واحد من المجاهدين عنده من القصص ما يغذي خيال الأدباء، يكتبون مسرحيات حماسية طويلة عن قصة هذا الرجل "**[283].

موضوع الكرامات التي ستتردد أصداؤها كثيرًا عن طريق الأحزاب الأفغانية، سيّاف على سبيل المثال قدّم لكتاب عزّام (**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**)، وهو أول كتاب لعزّام عن الساحة الأفغانية [284]، وعزّام نفسه سيتكفل بنشر هذه الصورة عنهم، تلك الحكايات المفترض أنها كرامات ستفتح سوقًا آخر للدعم المالي على الأفغان.

في إحدى الروايات النادرة عن هذا قيل بأن أحد الدعاة السعوديين زار بعض الأفغان، وكان مهيأ لما سيقولونه له، فقد سبقت إليه دعاية عزّام لحكايات الجثث التي لا تتعفن

---

[281] انظر: الذخائر، ج1، ص 220.

[282] الطريق الشائك، ص 62.

[283] الذخائر، ج 3، ص 871.

[284] انظر: البنيان المرصوص، العدد: 30، ص 8.

ورائحة المسك، **فقاموا برش المسك على الجثث لتكون رائحتها زكية**، قبل عرضها على هذا الداعية، ولمّا عرضوها عليه هلّل وكبر[285].

إن التفكير الساذج كان يحكم سلوك الأفغان إلى حد بعيد، فقد كان المقاتلون الأفغان لا يسلكون الطرق الحديثة في الحرب، و**رغم وجود مِنَح تدريبية أوروبية وأمريكية لبعض المجاهدين**[286]، إلا أن الأغلب كان خاليًا من الكفاءة العسكرية، فعلى سبيل المثال:

" إن الانبطاح والزحف من الأمور العسكرية الأولية، ولكنه في قندهار عارٌ ودليل على الجبن، والعجيب أنهم يفضلون الموت على الانبطاح"[287]!

و كان **"القندهاريون يسرعون إلى الأسطح فور سماع أزيز الطائرات ليتفرجوا عليها وهي تقصفهم"!**[288]

وكان المقاتلون لا يتحركون بشكل منظّم، فأحيانًا كثيرة يخرج حملة الأسلحة الخفيفة بعد أن تعلوهم سفعة حماسة ليطلقوا الرصاص على الدبابات والتي لا تحدث فيها أثرًا، فتنكشف بذلك مكامنهم دون انتظار حملة القذائف الصاروخية، وبالتالي يفسدون الأمر على الجميع! [289]، ويتعرضون للقصف وإطلاق النيران.

---

[285] انظر: الطريق الشائك، ص 71.

[286] انظر: تحت وابل النيران، ص 137، وانظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 214.

[287] ذكريات عربي أفغاني، ص 71.

[288] ذكريات عربي أفغاني، ص 71.

[289] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 124.

أحيانًا يمكن وصف بعض المجموعات التي تزعمها قائد أفغاني، فيها متطوعون عرب بملخص بأنهم "**<u>مجموعة من الانتحاريين، يقودهم قائد متهوس</u>**"[290]، حيث كان العرب يأتون متحرّقين للقتال وقد تشبعوا بأن الجهاد فرض عين، ونسبة التهور فيهم لا بأس بها، فكانوا يشعرون بالملل في الجبهات الهادئة، فإذا علموا بوجود قائد متهور يُشرك مقاتليه بالكثير من العمليات العسكرية، فإنهم يقدمون إليه، وهذا يزيد عدد أتباعه[291].

ولم يكن العديد من العرب أسعدَ حالًا في تفكيرهم من عوام الأفغان، فكان بعضهم مثلًا يرى الترخيص بقتل بعض المدنيين من الأفغان في القرى التي لا تخضع لهم وتخضع لسيطرة السوفييت أو الحكومة الموالية لهم، بحجة أنهم لم يهاجروا، وكانت تؤخذ آراؤهم هذه أحيانًا على وجه المزاح، حتى من الأفغان أنفسهم[292]، فلم يكن قد ظهر بعد البعد العملي لمثل هذه الآراء بشكل ظاهر جليّ.

كان بعض العرب يتصرفون تصرفات خارجة عن العُرف العسكري السليم، مثل الوقوف في منطقة عالية مكشوفة، وقريبة من العدو ليصدح بالأذان وكأنه يقول اقتلوني[293].

---

[290] ذكريات عربي أفغاني، ص 138.

[291] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 146.

[292] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 143، 144.

[293] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 144.

بعضهم لا يملك نفسه عن التكبير بصوت عالٍ، وبالتالي يكشف موقعه لقناصي العدو[294]، وظل هذا تقليدًا متوارثًا بين الكثير من (**المجاهدين**) بأن يرفعوا أصواتهم عاليًا وهم يطلقون التكبيرات في الحرب، على أن رفع الصوت بالتكبير عند القتال مكروه وقد بوب البخاري في صحيحه: "**باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير**"، وساق حديثًا: "**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا**".

"**وتصرّف البخاري، يقتضي أن ذلك خاصٌ بالتكبير عند القتال**"[295]، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى استحباب خفض الصوت، وكراهية اللغط في القتال[296]، واستحبوا أن يكبر لقاء العدو بلا إسراف في رفع الصوت[297].

كان مئات من العرب يسقطون قتلى وجرحى، ويجري الاعتذار عن سقوط تلك الأعداد، بأن سقوط مائة سيجلب مائتين إلى أفغانستان عن طريق سماع أخبار الشهداء[298]، وردًا على الاعتراض على خططهم العسكرية، كان يقال بأن هذا قدر من الله، وأن الجميع هدفه الشهادة، وقد نالها هؤلاء، ويظهرون وكأن السائل والمعترض يعترض على قدر الله عز وجل[299].

---

[294] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 156.

[295] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: 2005 م، ج 7، ص 246.

[296] الموسوعة الفقهية الكويتية، ج 35، ص 275.

[297] المصدر السابق، ج 32، ص 238.

[298] انظر يوتيوب: تجربة الأخ جمال نجم مع الجهاد الافغاني، الدقيقة: 1:15.

[299] انظر يوتيوب: تجربة الأخ جمال نجم مع الجهاد الافغاني، الدقيقة: 33.

شيء مما قالته بعض الفصائل في أفغانستان

أصدر الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، والذي يتزعمه عبد رب الرسول سيّاف مجلة باسم (**البنيان المرصوص**) للمرة الأولى في يوليو 1985 م، وكان يفتتح هو بقلمه أعدادها بمقالة تحريضية وعظية، لم يكن فيها تأصيلات شرعية كتلك الموجودة في مجلة الجهاد التابعة لمكتب الخدمات برئاسة عزّام، ولقد حرصت المجلة على بيان أنها الخط الصحيح في أفغانستان دينيًا فهي بنظرهم "**صوت الخط الإسلامي الأصيل، في أفغانستان**"[300].

وهذه العبارة " **أزعجت الأحزاب الأفغانية الأخرى، لأنها حسب تفسيرهم تعني أن الأحزاب الأخرى غير متميزة ولا أصولية** "[301].

وقد استعانت المجلة بكتابات عزّام، ككتابه (**الدفاع عن بلاد المسلمين**) لتبث منه مقاطع في أعدادها [302]ولم تخرج عن عموم تأصيلاته، وكانت صريحةً في انحياز موقفها إلى جماعة الإخوان المسلمين، جاء فيها:

---

[300] البنيان المرصوص، العدد 6، ص 37.

[301] المجاهدون، العدد 29، 37.

[302] انظر: البنيان المرصوص، العدد 5، ص 36.

" إن حسن البنا قد قتل في القاهرة، ولكن دعوته التي نادى بها، وبشر بها لن تموت، لأنها تجديد وبعث لرسالة محمد"[303].

وتحدثت عن أحد المراكز التابعة للمجاهدين باسم: مركز الإمام الشهيد حسن البنا بولاية بدخشان[304].

نشرت مقالات أغلبها لشخصيات محسوبة على الإخوان مثل:

أمينة قطب [305]، يوسف القرضاوي[306]، أحمد نوفل [307]، زينب الغزالي [308]، حسن الترابي [309]، زغلول النجار [310]، سيّد قطب [311]، وأجرى مراسلها أحمد منصور –الإعلامي الذي سيشتهر في قناة الجزيرة فيما بعد– مقابلة مع المرشد العام للإخوان المسلمين في حينها، رافضًا أي حلٍ سلمي للقضية، فقال: **"دعوة السلم يلجأ إليها الجبناء الذين يخشون الموت ويخافون القتل في سبيل الله "** [312].

---

[303] البنيان المرصوص، العدد 6، ص 44.

[304] انظر: البنيان المرصوص، العدد 18، ص 15.

[305] انظر: البنيان المرصوص، العدد 11، ص 44.

[306] انظر: البنيان المرصوص، العدد 16، ص 40.

[307] انظر: البنيان المرصوص، عدد 6، ص 52.

[308] انظر: البنيان المرصوص، العدد: 7، ص 58.

[309] انظر: البنيان المرصوص، العدد: 16، ص 40.

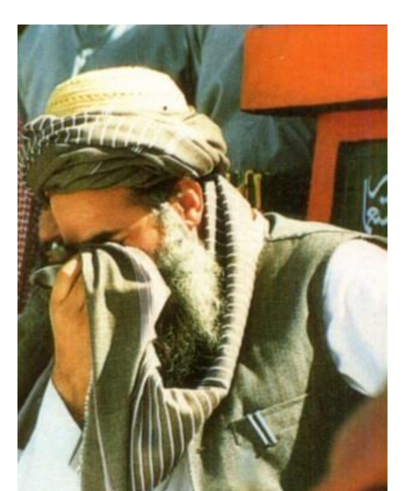
[310] انظر: البنيان المرصوص، العدد: 16، ص 40.

[311] انظر: البنيان المرصوص، العدد 21، ص 41.

[312] البنيان المرصوص، العدد 18، ص 30.

وكما أن مجلة الجهاد حوت قِسمًا للأطفال؛ فستفعل بالمثل مجلة البنيان، وستضع صورًا لأطفال لا تتجاوز أعمارهم خمس سنوات يحملون بنادق كلاشنكوف، تحت عنوان: **"أشبال الإيمان"**[313].

كانت المجلة تغطي أخبار سيّاف كما تفعل الإذاعات الرسمية مع الزعماء والملوك، وتجدها تلتقط له صورًا في كل زاوية وركن يصل إليه، ولا تبخل على قرائها ببث صوره أحيانًا باكيًا متأثرًا.



صورة لعبد رب الرسول سيّاف باكيًا بعد كلمة من أحدهم في اجتماع، نشرتها مجلة البنيان المرصوص التابعة له .

وتتحدث المجلة عن الخطر الروسي الغاشم على العالم الإسلامي، وترسم خرائط غزو مفترضة لمكة وغيرها انطلاقًا من الاتحاد السوفييتي.

وستحوي حديثًا عن الخلافة الإسلامية القادمة، تلك التي يذكرها أحد الشعراء في المجلة بقوله:

لعود خلافة غابت سنينا *** رهينة أن يجاهد مؤمنونا

وها أنتم لهذا الفضل أهل *** لأنكمو لذاك تجاهدونا [314]

وبعضهم يناجي الخليفة الذي يفترض أنه قادم فيقول تحت عنوان (**رسالة إلى الخليفة**):

---

[313] البنيان المرصوص، العدد: 5، ص 54.

[314] البنيان المرصوص، العدد 16، ص 56.

" سيدي الخليفة، كقطع الليل المظلم تأتينا الفتن من كل جانب... سيدي ترى أين سيف خالد.. وطارق؟ أما حان الوقت كي تقتحم بحصانك ساحتنا الموبوءة؟"[315]، وتفتتح أحد أعدادها بصورة لمجموعة من الأطفال بعضهم لا يتجاوز الخامسة، يمسكون بسلاح كلاشنكوف تحت عنوان: **"جيل الغد ينتظر الخلافة"**[316].

ليس الحديث هنا فقط في الجانب الشعري والأدبي النثري في المجلة، بل حتى السياسي، فإجابة عن سؤال وجه إلى سيّاف، عن شكل الحكومة القادمة هل هي جمهورية أو ماذا؟ قال: **" نحن نسعى لإعادة الخلافة "**[317].

وتكتب المجلة: **"من يدير الكون؟ روسيا وأمريكا؟ أم الله؟"**[318]، في سؤال لجواب محسوم سلفًا، وبهذه النظرة لا حاجة إلى النظر إلى الواقع نفسه! فخلق الكون فعل الله، ومفعوله هو ما يجري الحديث فيه، وإلا فالله خلق الصحة والمرض، ولا يعني هذا أن المرض لا تأثير له، ولكنّ التصوف، والفناء عن شهود غير الله كان يدفع تحليلاتهم دفعًا!

كتب سيّاف ردًا على من يعترض على قتال الحكومة الأفغانية بقوله:

---

[315] البنيان المرصوص، العدد: 16، ص 65.

[316] البنيان المرصوص، العدد 21.

[317] البنيان المرصوص، العدد 19، ص 37.

[318] انظر: البنيان المرصوص، العدد 20، ص 10.

"إن كنتم تقولون عن جهادنا أنه حرب أهلية، ألم تطلعوا على غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم غزواته لقريش، أعمامه، وقومه وقبيلته، فلم نسمع أن أحدًا من المسلمين ادعى أنها كانت حربًا أهلية، بل كانت حربًا لإبادة الطاغوت وتحكيم كتاب الله"[319].

وقد تحدثوا عن فكر عبد الله عزّام بعد اغتياله فقالوا: **"الجهاد هو الحل: مما يؤثر عن الشيخ رحمه الله أنه لا يرى حلًا لمشاكل المسلمين إلا بالجهاد، وأن دولة الإسلام لا يمكن أن ترفع رأسها إلا بين الجماجم والأشلاء"**[320].

وكانت تغطي أخبار (الجهاد) في العالم، وتجد فيها عناوين مثل: **"انطلاقة الجهاد في الفلبين"** وأجرت مقابلة مع رئيس تحرير جبهة مورو الإسلامية، جاء في وصف الجماعة: **"جماعة قالت: الله غايتنا والجهاد سبيلنا "**[321]، وغير خافٍ ما في هذا من شعار حركي إخواني.

كذلك تحدثت عن القوقاز [322]، والجهاد في بورما كجبهة روهنجيا الإسلامية [323].

وبلغت ذروة ما تطبعه 40 ألف نسخة، وقد وزعت في العديد من الدول، منها المملكة العربية السعودية[324].

---

[319] البنيان المرصوص، العدد: 28، ص 5.

[320] البنيان المرصوص، العدد 31، ص 39.

[321] البنيان المرصوص، العدد 4، ص 14.

[322] انظر: البنيان المرصوص، عدد: 6، ص 44.

[323] انظر: البنيان المرصوص، العدد 31، ص 52.

[324] انظر: المجاهدون، العدد 29، ص 38.

أما مجلة (**المجاهدون**) فقد صدر أول عدد لها في نوفمبر 1986 م، عن جمعية أفغانستان الإسلامية، بزعامة برهان الدين رباني، والتي كان قد انضوى تحت لوائها أحمد شاه مسعود الشهير بأسد بانشير عام 1973 وعمره 21 سنة [325]، وكان توجهها الإخواني صريحًا، كتب برهاني في بداية عددها الأول تحت عنوان: (**لقد جرحت القلوب برحيل التلمساني**) عن مرشد الإخوان الراحل: **"جرحت قلوب المؤمنين السائرين على نهج الإمام الشهيد حسن البنا لوفاته وهو أمير المجاهدين في عصره "** [326].

وقد غطت المجلة زيارة سعيد حوى لمعسكر خالد بن الوليد التابع للجمعية الإسلامية، الذي دعا فيه لدورات تعليمية في هذا المعسكر [327]، أي الانهماك بدراسة كتابات الإخوان، وقد خصَّ سعيد حوى أحزاب (**رباني، وسيّاف، وحكمتيار**) بالمحاضرات، لكل حزب يومين [328].

ومن هذا الإطار سيقول (القائد علاء الدين) التابع للجمعية في جواب عن سؤال ما هي أكثر الشخصيات التي أثرت بك:

" مجدد العصر الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، والمفكر الشهيد سيّد قطب رحمه الله"[329].

---

[325] انظر: المجاهدون، العدد 8، ص 42.

[326] مجلة المجاهدون، العدد: 1 ص 6.

[327] انظر: مجلة المجاهدون، العدد 1، 13.

[328] هذه تجربتي وهذه شهادتي، سعيد حوى، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: 1987، ص154.

[329] انظر: المجاهدون، العدد 3، ص 33.

وسيحيون ذكرى اغتيال البنا ويقتبسون العديد من كلماته [330]، ويكتبون على صفحاتها: "**لقد قام الجهاد من أول لحظة لنستعيد خلافتنا الضائعة، ومجدنا التليد** " [331].

لقد دارت فيها مقابلات مع محمد محمود الصواف[332]، وعبد الفتاح مورو [333] الذي كتب: "**القضية الأفغانية هي القضية الأولى لدى الحركة الإسلامية** "، ويوسف القرضاوي [334]، وعبد الفتاح أبو غدة الذي كتبت في تعريفه: "**المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية**" [335]، كمال الهلباوي [336]، وغيرهم من شخصيات محسوبة على جماعة الإخوان المسلمين.

وبنحو مجلة (**البنيان المرصوص**)، و(**المجاهدون**)، نحت إصدارات الفصائل المحسوبة على جماعة الإخوان.

أما جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة التابعة لجميل الرحمن فستصدر مجلة (**المجاهد**)، والتي تحمل وصفًا بأنها " **تحمل لواء الكتاب والسنة وسلامة المعتقد**"[337]، وأحيانًا (**مجلة التوحيد**

---

[330] انظر: المجاهدون، العدد 10، ص 18.

[331] المجاهدون، العدد 16، ص 19.

[332] انظر مجلة المجاهدون، العدد 3، ص 10.

[333] انظر: مجلة المجاهدون، العدد 16، ص 28.

[334] انظر: مجلة المجاهدون، العدد 17، ص 36.

[335] انظر: مجلة المجاهدون، العدد 18، ص 19.

[336] انظر: مجلة المجاهدون، العدد 25، ص 15.

[337] المجاهد، العدد 9، ص 28.

والجهاد)[338] وستوزع في عدة دول مثل السعودية، مصر، عمان، اليمن الشمالي، قطر، الأردن، الإمارات[339].

وتفتتح أول أعدادها بخبر فتح (**كونر**) التي ستعلن فيها إمارتها الإسلامية، وبكلمة لعبد العزيز بن باز، ولقاء مع محمد صالح العثيمين، وتسجل انطلاقتها بالتاريخ الهجري 1409 هجريًا (أي ما يوافق: 1989م)، وكتب التاريخ الهجري دون ما يقابله من التاريخ الميلادي بخلاف المجلات السابقة، وقد أفصحت فيما بعد أن ذلك مكروه في أقل الأحوال[340].

لقد كانت سلفية التوجه، ولقد تحدثت المجلة عن محمد بن عبد الوهاب باعتباره من كبار شيوخ الإسلام[341]، و"**الأفغانيون، بل وجميع المسلمين الذين وصلتهم الدعوة الوهابية بصورة مشوهة إنما تمكنت في نفوسهم بسبب جهلهم، فهم يظنون أن الوهابية فتنة أو ضلالة... وأما المفهوم الصحيح للدعوة الوهابية فهو تجديد للدين** "[342].

وستوجه بعض النقد الخفي فيما يظهر أنه لعزّام، مثل قولها:

---

338 المجاهد، العدد 24.

339 انظر: المجاهد، العدد 18، ص 37.

340 انظر: المجاهد، العدد 22، ص 26.

341 انظر: المجاهد، العدد 5، ص 7.

342 المجاهد، عدد 5، ص 17، 18.

"يقول بعض المثقفين إن الجهاد والقتال في سبيل الله أولى من تعلم التوحيد وأصول الدين" [343].

وذلك أنه كتب كتابًا بعنوان (**الدفاع عن بلاد المسلمين أهم الفروض الأعيان**) ولم يبدأ بالتوحيد قبله، وهو نفس النقد الذي قال به سفر الحوالي للكتاب، ورد عليه سيّد إمام.

ولقد وصل بها الأمر إلى نقد باقي فصائل المجاهدين علانية، وهو الأمر الذي كانت تتحاشاه باقي الفصائل حتى لا يقل الدعم لهم، تقول المجلة:

" إعلان الإدارة الأمريكية والباكستانية عن إمداد منظمات المجاهدين بالمال والسلاح طوال السنوات العشر الماضية أضر كثيرًا بكرامة المجاهدين وسمعتهم، خاصة أنه... واظب قادة المنظمات طوال السنوات العشر الماضية على القول بأنهم لم يستلموا مثل هذه المعونات من أمريكا"[344].

وسيجري الحديث عن الشيعة في عددها الثاني، وأنهم لا يمثلون سوى 5٪ من الشعب الأفغاني[345] وتوالت تقاريرها وانتقاداتها، ومنها الاعتراض على اشتراك **"هؤلاء الذين يعادون الصحابة"**[346] في أي حكومة إسلامية والاعتراض على وجود **" الإسماعيلية الكفار، والشيعة الروافض"**[347] في صفوف بعض الفصائل السنية المقاتلة **"فالشيعة هم**

[343] المجاهد، العدد 1، ص 12.

[344] المجاهد، العدد 8، ص 16.

[345] انظر: المجاهد، العدد 2، ص 2.

[346] المجاهد، العدد 5، ص 16.

[347] المجاهد، عدد 5، ص 25.

الشيعة في حقدهم ولؤمهم وخساستهم"[348]، وأنهم مدعومون من **" إيران الرافضية المجوسية"**[349].

وفي لقاء أجرته المجلة مع بديع الدين السندي الذي قامت بتعريفه بأنه: **" من علماء الحديث المشهورين لدى العلماء وطلاب العلم في العالم الإسلامي "**[350]، وقد سألوه: **"شيخنا ما رأيكم في قتل بعض الشيعة في أفغانستان والإغارة عليهم؟"**، فسأل: **"هل هم مع الشيوعيين أم هم على حدة؟"**

فقال مراسل المجلة: **"لا.. هم ليسوا مع الشيوعيين ولا ضد الشيوعيين، في قرية وحدهم، كيف ترون قتالهم؟"**

فقال: **" إذا أغرت عليهم، فلا شك أن أعمالهم وعقائدهم كلها تدعو للإغارة عليهم، لأنهم ما تركوا أحدًا، لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، ولا رب العزة إلا أساءوا إليه، وفي الحقيقة هم عندي أخبث من اليهود "**[351].

وستنشر نقدًا للصوفية كابن عربي، والشعراني، والغزالي [352]، واعتبار الاحتفال بالمولد النبوي بدعة [353]، كذلك المحراب في المسجد بدعة [354].

---

[348] المجاهد، عدد 5، ص 26.

[349] المجاهد، عدد 5، ص 25.

[350] المجاهد عدد 28، 29، ص 25.

[351] المجاهد، 28، 29، ص 53.

[352] المجاهد، عدد 10، ص 46.

[353] انظر: المجاهد، عدد 11، ص 46.

[354] انظر: المجاهد العدد 33، 34، ص 64.

كانت المجلة توجه نقدًا لعدد من رموز الإخوان المسلمين، مثل محمد الغزالي [355]، فنشرت نقد **ربيع المدخلي** على صفحاتها على حلقات، ومما جاء فيه:

" إن الغزالي قد حشر نفسه في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها السنة وأهلها في خصوم السنة، بل صار حامل لواء الحرب عليها، وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام "[356].

وربيع المدخلي لم يكن له تلك الشهرة في تلك الفترة، وستنشر كذلك نقد محمد موسى نصر للغزالي[357].

ويظهر توجه الجماعة ومجلتها في العدد الحادي عشر حيث اعترض بعض أنصارها على نشرها لصورة شعار المخابرات الأمريكية حيث تضمن رأس نسر، فاعتذرت في العدد اللاحق على هذا بأنه سقط سهوًا [358]، حيث يندرج هذا تحت موقفهم من تحريم التصوير لذوات الأرواح ويظهر هذا في الحرص على عدم ظهور أي صورة لكائن حي في المجلة.

ستنشر رسالة تحكيم القوانين لمحمد بن إبراهيم مفتي السعودية في وقته، واعتبار التحاكم إليها بدل الكتاب والسنة أنه كفر أكبر مستبين [359]، على أنها في نفس الوقت ستشن حملة

[355] انظر: المجاهد، العدد 5، ص 50.

[356] مجلة المجاهد، العدد: 9، ص 21.

[357] انظر: المجاهد، العدد 20، ص 44.

[358] انظر: المجاهد، العدد 11، ص 2.

[359] انظر، المجاهد العدد 15، ص 22.

على "**جماعة من الناس يحملون عقيدة الخوارج، وهو تكفير المسلمين علماء وحكامًا**"[360]

وتذكر أنهم ينتشرون في أفغانستان.

نشرت قصائد جهادية لعائض القرني[361]، مقالات لأبي بكر الجزائري[362]، الألباني[363]، محمد جميل زينو[364]، سليم الهلالي[365]، علي الحلبي[366]، عدنان عرعور[367]، وغيرهم من شخصيات محسوبة على التوجه السلفي في تلك الفترة.

---

[360] المجاهد، العدد 22، ص 25.

[361] انظر: المجاهد، 2، ص 52، عدد 3، ص 51 .

[362] انظر: المجاهد 2، ص 54.

[363] انظر: المجاهد العدد 4، ص 38.

[364] انظر: المجاهد، العدد 9، ص 46.

[365] انظر: المجاهد العدد 13، ص 30.

[366] انظر: المجاهد، العدد 13، ص 36.

[367] انظر: المجاهد، العدد 16، ص 29.

عبد الله عزّام؛ جذور وامتداد..

نشأ عبد الله عزّام نشأة إخوانية، وكان يعتبر أن **مدرسة الخط الأصيل (الإسلام): يتزعمها حسن البنا (جماعة الإخوان المسلمين)** [368]، كان في هذا الأمر يصوغ وجود ممثل للإسلام بجماعة معينة يعبر عنها أحيانًا كثيرة بقوله **(الحركة الإسلامية)**، وكان في هذا تماهٍ بين الإسلام كمنهج، وبين جماعة معينة لها مقالاتها وتصوراتها وسياساتها، ويرى عزّام أن التآمر الغربي يستهدف **"الإسلام ممثلًا بالحركة الإسلامية"**[369].

لقد كان اعتبار استهداف الإسلام متجسدًا في حركة الإخوان قديمًا في أدبيات الإخوان المسلمين، فقد كتبت زينب الغزالي وهي التي استضيفت على صفحات مجلات الفصائل الأفغانية عدة مرات ومن بينها مجلة الجهاد التابعة لعزّام:

" إن جمال عبد الناصر كافر يحارب الإسلام في شخص جماعة الإخوان المسلمين"[370].

وقالت: **" إن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين لم يكن خبط عشواء من حسن البنا، ولكنه كان تنفيذًا لأمر أراده الله لتجديد هذا الدين بإقامة دولته وتنفيذ شريعته، ولذا ليس من حق جمال عبد الناصر حل جماعة الإخوان "**[371].

---

[368] انظر: الذخائر، ج 1، ص 911.

[369] الذخائر، ج 2، ص 54.

[370] أيام من حياتي، زينب الغزالي، نسخة إلكترونية، ص 59.

[371] أيام من حياتي، ص 37.

هذه النظرة ستنعكس بوجه عام على التيارات الجهادية المتنوعة، وصاروا يقولون أحيانًا مكان (**الحركة الإسلامية**): (**الحركة الجهادية**)[372]، و(**إخوة المنهج**)، و(**التيار الجهادي**) ونحو هذا، وليس واضحًا الحد الفاصل بين من يختلف معهم كتيار، أو تنظيم له آراؤه وسياساته، وبين الإسلام كدين، فمن طالب بتفكيك تنظيم تأسس بأمر الله بنظر أعضائه، كان مطلبه مرادفًا لإزالة الإسلام بهذه الذهنية، ومن هنا فقد يكرر قائلهم كلمة زينب الغزالي[373] فيضحي المخالف لتلك التيارات يحارب الإسلام في شخص جماعتهم.

كان لعزّام ميولٌ سلفية، وبالتالي كان يجالس الألباني في الأردن، ويعتبره من شيوخه، إلا أن الألباني سينقد سيّد قطب ويتهمه بأنه يقول بوحدة الوجود، وسيصدر الإخوان في الأردن قرارًا بمنع عناصرهم من حضور حلقات الألباني، **<u>ويلتزم عزّام بهذا القرار التنظيمي، فلا يعود إلى حضور تلك الحلقات</u>**، حتى إنه لما قابل بعدها الألباني، وسلم عليه الألباني، رد عليه السلام باستحياء، وقال له: سحابة صيف عما قريب ستنقشع[374]، وقد رد عزّام على نقد الألباني لسيّد قطب فيما بعد بمقالة مفردة[375].

ورغم انتمائه إلى الإخوان، إلا أنه قد وقع بينه وبين إخوان الأردن جفوة، وخلافات عبر عنها بوثيقة مفردة[376]، ورغم هذه الخلافات، إلا أنه بقي متمسكًا بخط الإخوان، سواء على صعيد الفكر، أو على صعيد الإطار التنظيمي، ورغم نشاطه في التحريض على قدوم

---

372 في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية والثلاثون، 2003 م، ج 3، ص 1736.

373 كان عزّام يثني جدًا على موقف الغزالي من جمال عبد الناصر، انظر: الذخائر، ج 3، ص 34.

374 انظر يوتيوب: كلام الشيخ الألباني عن عبد الله عزّام وسيّد قطب، دقيقة: 1.

375 انظر: الذخائر، ج 1، 813.

376 انظر: الذخائر، ج 1، ص 911.

الشباب إلى أفغانستان وما أفرزه هذا من تعارض مع خط الإخوان في بلدانهم إلا أنه لم يصل حد "**انفصاله عنهم**" [377] كما زعم صالح الهامي، ومن هنا كان اقتراحه على مكتب الإرشاد إرسال موفدين منهم لتحويل أفغانستان ككل إلى إخوان مسلمين خلال عامين.

إن أهم ما سيشكله عزّام فكريًا، وتنقلب تبعات الأمر عليه وعلى الإخوان وسيؤثر في جماعات عديدة بعده، هو نظرته عن القتال كفرضية عينية، فيرى أن الجهاد هو "**القتال في سبيل الله**"[378]، ويرى أن "**القتال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض**"[379]، باستثناء الأعمى والأعرج والمستضعف من الرجال والنساء والولدان، فـ"**كل من لقي الله غيرَ أولي الضرر دون أن تكون بندقيته في يده فإنه يلقى الله آثمًا لأنه تارك للقتال** " [380]، هذا الفرض العيني يرى عزّام أنه لا يختلف تركه عن ترك غيره من الفروض كالصلاة، فيقول:

" لا أرى والله أعلم أي فرق اليوم بين تارك القتال في سبيل الله، وبين تارك الصلاة والصيام والزكاة "[381].

إنه بهذا يوحي بصبغ فعل القتال بالتعبدية المحضة، أكثر من كونه معاملة معلّلة كما هي باقي أبواب المعاملات في الفقه.

---

377 فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي والجهاد الأفغاني، صالح الهامي، ص 67.

378 الذخائر، ج 1، ص 1009.

379 الذخائر، ج1، ص 1009.

380 الذخائر، ج 1، ص 1009.

381 الذخائر، ج 1، ص 1009.

وكما أن الصلاة لا إذن لأحد على أحد في أدائها فكذلك القتال في سبيل الله، وفي هذا التأسيس الفكري يسحب البساط من تحت كافة الجماعات الإسلامية بما فيها الإخوان، فيقول:

" لا إذن لأحد اليوم في القتال والنفير في سبيل الله، لا إذن لوالد على ولده، ولا لزوج على زوجته، ولا لدائن على مدينة، ولا لشيخ على تلميذه، ولا لأمير على مأموره "[382].

إنه يوجه نقده للتيارات الإسلامية باختلافها، وينزع شرعية أي سلطة لهم على أتباعهم، ويأمر الأتباع برفع السلاح دون أي إذن، ودون أي استشارة، يقول:

" لا يعفي عن مسؤولية ترك الجهاد شيء سواء كان ذلك دعوة، أو تأليفًا، أو تربية أو غير ذلك "[383].

لقد حمل بتأصيلاته هذه بذور الخروج عن القيادات العلمية، الدعوية، الحركية، السياسية وغيرها لصالح النزعة العسكرية المحضة، وهو بهذا يحطم وجود أي قيادة سياسية للعمل العسكري، وقد نقد ماوتسي تونغ هذا التوجه، ووصفه بقوله:

" يعتبر هؤلاء أن الشؤون العسكرية والشؤون السياسية تتعارضان، ويرفضون الاعتراف بأن الشؤون العسكرية ما هي سوى وسيلة من الوسائل لإنجاز المهمات السياسية، وبعضهم يتمادى إلى حد أن يعتبر أن الشؤون العسكرية تقود الشؤون السياسية إذ يقول:

382 الذخائر، ج 1، ص 1009.

383 الذخائر، ج 1، 1009.

من الطبيعي أن يكون المرء جيدًا سياسيًا إذا ما كان جيدًا عسكريًا، وإذا لم يكن جيدًا عسكريًا يستحيل أن يكون جيدًا سياسيًا "[384].

وكأن عزّام يعيد صياغة كلامهم هذا بقوله:

" المعركة والجهاد في سبيل الله هي التي تفرز القيادات، وتبرز الرجال من خلال التضحيات"[385]، ومن هنا فلا حاجة **" إلى دعاية انتخابية، ولا للاشتراك في قائمة المرشحين "** [386].

بل كان يستخف بالشأن السياسي لحساب الجانب العسكري، فيقول: " **السياسة وما إلى ذلك لا قيمة له، القيمة للسلاح، القيمة للمعارك** "[387].

إن آخر امتداد لأفكار عزّام من كون القتال متعينًا، لا إذن فيه لأحد لا والد ولا شيخ، ولا أمير، وأنه من لم يحمل البندقية آثم، ستتمثل في أفكار أبي مصعب السوري والتي صاغها بعده، فأيدلوجية عزّام المذكورة تشكل الدعامة الأساسية لها، فيقوم بـ **" دعوة الشباب وعموم المسلمين لممارسة المقاومة الفردية، بحيث لا تعتمد المقاومة على هياكل ومنظومة شبكية وهرمية"**[388].

---

[384] مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين: 1968 م، ج 1، ص154، بتصرف يسير.

[385] الذخائر، ج 1، ص 657.

[386] الذخائر، ج 1، ص 657.

[387] الذخائر، ج 3، ص 917.

[388] دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص 54.

وهذا يعني انفصال العمل الفردي هذا عن أي قيادة سياسية، أو حتى عسكرية! ولطبيعة التأصيل الذي اعتمده عزّام بالمقاربة بين كون هذا العمل دينيًا يماثل الصلاة والصيام، فبهذا يمتنع على أي قيادة سياسية أو عسكرية الإشراف على المنخرطين في سلك العمل العنيف، وبالتالي لا يمكنهم فصل أو منع من يريد أن يمارسه بأي قرار إداري مهما كانت تجاوزات الفاعل! أو حتى تأخيره ليحصل على تأهيل معين، فإنهم إذا ما منعوه فبإمكانه أن ينفِّذ وحده ما يريد، فلا إذن لهم بمنع المتعين عليه، وهذا يعني عدم وجود أي تنسيق بينهم.

فيظهر بهذا إمكان تعارض الأعمال فيما بينها، كذلك اختلاط الأعمال السياسية بأخرى جنائية أو مخابراتية معادية أو حتى أخطاء الفاعلين التابعين للفكرة دون إمكانية للتميز بينها، ولا يمكن لأي تيار سياسي يدعو لمثل كلام السوري نفي هذه الأعمال أو تبنيها! وبالتالي تسقط إمكانية توظيفها في أي هدف سياسي، وهذا يعني بالمعنى الحرفي والأكيد للكلمة بأنه يدعو إلى فوضى بحتة، فهي أعمال إرهاب فوضوي تصيب أي حركة سياسية تمارسها في مقتل على صعيد التأييد الشعبي والرفض العالمي فضلًا عن انفصال السياسي فيها عن العسكري، فضلًا عن انفصال القيادة عن العناصر، إنه انتحار سياسي بكل معنى الكلمة، كتب تروتسكي: "**الإرهاب يمكن أن يودي بالثورة**"[389].

[389] النبي المسلح (تروتسكي 1879 – 1921)، إسحق دويتشر، ترجمه وقدم له: كميل قيصر داغر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 357.

وحتى لو تم العمل تحت إطارٍ جماعي فإنه يحمل كذلك بذور الانشقاق بين الجماعات المقاتلة حد التشظي بأشنع صورة متخيلة دون أي هدف سياسي واقعي يمكن للخرّيت أن يستشفه من بين مجمل أعمالها، أو استعراض أهدافها المحتملة! فلا يمكن توقع أي شيء، وبالتالي لا يعزز أي ثقل لأي قيادة سياسية تتبناه، إن خير تعبير عن هذه الحالة هي أن "**كل واحد معه عشرون أو ثلاثون فردًا، هو دولة مستقلة ذات سيادة، لا يصغي إلى أحد ولا أحد يصغي إليه** "[390].

لا يمكن تبرئة عزّام من تبعات هذا الامتداد وهو نفسه القائل: "**كما أنني أبحث عن عمل في الكويت، فإذا فقدته أبحث عن عمل في السعودية، ثم أبحث عن عمل في الأردن، فإذا وجدت عملًا في أقصى الأرض أشتغل به، فوظيفتي كمسلم أن أقاتل في أرض الأردن، في أرض فلسطين، فإذا وجدت عملًا في أقصى الأرض باكستان، أفغانستان، في الفلبين... المهم أن أجد وظيفة أعمل بها عند رب العالمين** "[391].

ويقول: " **هل يقاتل الإنسان وحده إذا قعد الناس؟**

نعم يقاتل، لأن الله يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم قائلًا: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾[392].

---

390 انظر: يوتيوب: برنامج أجرأ كلام، القاهرة والناس، نبيل نعيم. دقيقة 9.

391 الذخائر، ج 3، ص 568.

392 النساء، 134.

فالآية تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأمرين واجبين لأن الأمر للوجوب:

1 – القتال ولو وحده.

2 – تحريض المؤمنين "[393].

وسيأتي بيان ثغرات هذا الكلام التأصيلية، في آخر هذا الكتاب.

لقد كانت الدعاية الخطابية التي يقودها عزّام مسلحًا بهذه الأيدلوجيا تشكل ثقبًا أسود يمتص الشباب من حركاتهم وجماعاتهم ومشايخهم، والتي لم ترد أن تنحل إلى مشروع عزّام في أفغانستان، ومن هنا ستفطن القيادات في جماعة الإخوان لخطورة هذه الدعاية عليهم، ليحاولوا منع انفراط أنصارهم عنهم ليذهبوا إلى بيشاور، يقول عزّام: [394] **"الحركة الإسلامية تبخل علي بأبنائها".**

وكانت تأصيلاته في عينية النفير، والقتال في أفغانستان، سببًا كبيرًا في تجمع التيارات الإسلامية على اختلاف مشاربها وخلافاتها في تلك الساحة، وكان مكتب الخدمات الذي أسسه، والذي يصوره بأنه مكتب لا يهتم بنقل الخلافات العربية الحزبية إلى ساحة بيشاور، فيقول: **"مكتب الخدمات جماعة الجماعات"** [395]، إلا أنه في الواقع كان يعمل على تهيئة الظروف لانخراط القادمين تحت قيادة من (الحركة الإسلامية)، أي جماعة الإخوان المسلمين وسعى لذلك بكل جهده.

---

[393] الذخائر، ج 1، ص 134.

[394] يوتيوب: رحلتي مع الجهاد، الحلقة الثامنة، دقيقة: 23.

[395] انظر يوتيوب: جماعة الجماعات للشيخ عبد الله عزّام.

إن هذا التأصيل الذي يقول به عزّام سيواجه تبعاته عندما يتفلت غيره من طاعته، إذ القتال لا إذن فيه لأمير ولا مأمور، فلم يتم استثناء عزّام نفسه من الحكاية، أو غيره من قيادات الحركة الإسلامية (الإخوان) في أفغانستان؟

ومن هنا ستبرز ازدواجية في طرح عزّام لا يمكن الجمع بينها وبين ما سبق، فعزّام مع سحبه للبساط من تحت الجماعات المختلفة، يريد من الشباب الذين حملوا السلاح الخضوع لسلطة الحركة الإسلامية (الإخوان) عليهم! فقد رأى أن " **الحركة الإسلامية في أفغانستان هي بنتٌ من بنات الحركة الإسلامية الأم التي نشأت في مصر**"[396]، ولتجاوز تفلت الشباب من تحت قيادتها يقول: " **الجهاد عبادة جماعية لا تقوم إلا بوجود جماعة تواجه المجتمع الجاهل أو الكافر**"[397]، ولكن من يقود العمل الجماعي هذا؟

" **إذا فقد الإمام فإن العلماء يقومون مقام الإمام، أو الرؤساء المطاعون، ويصبح أمير الحركة الإسلامية والمهابون المطاعون الذين عرفوا بالتقوى والعلم وسادة القوم هم أولي الأمر** "[398].

إنه بطريقة اعتباطية الآن يريدهم أن يتحدوا بجماعة تحت أمير الحركة الإسلامية! الذي وضع على رأس السلطة عليهم، لأنه عرف بالتقوى والعلم! إنهم ينبغي عليهم كافتراض

---

[396] الذخائر، ج 3، ص 121.

[397] الذخائر، ج 1، ص 152.

[398] الذخائر، ج 1، ص 152.

أولي أن ينضووا تحت جماعة الإخوان المسلمين، وكأنه يستحضر كلمات سعيد حوى أحد كبار المساهمين في تفكير عزّام القائل:

" إن جماعة الإخوان لا غيرها هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها "[399]، إذ **" دعوة الإخوان المسلمين وحدها هي الجسم الذي على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامي في العالم "**[400]! وهذه الجملة الأخيرة وردت في كتاب تتضح أهميته عند عزّام وهو يقول في رثاء سعيد حوى: **"سنبقى على الجادة سائرين... نستعين بآرائك كيف لا وعندنا (دروس في العمل الإسلامي) "**[401].

أما موقفه من الحكومات فقد وصل إلى حد التكفير، مرات بالتلميح، وأخرى بالتصريح، وكانت سطور مجلة الجهاد تبين أن الهجرة إلى أفغانستان مثل الهجرة الأولى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين خلت الأرض من بقعة تدين لله عز وجل! تلك المنطقة التي قال فيها:

" أبشركم بأن دولة الإسلام ستقوم في أفغانستان بإذن الله... وأبشركم أن ما أظن أن يزيد على عيد الأضحى على أقصى حد أن تقوم أول دولة إسلامية على رؤوس الرماح والسيوف " [402].

---

[399] المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، سعيد حوى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة: 1984، ص 24.

[400] دروس في العمل الإسلامي، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثالثة: 1983 م، ص 22.

[401] الذخائر، ج 1، ص 796.

[402] الذخائر، ج 3، ص 471.

وإن كان يفتقد إلى الاتساق والتزام آخر نتائج كلامه، بل كان مثل باقي شعاراته التي تعاني من ازدواجية، فمثلًا يقول بتكفير الحكومات، ثم يحاول أن يقول بإسلام ضياء الحق لأنه يدعم الجهاد الأفغاني مثلًا، وهكذا يحاول أن يجعل للإخوان، ومن وافق مشروعهم أو التقى معهم حيزًا للاستثناء من الشعارات الكبيرة التي يطلقها.

سيحاول كثيرون من جماعة الإخوان التنصل من تكفير عزّام للحكومات فيما بعد لثقل تبعاته عليهم، وسيتم تصوير الأمر وكأنه حكر على الجماعات التي يصفونها بـ (**التكفيرية**) وأنها كانت وافدة وشاذة عن الجهاد الأفغاني، ويبرز اسم ابنه حذيفة اليوم من بين المنافحين ضد ما سمّاه باستغلال اسم أبيه من (**التكفيريين**) بنظره، في حين



الصورة لحذيفة عزّام أثناء كلمته في حفل تأبيني أقامته الجمعية الإسلامية في أفغانستان تكريمًا لعبد الله عزّام، بتاريخ: 7/ 12/ 1989 .

أن حذيفة نفسه، في كلمة له في حفل تأبيني لوالده أقامته الجمعية الإسلامية في أفغانستان، قال:

" إن الدول الكافرة لترضى أن يقوم الإنسان في بلده ويتعبد في المسجد فيصلي الصلوات الخمس، ويقرأ القرآن، ويتكلم عن الجهاد، أما حينما يبدأ التنفيذ العملي فإن الدول الكافرة لا ترضى بهذا، ولا أي قوة أخرى ترضى به.

كان الشيخ يبحث عن بقعة واحدة يستطيع أن يقول فيها لا إله إلا الله دون أن يمنعه أي حاكم ويمنعه أي متسلط ومتجبر "[403].

فهو يبين أن عزّام كان يبحث عن بقعة واحدة فقط ليقول فيها بشهادة التوحيد (كذا!) علمًا أنه كان في السعودية عام 1981 للعمل في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، قبل أن يسافر إلى إسلام أباد، ويقترب من المجاهدين الأفغان، **"وحينها وجد ضالته، وقال: هؤلاء الذين كنت أبحث عنهم منذ زمن بعيد "** [404]، وهذا سبب وجود عزّام في أفغانستان، تلك التي يرى عزّام أنها **" الفرصة الذهبية السانحة الآن في الأرض كلها لإقامة حكم الله في الأرض "**[405].

ويظهر أن ابنه حذيفة في تلك الفترة وهو يقول: " كان الشيخ يبحث عن بقعة واحدة يستطيع أن يقول فيها لا إله إلا الله " يستلهم كلمات سيد قطب وهو يقول: **" متى استقرت عقيدة (لا إله إلا الله) في أعماقها الغائرة البعيدة، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه لا إله إلا الله "** [406].

ثم صار لحذيفة آراؤه المختلفة عن خطابه الذي ألقاه عقب وفاة أبيه، ولا يظهر أنه حريص على الفصل بينها وبين تراث أبيه، فهو يحاول عادة أن يلعب دور بابا الكاثوليك

---

[403] المجاهدون، العدد 20، ص 19.

[404] الشهيد عبد الله عزّام رجل دعوة ومدرسة جهاد، حسني أدهم جرار، دار الضياء، عمان – الأردن، ص 24.

[405] الذخائر، ج1، ص 238.

[406] معالم في الطريق، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة، 1979 م، ص 32.

مع الكتاب المقدس، في تعامله مع تراث أبيه، رغم مخالفته له كثيرًا، على سبيل المثال قوله:

" **بصراحة أرفض مصطلح الإرهاب** " [407]، في حين كان أبوه يقول:

" **هذا الدين إرهابي؟! نعم إرهابي!! المسلمون إرهابيون؟! نحن إرهابيون!! الإرهاب فرض من الله عز وجل! فرض** "! [408].

في تجاهل منه لما في هذا المصطلح عصريًا من دلالات سياسية للعنف الأهوج الذي يطال العزّل من الناس، ولقد كان لسيد إمام رسالة في تسويغ أحداث سبتمبر بعنوان: (**هذا بيان للناس: الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر**) وهو في هذا العنوان أقرب للتماهي مع كلمات عزّام من ابنه حذيفة.

وقد سبق قول عزّام: " أما باقي المسلمين في الأرض **فالجهاد فرض عليهم في بلادهم ليقيموا شرع الله** ويطردوا الكفار "[409]، ولذا يمتدح سيد قطب الذي وصفه بأنه "**المفكر العملاق الشهيد**"[410] بأنه تزعم مجموعة مسلحة لقلب نظام الحكم في مصر، فقال:

" أسندت تهمة الخيانة العظمى له **بترؤس تنظيم إرهابي يدعو إلى قلب نظام الحكم بالقوة، وهذه حقيقة**، وكلمة حق أريد بها باطل، **فصاحب الحق يدعو لانتصار دينه**

---

[407] انظر لقاءه مع الشرق الأوسط اللندنية:

http://www.rpcst.com/pass/om-7.htm

[408] الذخائر، ج3، ص 50.

[409] آيات الرحمن في جهاد الأفغان، ص 165.

[410] الذخائر، ج 1، ص 404.

وتطبيق الإسلام في كل مجالات الحياة، ولا يهادن ولا يداهن ولا يتنازل عن هذا الحق الذي يطالب به "[411].

إن سيد قطب الذي تربى على كتبه قادة أفغان مثل رباني وسيّاف وحكمتيار وخالص[412]، وقد ترجم سيّاف له كتاب (**معالم في الطريق**) [413]، بلغ تأثيره في الساحة الأفغانية ما يصفه عزّام بقوله:

"الذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي، وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، حتى إن بعضهم لا يطلب منك لباسًا وإن كان عاريًا، ولا طعامًا وإن كان جائعًا، ولا سلاحًا وإن كان أعزل، ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب"[414].

لقد كان تأثيره على عزّام هائلًا، وله كتاب بعنوان: **"عملاق الفكر الإسلامي، سيد قطب"** [415].

يقول عزّام: **" ما تأثرت بكاتب كتب الفكر الإسلامي، أكثر مما تأثرت بسيد قطب "** [416]، إن أفكار قطب كانت محورية في تفكيره وتفكير غيره ممن جمعتهم الساحة الأفغانية كأيمن الظواهري، وقد أرَّخ الظواهري لبداية ما سماه بـ (**الحركة الجهادية**) بالصدام مع النظام

---

[411] الذخائر، ج 1، ص 811.

[412] انظر: الذخائر، ج 1، ص 627.

[413] انظر: البنيان المرصوص، العدد 31، ص 32.

[414] الذخائر، ج 2، ص 57.

[415] الذخائر، ج 1، ص 802.

[416] الذخائر، ج 2، ص 56، شيخي الذي عرفت، ص 155.

واغتيال قطب، فقال: " **بدأت الحركة الجهادية في مصر مسيرتها الحالية ضد النظام بعد منتصف الستينات حينما قام النظام الناصري بحملته الشهيرة في سنة 1965 ضد الإخوان المسلمين، وأودع السجون سبعة عشر ألف مسلم، وتم إعدام الأستاذ سيد قطب رحمه الله**" [417].

بل كان من نقد الظواهري للإخوان أنهم لم يأخذوا بثأر سيد قطب [418]، كذلك تأثر به سيد إمام [419]، ومروان حديد [420] وغيرهم الكثير.

سيد قطب الذي سيلخص أفكاره في كتاب (**معالم في الطريق**) معطيًا فيه صورة قاتمة عن العالم فيقول: " **العالم يعيش اليوم كله في جاهلية... هذه الجاهلية تقوم على الاعتداء على سلطان الله في الأرض** "[421]، " **نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية** " [422].

ويبرز هنا سؤال وهو: إلى أي درجة كان في كلامه هذا تكفير لعموم الناس بمن فيهم من مسلمين؟

---

417 فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، أيمن الظواهري، عن موقع منبر التوحيد والجهاد، نسخة إلكترونية.

418 انظر: الحصاد المر، أيمن الظواهري، مركز الفجر للإعلام، ص 114.

419 انظر: الجريدة، العدد: 152، ص 13.

420 انظر: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص 741.

421 معالم في الطريق، ص 8.

422 معالم في الطريق، ص 17.

لقد نفى سيد قطب في التحقيقات معه اعتبار أن ما قاله يحمل على تكفير المسلمين، وإن حمل إقرارًا منه بأنه يشمل الحديث عن المجتمعات الإسلامية أيضًا، فقال:

"إننا لم نكفر الناس وهذا نقل مشوه وإنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة، وعدم تصور مدلولها الصحيح، والبعد عن الحياة الإسلامية، إلى حال تشبه المجتمعات الجاهلية " [423].

ولكنّ كلامه هذا كان في ظروف التحقيق، وما يستدعي ذلك من ضغط على المتهم وخوف من شبح الإدانة القضائية، ولا يتفق مع نصوص ما كتبه في كتابه (**المعالم**) التي يقول فيها:

" المسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد... إن الناس ليسوا مسلمين كما يدعون وهم يحيون حياة جاهلية " [424].

أو ما كتبه في (ظلال القرآن):

" لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله، دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها..." [425].

---

[423] لماذا أعدموني، سيّد قطب، نسخة إلكتروني عن موقع التوحيد الخالص، ص 22.

[424] معالم في الطريق، ص 158.

[425] في ظلال القرآن، ج 2، ص 1057.

وفي حديثه الخاص مع علي عشماوي الذي يقرّ سيد قطب بعلاقته التنظيمية به إلى درجة عليا [426]، يتحدث عشماوي عن تأثير أفكار سيد عن إحاطة الجاهلية بهم على عناصر الإخوان، إلى درجة أن أحد الإخوان امتنع عن أكل اللحم من الذبيحة التي يذبحها مسلمون، ورفع عشماوي الأمر إلى سيد، فقال له سيد قطب: " **دعهم يأكلوها، فليعتبروها ذبيحة أهل كتاب، على الأقل المسلمون الآن هم أهل كتاب** "[427].

أمام هذه التركة الثقيلة سيصرح يوسف القرضاوي سنة: 2009 بأن أفكار "قطب" فيها خروج عن أهل السنة حيث قال بأن قطب أخطأ في قضية تكفير مجموع المسلمين ورأى بأن كلامه واضح ولا يحتمل أي تأويل خاصة في كتاباته المتأخرة كـ(معالم في الطريق)، أمّا حجر الزاوية في تصريحه فهو قوله: بأن هذه الأفكار التكفيرية **لا توافق فكر الإخوان المسلمين، لأن فكر الإخوان ليس فيه تكفير**، حسبما تحدث [428].

---

[426] انظر: التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، ص 38.

[427] التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، ص 172.

[428] نشر كلامه تحت عنوان (القرضاوى: أفكار "قطب" لا تنتمي للإخوان وفيها خروج على أهل السنة) على موقع إسلام أونلاين بداية، ثم حذف، وقد رفع كلامه بنفس العنوان على موقع: https://paltoday.ps/ar.

ولكن ما الدليل على أنه لا يوافق فكر الإخوان؟ الجواب التقليدي الأكثر شيوعًا يتمحور حول التالي:

" قام حسن الهضيبي المرشد الثاني بعد حسن البنا – أثناء فترة سجنه عام 1969 بإجراء مراجعة لفكر الإخوان الذي ظهر خلال فترة الصدام مع النظام الناصري وعلى وجه التحديد **ما ارتبط منه باجتهادات سيد قطب،** فأكد في المراجعة على فكر الجماعة كما استقر به الأمر إبان حياة المؤسس حسن البنا، ووفقًا للأصول العشرين، وهو عدم تكفير أي من المسلمين، وأن واجب الدعاة هو الدعوة إلى الله فقط أما الحكم بالكفر من غيره فليس إليهم، وذلك في كتاب (**دعاة لا قضاة**) "[429].

وقد كتب أحدهم في بيان جهود الإخوان في هذا: " لقد أدت جهود الإخوان، **وخاصة تلك الجهود التي بذلها الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله**، والتي منها كتاب (**دعاة لا قضاة**)

[429] منهج حركة الإخوان المسلمين ورؤاها الفكرية، شفيق منير، منشور على موقع الجزيرة: http://www.aljazeera.net.

الذي ألفه للتصدي لظاهرة التكفير، كان لهذه الجهود بفضل الله الأثر العظيم في محاصرة الفكر التكفيري في مصر، والحد من انتشاره "[430].

ولقد نصح شيخ الأزهر الحالي (**أحمد الطيب**) الشبابَ بقراءة كتاب (**دعاة لا قضاة**) لحسن الهضيبي، الذي رأى بأنه "**يرد فيه ردًا مفصلًا ومفحمًا على معاصريه المودودي وسيد قطب**"[431]. فهل صادم حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان حينها أفكار سيد قطب؟ أم هل رد بحق عليها، ونحو هذا من جهود محسوبة على الجماعة؟

الواقع أن تاريخ كتاب (**دعاة لا قضاة**) مثيرٌ للريبة ابتداءً، فقد تم الانتهاء من تأليفه في 1969، وتم تعميمه على المسجونين من جماعة الإخوان في نفس العام، إلا أنه لم ينشر من مطابع الإخوان إلا في عام 1977 [432]، عن (**دار الدعوة**) وهي تابعة لجماعة الإخوان المسلمين [433]، أي لقد **تأخر صدوره مطبوعًا منهم لمدة 8 سنوات متتالية عن شخصية لها وزنها عند الإخوان فكيف وهو المرشد**؟ وهم الذين يتلقفون كلماته وبياناته، ويسارعون في نشر مطبوعات غيره من الجماعة [434]، كما أن الكتاب في قضية ملحّة تتعلق بالتكفير ففي فترة حرجة من تاريخ الجماعة بعد إعدام سيد قطب 1966، وانتشار جماعات بعده مثل

---

[430] (الإخوان المسلمون بين الحقيقة والافتراء) لمحمود حسن جناحي، على رابط:
http://maqalati.com/23.htm

[431] شيخ الأزهر ناصحًا الشباب: اقرأوا كتاب الهضيبي دعاة لا قضاة، على موقع (المصريون):
.https://almesryoon.com

[432] انظر: شخصيات لها عجب، صلاح عيسى، نهضة مصر، 2010، ص 105.

[433] انظر: مجلة البيان – (كتاب «دعاة لا قضاة» لحسن الهضيبي رحمه الله تعالى):
.https://albayan.co.uk/RSC/print.aspx?id=3553

[434] انظر: هل ألّف المستشار حسن الهضيبي "دعاة لا قضاة"؟، لعلي العميم، على موقع (المجلة؛ مجلة العرب الدولية):
.http://arb.majalla.com

جماعة شكري مصطفى الذي أفرج عنه في أواخر سنة 1971، بعد أن لبث في سجن ليمان طرة ست سنوات [435]، وعاشره الإخوان في السجن وعرفوا أفكاره وطموحاته، فقد كان توّاقًا لأن يصبح أميرًا [436]، فأسس (**جماعة المسلمين**) الذين لجأوا إلى المغارات والكهوف سنة 1973 [437]، وكان من يخرج منهم يطلّقون عليه زوجته ويزوجونها لآخر من الجماعة كما في شهادة لأحد أعضاء الجماعة سابقًا عن سنة 1975 [438]، كل هذا ولا يخرج الكتاب من مطابعهم؟ أليس في هذا غرابة؟ مع العلم بأن الكتب الإخوانية لم يكن يضيّق عليها حينها، فقد استلم السادات منصب الرئاسة سنة: 1970 م، وعمل على إطلاق الإخوان لمواجهة الناصريين واليساريين، حتى خلت منهم السجون سنة 1974 م [439]، فما قصة تأليف هذا الكتاب؟

يقول علي جريشة: "**كتب الإمام الهضيبي بمساعدة ابنه الأستاذ المأمون كتاب (دعاة لا قضاة)، والأستاذ المأمون هو كاتب معظم الكتاب بإقرار وموافقة والده، فالاثنان هما اللذان ألّفا الكتاب** "[440]، فهنا له مؤلفان وليس مؤلفًا واحدًا كما وضع على غلافه، بل معظمه من ابنه مأمون وليس منه!

---

[435] انظر: جماعة المسلمين، محمد سرور زين العابدين، دار الجابية، لندن – بريطانيا، الطبعة الرابعة، ص 392.

[436] انظر: جماعة المسلمين، ص 394.

[437] انظر: جماعة المسلمين، ص 406.

[438] انظر: جماعة المسلمين، ص 407.

[439] انظر: الاخوان تاريخ طويل من قرارات الحظر والقضايا والمواجهات مع النظام، على موقع القدس العربي: http://www.alquds.co.uk.

[440] انظر: مجلة البيان – (كتاب «دعاة لا قضاة» لحسن الهضيبي رحمه الله تعالى).

في حين يقول سالم البهنساوي: "**البحوث التي تداولها الإخوان في السجون وراجعها وصححها المرشد العام وهي التي نشرت بعد ذلك في كتاب (دعاة لا قضاة)**"[441]، فهذا يستفاد منه أن الهضيبي لم يكتب منها أي حرف، بل كانت بحوثًا موجودة ويجري تداولها بين الإخوان في السجون، راجعها الهضيبي وصححها فحسب! فلِمَ كتب اسمه عليها إذًا!؟

أما ثالثة الأثافي فهي أن حسن الهضيبي نفسه كان قد اطلع على (معالم في الطريق) لسيد قطب، واستأذنه قطب بنشره، فأذن له وبالغ في مدح الكتاب والثناء عليه.

تقول زينب الغزالي:

" في عام 1962 التقيت بشقيقات الإمام الفقيه والمجاهد الكبير الشهيد سيد قطب... **بإذن من الأستاذ حسن الهضيبي، المرشد العام للإخوان المسلمين**... وبعد فترة رجعت إليّ حميدة... وأعطتني ملزمة من كتاب، قالت: إن سيد يعده للطبع، واسمه (**معالم في الطريق**) وكان سيد قطب قد ألفه في السجن... وعلمت أن **المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه**، وحين سألته قال لي: "**على بركة الله، إن هذا الكتاب حصر أملي كله في سيد، لقد قرأته وأعدت قراءته وأعدت قراءته، إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن إن شاء الله**"، **وأعطاني المرشد ملازم الكتاب فقرأتها، فقد**

441 شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر، سالم البهنساوي، دار الوفاء للطباعة والنشر التوزيع، المنصورة – مصر، الطبعة الثالثة: 1990 م، ص 264.

كانت عنده لأخذ الإذن بطبعها، وقد حبست نفسي في حجرة بيت المرشد حتى فرغت من قراءة (معالم في الطريق) "[442].

فيظهر مما سبق:

1. أن الهضيبي كان معجبًا جدًا بكتاب (**معالم في الطريق**) إلى القدر الذي جعله يحصر أمله كله في سيد قطب لأجله! وهذا يظهر أنه كان في الواقع تابعًا لأفكار سيد قطب، وهو الذي أذن بطباعته لأول مرة سنة 1962.
2. أن ابن الهضيبي مأمون له يد كبيرة في كتاب (**دعاة لا قضاة**).
3. لكنّ الكتاب نفسه كان موجودًا يدور على أيدي الإخوان في السجون، وأن الهضيبي اطلع عليه وصححه فقط! ومعنى هذا أنه لم يؤلفه.

فما هو وجه الجمع بين هذه الروايات؟

يوضح الأمر لأول مرة فؤاد علّام وكيل جهاز مباحث أمن الدولة الأسبق في مصر، فيقول:

" سرّ يذاع لأول مرة، أخطر كتاب لحسن الهضيبي، المرشد العام الأسبق للإخوان المسلمين، لم يؤلفه الهضيبي ولم يكتب حرفًا واحدًا فيه، وإنما صنعته مباحث أمن الدولة...

انتشرت أفكار التكفير التي غرس بذرتها سيد قطب وتبلورت في صورة عملية، مثل الدعوة إلى الخروج على الحاكم وعدم طاعته... وكان طبيعيًا أن نهتم بهذا الفكر بأسلوب

[442] أيام من حياتي، ص 20.

علمي، وأن نستعين **بمجموعة من كبار علماء الأزهر،** لأنه اتضح أن مثل هذه الأفكار تلقى رواجًا شديدًا بين أنصاف المثقفين، وكان للضغوط الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية التي يعانون منها أثر فعّال في سرعة انتشارها.

وخططنا في ذلك الوقت... ونجح الأمن في أن يدفع حسن الهضيبي دون أن يدري لأن يصدر كتاب (دعاة ولسنا قضاة) ليبدي رأيه في تلك الأفكار.

وحقيقة الأمر فإن حسن الهضيبي لم يشارك بأي رأي أو فتوى في هذا الكتاب، ولم يفعل فيه شيئًا، وإنما **تم إعداده بواسطة بعض علماء الأزهر**، ورسمنا خطة أمنية دقيقة، **لإدخال الأبحاث والآراء لبعض العناصر الإخوانية، في ليمان طره، وكانوا يجتمعون بمأمون الهضيبي**، ويناقشونه **ويسلمونه الأبحاث**.. و**قام بنسبتها إلى نفسه،** وسلمها إلى والده حسن الهضيبي **على أساس أنه هو الذي قام بإعدادها**، والحقيقة أنه لم يكن له أدنى علاقة بهذا الكتاب من قريب أو بعيد.

والذين شاركوا في إعداد الكتاب بجانب علماء الأزهر بعض المعتقلين من الإخوان الذين كانوا يتعاونون معنا، مثل عبد المتعال الجابري، وسعد الدين متولي إبراهيم، وتركنا حسن الهضيبي يسرّب الكتاب إلى خارج السجن دون أن يشعر، وسهلنا عملية طبعه ونشره، وسيفاجأ الإخوان بهذه المعلومة التي تذاع لأول مرة "[443].

[443] الإخوان وأنا؛ من المنشية إلى المنصة، لواء علّام، أخبار اليوم – طبعة خاصة بتصريح من المكتب المصري الحديث، ص 209، 212.

وبهذا يتضح أن كتاب (**دعاة لا قضاة**) ليس من الإخوان، بل من أمن الدولة، وأن الهضيبي لم يكن قد كتب فيه أي شيء، ويظهر أن حسن الهضيبي مسؤول بشكل مباشر بصفته المرشد العام للإخوان المسلمين عن صدور كتاب (معالم في الطريق) عام 1962 حين استأذنه سيد لطباعته، فأذن له ومدحه حتى حصر أمله فيه، وليس كما زعم القرضاوي بأن قطب لا يمثل الإخوان، إلا إذا كان المرشد العام لا يمثلهم فتلك حكاية أخرى!

وبالعودة إلى كلام سيد قطب في التحقيقات فقد أبرز مسألة مهمة في تفكيره وهو يقول: "**المسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية أكثر مما تتعلق بالحكم على الناس!** "[444].

وهذا الذي قاله مهم جدًا لفهمه؛ إذ إنه يُبرز إلى أي درجة لم يكن يهمّه الجانب التنظيري في طرحه، بقدر مسألة العمل نفسه، والحركة نفسها، ومن المفارقات أن سيّد قطب هو صاحب عبارة (**دعاة لا قضاة**) وليس الهضيبي على التحقيق [445]، وهذا يتفق مع نصوصه في الـ (**معالم**) فهو يرى الاهتمام بحركية العقيدة، لا أطرها النظرية فالعقيدة عنده ليست بـ(نظرية) و(لاهوت) ولا جدل كلامي [446]، يقول:

[444] لماذا أعدموني، ص 23.

[445] انظر يوتيوب: الشيخ الدكتور سلمان العودة: دعاة لا قضاة، حيث يقول سلمان بأنه سمع محمد قطب يقول بأن سيّد هو من قال هذه العبارة.

[446] انظر: معالم في الطريق، ص 37.

" كان القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حية واقعية.... مع الركام المعطل للفطرة... من ثم لم يكن شكل النظرية هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الخاص، إنما هو شكل المواجهة الحية، للعقابيل، والسدود، والحواجز والمعوقات النفسية والواقعية " [447].

لقد أكد مرارًا على أن العقيدة **صورة منظمة حية** ليست في صورة نظرية [448]، بل إنه يقول: **"تبلور النظرية من خلال الحركة "** [449].

فقد أزرى على الجانب التنظيري لحساب الجانب العملي، مما فتح مجالًا هائلًا لفراغ ينفتح على كافة الاحتمالات والارتجالية في اتخاذ المواقف مسبقًا، فعلى سبيل المثال مسألة الذبيحة، لو اعتبرهم كفارًا لصاروا مرتدين لا تؤكل ذبائحهم كما هو الموقف الفقهي من ذبيحة المرتد، أو هم مسلمون تؤكل ذبائحهم باعتبار إسلامهم دون قياس منه لهم على أهل الكتاب، أما أن يصيروا أهل كتاب تؤكل ذبائحهم، فهذا يظهر عدم عناية سيد بالأبجديات الفقهية وأنه لا يتحرك في إطارها، وإنما يعنيه الجانب العملي الذي تبرز فيه الحلول الارتجالية مع المواقف دون أهلية مسبقة للبحث فيها نظريًا باعتبار الفقه تخصصًا يحتاج مؤهّلًا للنظر في أبوابه، وإنما يعنيه التحرك، باعتبار المجتمعات جاهلية يجب العمل على تغييرها، بقطع النظر إلى أي درجة يمكن أن تصل هذه الشعارات في نتائجها الأخيرة منطقيًا من ناحية نظرية.

---

[447] معالم في الطريق، ص 37، 38.

[448] انظر: معالم في الطريق، ص 41.

[449] معالم في الطريق، ص 45.

ومن هنا فلم يكن يعنيه دلالة إطلاق الجاهلية على المجتمعات من ناحية التنزيل الفقهي، وما يستتبع ذلك من أحكام كالتكفير العام والمعين ومباحث الردة من مغلَّظة ومجردة، والتفريق بين الأفراد والطوائف الممتنعة، وعذر الجاهل من عدمه، مما ستنشغل به جماعات بعده، إنما كان هذا ضروريًا عنده من أجل التحرك، باستلهام الظرف الأول الذي نشأ فيه المسلمون في مكة، وقد أحاطت الجاهلية بهم، ولكن هذه المرة في مجتمعات إسلامية، ومن هنا ستبرز الإشكالية النظرية بتعقيداتها الفقهية!

ولهذا الموقف الذي لا يهتم بالتنظير، سينقم سيد على الذين يهتمون بوجود نظرية أو برنامج سياسي قبل استلامهم لدفة الحكم من الجاهلية! بل يرى بأن هذه من مؤامرة الجاهلية على العصبة المؤمنة، فالجاهلية عنده لما تطالب المؤمنين ببرامجهم وبيان طبيعة نظامهم تسوغ لنفسها نبذ الشريعة، واستبقاء عبودية البشر للبشر، وتريد صرف العصبة المؤمنة عن منهجها الرباني[450].

فالجاهلية لم تدن لله بالحاكمية، ومن هنا فليست من وظيفة العصبة المؤمنة أي تنظير، أو برنامج، بل الصدام إلى أبعد مدى معها لخلعها، واستلام الحكم ممن يدين لله بالحاكمية، أما البرامج فستبرز بطريقة تلقائية مع الممارسة! ولذا يقول:

" تتبلور فيها النظرية من خلال الحركة، وتتحدد ملامح النظام من خلال الممارسة، وتسن فيها التشريعات في مواجهة الحياة الإسلامية الواقعية بمشكلاتها الحقيقية "[451].

---

[450] انظر: معالم في الطريق، ص 45.

[451] معالم في الطريق، ص 45.

ويغفل قطب عن أنه "**لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية**"[452]، فالحركة دون إرشاد نظري ستكون خبط عشواء، وافتراضه بأن الحركة والممارسة نفسها هي التي ستتكفل بإفراز الأفكار والبرامج فهذا كمن يقول بأن مشي الأعمى كفيل بأن يرشده الطريقَ ويصحح له مساره! ويغفل أيضًا عن نفسه في حلوله التي يبديها للمشكلات العملية، فقد كان يبتكر حلولًا لم تكن منضبطة بالفقه، أليس في هذا اعتداءٌ منه على الحاكمية بمصطلحه؟! وهذا جانب سيورثه للعديد من الجماعات بعده، وهو **اعتبار نفسه جزءًا من الحل المنشود بمجرد انحيازه له في الشعار والعاطفة، لا أنه جزء من المشكلة باعتبار الواقع نفسه!**

لقد نادى لاعتباره أن الجاهلية أحاطت بالعالم بقطع الولاء مع هذه المجتمعات، فيقول: " **ليست مهمتنا أن نصطلح مع هذا المجتمع الجاهلي ولا أن ندين له بالولاء** "[453].

ومن هنا فلم تعد مشاكل هذه المجتمعات الاقتصادية والسياسية وغيرها تعنيه كثيرًا، فالمشكلة الأساسية بنظره دينية مرتبطة بسيطرة الجاهلية، ومن هنا فسيجري التفكير والحركة بمعزل إلى حد بعيد عن الوقائع لمشاكل هذه المجتمعات الاجتماعية والسياسية والفكرية.

تصل مبالغةُ قطب في شأن العمل على حساب النظرية إلى أن يقول: " **إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض المعركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة** "[454]، مما سيؤثر على عبد الله عزّام، ليقول بعده: "**الذين يفقهون هذا الدين، ويفقهون أحكامه، هم الذين**

---

[452] لينين المختارات في 10 مجلدات، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو – الاتحاد السوفييتي، 1978 م، ج 2، ص 37.

[453] المعالم، ص 19.

[454] في ظلال القرآن، ج 3، ص 1735.

يتحركون في واقع الحياة ويدفعون الثمن، ومن حرارة الحركة في الحياة الدافقة تتفتح أسرار القرآن "[455].

ولذا سيقضي عزّام بأنه: " **لا يُسأل عن الجهاد إلا المجاهدون العلماء، أما العالم القاعد فلا يؤخذ منه هذا الدين بحال** "[456]، ومن هنا ستبرز قاعدة ستنتشر بعده تقول: "**لا يفتي قاعد لمجاهد**"، وبهذا سيسحب البساط عن كل العلماء الذين لا يقاتلون، ويعزل جماعات ممن سيتأثر به عنهم، مع أن هذه القاعدة لا أساس لها في الفقه ولا الأصول، وقد بوب البخاري في صحيحه "**باب العلم قبل القول والعمل**"[457]، فالعلم الشرعي يسبق القول والعمل، فمتى أفتى العالم بعلم كان محل الحجة في قوله، بقطع النظر هل عمل به أم لا، وقد يكون للعالم عذرُه في ترك ما يفتي به، وقد لا يكون، وهذا لا يسقط حجته نفسها متى استقامت أدلتها وقد قال يحيى بن معين إن "**الزهري كان سلطانيًا** "[458] فمحمد بن شهاب الزهري كان سلطانيًا ومع ذلك فإن عليه مدار كثير من أحاديث الأحكام، وقد "قال بعض السلف: أضعف العلم الرؤية، يعني: أن يقول رأيت فلانًا

---

[455] الذخائر، ج 3، ص 204.

[456] الذخائر، ج 3، ص 205.

[457] فتح الباري، ج 1، ص 282.

[458] سؤالات ابن الجُنيد ليحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى 1408 هـ – 1988 م، ص 355، قال المحقق في الحاشية: "كان على صلة وثيقة بخلفاء بني أمية واستقضاه يزيد بن عبد الملك. انظر البداية 341/ 9 ".

يفعل كذا، ولعله فعله ساهيًا، وقال إياس ابن معاوية: **لا تنظر إلى عمل الفقيه، ولكن سله يصدقك"**[459].

ورغم انتماء سيد قطب إلى جماعة الإخوان بشكل رسمي سنة 1953 [460]، إلا أن كتاباته حملت بذور الرفض لأطروحات عدد من أهم رموزها بعبارات قاسية، كتب في 1962 قائلًا:

" يقول بعضنا اليوم للناس وهو يقدم إليهم الإسلام مرة تحت عنوان ديمقراطية الإسلام، ومرة تحت عنوان اشتراكية الإسلام... إلى آخر هذا التدسس الناعم والتربيت على الشهوات "[461].

وقد سبق أن البنا نفسه عقد محاضرة بعنوان (**الديمقراطية الإسلامية**)، أما (**اشتراكية الإسلام**) فقد كان عنوانًا لكتاب لمصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية بين عامي 1945 م، و 1964 تاريخ وفاته [462]، الذي كتب في مقدمته:

" أنا أعلم أن بعض الغيورين على الإسلام يكرهون هذه التسمية "[463].

---

[459] بيان الدليل على بطلان التحليل، لابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد، المكتب الإسلامي، ص 76، والموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، ضبط نصه وعلق عليه: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخُبر – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1997 م، ج 5، ص 315.

[460] لماذا أعدموني، ص 7.

[461] معالم في الطريق، ص 154.

[462] انظر: ترجمته الأحزاب السياسية في سورية القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية، عبد الله حنّا، منشورات إي – كتب، الطبعة الإلكترونية الأولى، وهو غير مرقم، ويمكن العثور على المقطع بالبحث الإلكتروني.

[463] اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 6.

كان سيد قطب مغرمًا بنظرية المؤامرة والحديث عن مصايد اليهود العالمية [464] وهو الأمر الذي سيمدحه عزّام في قطب، ويرى أنه يتميز بـ **"الاطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام"** [465] وسيظهر أثره في كتابات عزّام بصورة كبيرة، على سبيل المثال حديثه عن الماسونية العالمية[466]، وأن ماركس وإنجلز هما من ماسون الدرجة 31 من أعضاء المحفل الإنجليزي، وأنهما بفضل الماسونية أصدرا البيان الشيوعي [467].

وهو ما لا تسعفه الوقائع التاريخية وذلك أنه في عام 1719 قرر المحفل الماسوني الكبير في **إنكلترا** أن يؤسس دستورًا ماسونيًا لإعادة توحيد وتعريف الماسونية، وطلب من الدكتور جيمس أندرسون أن يدرس الوثائق القديمة ويحدّثها إلى دليل تعليمي لتعمم على المحافل وتُقدم بشكل قطعي.

وكانت النتيجة التي نشرت عام 1723 هي: الدستور، التاريخ، القوانين، الوصايا، الأوامر، النظم... إلخ، دكتور أندرسون هذا ابتكر تاريخًا للماسونية حتى إنه جعل آدم المعماري الأول! وموسى أستاذًا ماسونيًا، ومن هنا تعددت الخرافات والأساطير حول تاريخ الماسونية الحقيقي، دون تمييز بين الكذب الذي ابتكره أندرسون وبين الوقائع المثبتة، ويعتبر مخطوط أندرسون أهم الوثائق الماسونية، ولا زال يُقرأ كل عام في المحافل الماسونية.

---

[464] انظر: معالم في الطريق، ص 129.

[465] الذخائر، ج 2، ص 54.

[466] انظر: الذخائر، ج 3، ص 215.

[467] انظر: الذخائر، ج 2، 638.

وقد نصت قوانين أندرسون على التالي: يجبر الماسوني حسب منصبه على أن يطيع القانون الأخلاقي، وأنه إذا " **فهم الصنعة جيدًا، فلن يكون ملحدًا غبيًا، ولا فاجرًا مجدفًا** "[468].

وهذا "**ما يفسر عدم السماح للملحدين أن يصبحوا ماسونيين**" [469]، لكن استغنى عن هذا المنع للملحدين المحفل الشرقي **الفرنسي عام** 1877، وقوبلت هذه المناورة الجذرية بردة فعل رافضة من المحافل الكبرى حول العالم، **الذين أقروا مباشرة بعدم الاعتراف بالمحفل الشرقي**، وبقي الوضع على ما هو عليه إلى اليوم من غالبية المحافل.[470]

فكيف يصح ما قاله عزّام إذا كان صدور البيان الشيوعي في سنة 1848، أي قبل وجود محفل يسمح بانضمام ملحدين إليه بما يقارب ثلاثين سنة، أما كتاب (رأس المال) الذي نقد فيه الأديان فقد وقّع ماركس مقدمته الأولى سنة 1867، أي قبل سماح المحفل الفرنسي بانضمام ملحدين إليه بـ 10 سنوات، ومما لا يلائم أصحاب نظريات المؤامرة "هو عدم وجود هيئة دولية مهيمنة مسؤولة عن الماسونية العالمية، وفي الحقيقة، إن تاريخ الماسونية المليء بالاختلافات الفلسفية والسياسية المتعددة يعني أن العديد من المحافل الكبرى لا تعترف بوجود أي من المحافل الأخرى "[471]، كما " أنه من غير المسموح

---

[468] فك الشيفرة الماسونية، إيان جيتينز، ترجمة: غادة حرب، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية – دمشق، الإصدار الأول: 2012 م، ص 47.

[469] فك الشيفرة الماسونية، ص 19.

[470] انظر: فك الشيفرة الماسونية، ص 55.

[471] فك الشيفرة الماسونية، ص 16.

للماسونيين مناقشة الدين أو السياسة أو أية مواضيع تسبب الخلافات التقليدية داخل المحفل "[472].

ودقة عزّام تبلغ به ليقول بأن من مصادر نظرية ماركس "**حركات مزدك وبابك الخرمي والقرامطة** "[473]! ولهوسه بنظرية المؤامرة اليهودية العالمية تحت تأثير كتب مثل البروتوكولات، يؤكد على يهودية ماركس[474] مرارًا ليظهر أن نظريته جاءت وفق مخطط يهودي، ويقتبس لتأييد هذا من البروتوكولات، في حين أن ماركس نقد الدين اليهودي بشكل واضح، فقال على سبيل المثال:

"المجتمع البرجوازي يولد من أحشائه اليهود دون انقطاع

ما هو أساس الدين اليهودي ذاته؟ الحاجة العملية، الأنانية "[475].

ولمحورية نظريات المؤامرة في ذهن عزّام يتوسع في مصادره فيغترف من التاريخ الزائف، يكتب على سبيل المثال:

" ولد لينين في العاشر من إبريل سنة 1870، من أب يهودي ألماني إيكوسرول جولدمان، وأم ألمانية يهودية اسمها صوفية جولدمان ويسمى حيام جولدمان يوم ختنه حسب تقاليد اليهود "[476].

---

472 فك الشيفرة الماسونية، ص 16.

473 الذخائر، ج 2، ص 599.

474 انظر: الذخائر، ج 2، ص 590.

475 حول المسألة اليهودية، كارل ماركس، ترجمة: نائلة الصالحي، منشورات الجمل، ص 55.

476 الذخائر، ج 2، ص 591.

وما قاله غير صحيح، فرغم شحّ المعلومات عن جده لأبيه إلا أن هناك افتراضًا بأنه **"لم يكن روسيًّا بل تتريًا أو قالموكيًا "**[477]، وبالمجمل فعائلة أوليانوف التي ينتمي إليها والد لينين كانت لهم سمتان بارزتان "متانة روابطهم العائلية، ومتانة قناعاتهم الدينية، وقد ظل والد لينين الذي ينتمي **إلى الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية**، مؤمنًا يؤدي واجباته الدينية حتى خاتمة حياته، ولينين نفسه لم يكف عن الإيمان حتى عامه السادس عشر "[478]، واسم والده: **إيليا نيقولائيفتش**، وأمّه: **ماريا إلكسندوفنا بلانك**[479]، وقد ولد لينين في 1870، و**"عُمّد في كنيسة نيقولا الصغير، وأطلق عليه اسم فلاديمير "**[480].

وبالعودة إلى سيد قطب فقد اعتبر قطب **أنه لا جنسية لمسلم إلا عقيدته**[481]وهو الأمر الذي سيكون له نتائج كبيرة بعده، وينعكس أثره على الكثير من الجماعات في جانب نظرتهم لعقد الأمان ونحوه فيما بعد (وسيأتي الحديث عن هذا لاحقًا).

وسيؤكد قطب على أمر أساسي برز أثره أيضًا على عزّام، بضرورة الجهد والمشقة والجهاد والاستشهاد[482]، أما النتائج من الجهاد والاستشهاد، فيقول: **" النصر ليس مقصورًا على الغلبة الظاهرة، فهذه صورة واحدة من صور النصر الكثيرة "**[483].

---

[477] انظر: الإنسان الاشتراكي، إسحق دويتشر، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 1981 م، ص 16.

[478] الإنسان الاشتراكي، ص 20.

[479] انظر: الإنسان الاشتراكي، ص 22.

[480] الإنسان الاشتراكي، ص 26.

[481] انظر: معالم في الطريق، ص 138.

[482] انظر: معالم في الطريق، ص 171.

[483] المعالم، ص 175.

فقد ينتصر المؤمنون عنده حتى ولو أبيدوا عن بكرة أبيهم، كما حصل مع أصحاب الأخدود [484]، إذ " **إن مجال المعركة ليس هو الأرض وحدها، وليس هو الحياة الدنيا وحدها** "[485] حتى يتم الاحتكام فيها إلى النتائج الأرضية، بل المعركة تمتد إلى يوم القيامة، ومن هنا سينظر إلى أي معركة بين المؤمن والكافر على أنها نصر بشكل مسبق بقطع النظر عن النتيجة، فوجود الوقائع ليس مهمّا هنا! فمهما تغيرت النتائج فالنتيجة المؤكدة عند قطب واحدة وهي نصر المؤمن.

إن المقارنة بين عصبة تعمل بحركة لتحطيم ما تراه (جاهلية) للوصول إلى سدة الحكم، وبين قصة أصحاب الأخدود **مقارنة بعيدة**، فأصحاب الأخدود تم الاعتداء عليهم، ليغيروا عقائدهم أو يحرقوا بالنار، بخلاف من يسمح لهم باعتقاد ما يريدونه من إيمان، ولكنهم لا يكتفون بمجرد هذا بل ينظّمون أنفسهم ويسعون للوصول إلى السلطة (الجاهلية) والصدام معها إلى آخر نفس، هنا يغفل أن الثاني فيه جانب عملي لتحقيق **مصلحة إضافية للمؤمنين** زائدة على مجرد اعتقادهم، والتوحيد بين الموقفين يجعله يخلط بين سلوك له موازينه المصلحيّة التي تخضع للظروف وبين موقف مبدئي لا مساومة فيه وهو إيمانهم الشخصي، ويصبغ الصراع السياسي الذي قد لا يكون بباعث ديني على الأقل عند المخالف، على أنه ديني للإكراه على الكفر كما حصل مع أصحاب الأخدود، لقد كان في هذه المقارنة بين أصحاب الأخدود وباقي المؤمنين بصراعهم مع الجاهلية تعميمٌ لاعتبار النصر أنه الثبات على المبدأ فحسب وهو ما سيمسح من القاموس كلمة

---

[484] انظر: المعالم، ص 173.

[485] المعالم، 176.

هزيمة في الممارسة السياسية والعسكرية وأي كلمة ترادفها، على ما لها من أهمية بالغة في أي مراجعة ذاتية.

إن من أهم مساهمات سيد قطب كانت في جانب إغفال الوقائع المادية الدنيوية والنتائج العملية للتحركات السياسية، وكان يعتقد بهذه المقالة ثم يطلق كلماته التي تعيد صياغة الوقائع ومعاني النصوص بما يتوافق معها، ومن هنا يقول:

" كانوا قد وعدوا على إقامة هذا الدين وعدًا واحدًا، لا يدخل في الغلب والسلطان، ولا حتى لهذا الدين على أيديهم، وعدًا واحدًا لا يتعلق بشيء في هذه الدنيا.. وعدًا واحدًا هو الجنة "[486].

وما قاله من كون الصحابة وعدوا فقط وعدًا واحدًا فقط على إقامة الدين لا يتعلق بشيء من هذه الدنيا، باطلٌ حتمًا، وقد جاءت النصوص الكثيرة على أثر الإيمان والإسلام دنيويًا، وفي القرآن: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[487].

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم الطائي:

" بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل **فشكا إليه أثر الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل**، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد نبئت عنها، قال: **فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ولا تخاف**

[486] معالم في الطريق، ص 30.

[487] الأعراف، الآية: 96.

إلا الله، قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعّار طيّئ الذين قد سعّروا البلاد؟! "**ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، **ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله**.... قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم: يخرج ملء كفه..."[488].

وفي الصحيح عن أبي سعيد مرفوعًا: " يأتي زمان على الناس يغزون، فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، **فيفتح لهم**، ثم يغزون، فيقال لهم: هل فيكم من صحب من صحب الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون نعم، **فيفتح لهم** "[489].

وفي سنن الترمذي عن ابن عباس أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: "**إني أريد منهم كلمة واحدة، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية** "، قال: كلمة واحدة؟ قال: "كلمة واحدة"، قال: يا عم يقولوا: لا إله إلا الله."، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح [490].

---

[488] حديث رقم 3595 من صحيح البخاري، المطبوع مع فتح الباري، ج 8، ص 272، 273.

[489] حديث رقم 3594 من صحيح البخاري، المطبوع مع فتح الباري، ج 8، ص 272.

[490] الجامع الكبير، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1996 م، ج 5، ص 281، 282، حديث رقم: 3232.

ولكنّ سيد قطب أراد من وراء نفيه لكون الصحابة وعدوا بشيء له تعلق بالدنيا حصر الهزيمة بالتراجع عن المبدأ، لا بتعليقها على أي خسائر واقعية مادية على الأرض، وبالتالي فهو ليس مطالبًا بأي إنجاز حقيقي فعّال أمام أتباعه، إنما يكفي أنه قادهم إلى طريق الجنة بنظره، ولو كان قد ساقهم إلى أحكام الإعدام في الدنيا، أو معركة تودي بهم إلى إبادة جماعية، وما قاله سيؤثر في عزّام من بعده، وستوحي خطاباته وكتاباته بمثل هذا الذي قاله سيد، فقد **"كرَّسَت مفهوم الشهادة كهدف للجهاد "**[491].

لقد كانت لسيد قطب ميولٌ يسارية فيما سبق تسطيره لما انتهت إليه أفكاره في كتابه معالم في الطريق، ويظهر ذلك على سبيل المثال في كتابه **"معركة الإسلام والرأسمالية"**، الذي يقول فيه:

" في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعًا، وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس الذي يعترف بها الإسلام "[492].

وقد جعلته هذه الميول يقرأ الأحكام الشرعية بطريقة مغلوطة بما يوافق تصوراته، على سبيل المثال كتب في 1951:

" الإسلام... يجعل للعمال حقهم في نصف الربح الناتج من العمل استنادًا إلى تصرف النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر " [493].

---

[491] معارك البوابة الصخرية، مصطفى حامد، ص 263.

[492] معركة الإسلام والاشتراكية، سيّد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، 1987، ص 44.

[493] أيها العرب استيقظوا واحذروا، سيّد قطب، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثانية: 2004، ص 102.

وما قاله غلط محض، فما حصل كان من باب الشروط، فلو صالحهم بأقل أو أكثر لجاز، وليس في النصف هنا تحديدٌ لأجر كل عمل في كل حين، ولا هو حق للعامل ابتداءً دون شرطه!

على أي حال فإن رواسب يساريته ستنعكس على أفكاره، وكانت قد دخلت في الوعاء الثقافي المصري في فترة متقدمة كتبٌ مترجمة عن الاشتراكية، على سبيل المثال ترجم أحمد رفعت كتابًا للينين في 1921 [494]، ومما جاء في تلك الترجمة أن الحكومة آلة استغلال الطبقة المستعبدة [495]، وبعض المثقفين ما هم إلا عبّاد الحكومة [496]، والمجتمع ينقسم إلى طبقتين متصادمتين، طبقة منتجة وأخرى مستغلّة [497]، وعن طليعة للمضطهدين [498]، ضد مستغليها وتكون طليعة مسلّحة[499].

فإلى أي درجة بقيت تلك القوالب كمفاصل يتحرك وفقها تفكير سيد قطب بعد إفراغها من محتواها الطبقي، لصالح شحنه بشعارات دينية؟ ليضحي الأمر: جاهلية تجعل البشر يعبد بعضهم البعض، والمجتمع نفسه ينقسم إلى عصبة مؤمنة تصادم أخرى جاهلية،

---

[494] انظر: مذكرات لينين عن الحروب الأوربية ماضيها وحاضرها، ترجمة: أحمد رفعت، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر، الطبعة الأولى: 2010، ص 4.

[495] انظر: مذكرات لينين: ص 26.

[496] انظر: مذكرات لينين، ص 172.

[497] انظر: مذكرات لينين، ص 85.

[498] انظر: مذكرات لينين، ص 134.

[499] انظر: مذكرات لينين، ص 46.

وعن طليعة مؤمنة تتقدم إلى الصدام، تلك التي يهديها كتابه (**المعالم**)، فيقول في مقدمته: "**إلى الطليعة المرجوة**" [500].

هذه الطليعة سيهتف لها عزّام في كتابه (السرطان الأحمر) 1980 م، قائلًا:

" **الثورة الإسلامية في إيران تحت زعامة الخميني... رفعت راية الإسلام** "[501]! ويقول: "**فرحنا عندما جاء الخميني، وأقمنا احتفالًا في الأردن، ووزعنا المنشورات بانتصار الخميني**" [502].

أليس المهم هو العمل والصدام مع الجاهلية لإعادة حاكمية الله؟ أليست العقيدة حركة حية وليست نظرية جامدة؟ فما هي قيمة أي خلافات نظرية إذًا بين السنة والشيعة؟ أليس في خلع شاه إيران إعادة لحاكمية الله؟ كيف لا وقد أعلن الخميني عن الحكومة الإسلامية، وهتفت الجماهير خلفه بـ لا إله إلا الله؟

لقد كان الإخوان بمن فيهم سيد قطب من المحتفين بمؤسس جماعة (فدائيان إسلام) مجتبى نوّاب صفوي الذي زار مصر في عام 1953 بدعوة من الإخوان، والذي عبر عن إعجابه بهم في حفل خطابي بدمشق 1954، فقال:



صورة يظهر فيها سيد قطب، مع مجتبى نوّاب صفوي، التقطت عند مشاركة صفوي في (مؤتمر القدس) في القاهرة: 1953 .

---

[500] معالم في الطريق، ص 10.

[501] السرطان الأحمر، عبد الله عزّام، مكتبة الأقصى – عمان، الطبعة الأولى: 1980 م، ص 77.

[502] الذخائر، ج 4، 92.

"مَن أراد أن يكون جعفريًا حقيقيًا فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين "[503].



طابع بريدي إيراني صدر عام 1984 وعليه صورة سيد قطب، كشهادة تذكارية له .

جماعة (فدائيان إسلام) هذه كان من أنصارها رفسنجاني[504] أحد وجوه الثورة الإيرانية المعروفة فيما بعد، وسيترجم علي خامنئي – الذي أصبح فيما بعد المرشد الأعلى للثورة الإيرانية – عام 1966 كتابين لسيد قطب إلى اللغة الفارسية، وهما كتاب (**الإسلام ومشكلات الحضارة**) وكتاب (**المستقبل لهذا الدين**)[505]، ويصف في مقدمته الفارسية لكتاب (**المستقبل لهذا الدين**) سيد قطب بأنه **" الكريم الكبير... المفكر المجاهد "**[506].

وبعد الثورة الإيرانية 1979 كانت تعقد في التلفزيون الإيراني ندوات لشرح أفكار حسن البنا وسيد قطب، ويجري الحديث عن دورهما الرائد في الحركة الإسلامية، وقد قرأت

---

[503] صحيفة العرب، لندن، 22 / 5/ 2017، العدد: 10640، ص 13 .

[504] انظر: حياتي، رفسنجاني، ترجمة: دلال عباس، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2005، ص 41.

[505] انظر: صحيفة العرب، لندن، 22 / 5/ 2017، العدد: 10640، ص 13.

[506] رسالة التقريب، العدد 12، علي خامنئي، على موقع (إيران والعرب): http://iranarab.com.

إذاعة طهران على مستمعيها النص الكامل لكتاب سيد قطب (معالم في الطريق) على حلقات[507].

الموقف الذي سجله عزّام في 1980 من الثورة الإيرانية بأنها رفعت راية الإسلام، سيسبقه إليه فتحي الشقاقي وهو ممن تأثروا بسيد قطب وأفرد له دراسة بعنوان (**معالم في الطريق للشهيد سيد قطب**) قال فيها:

" إنه الكتاب الذي قتل رجلٌ بسببه، وأحيا جيلًا تربى عليه، إنه (معالم في الطريق) آخر ما كتبه الإمام الشهيد سيد قطب "[508]، ويؤكد الشقاقي أن كتاب (معالم في الطريق) كان له التأثير الأكبر في تحوله إلى المشروع والمنحى الإسلامي [509].

لقد أعاد الشقاقي صياغة كلمات قطب ليرى بأن القرآن عرض قضية لا إله إلا الله بـ **"منهج عملي حركي جادّ، منهج يتعامل مع الواقع وليس نظرية تتعامل مع فروض... وربما كانت التجربة الإسلامية في إيران المثل الأوضح فقد آمنت الجماهير بعقيدة لا إله إلا الله، تقدمت وأسقطت الطواغيت تحت هذا الشعار "**[510].

فتحي الشقاقي وهو مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين عام 1980 [511]، كان صاحب أول كتاب في العالم العربي وتحديدًا في مصر عن الخميني، وقد صدر كتابه قبل

---

[507] انظر: رحلة الدم الذي هزم السيف؛ الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، إعداد وتوثيق: رفعت سيّد أحمد، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1997 م، ج 1، ص 227.

[508] رحلة الدم الذي هزم السيف، ج 1، ص 235.

[509] انظر: رحلة الدم الذي هزم السيف، ج 1، ص 50.

[510] رحلة الدم، ج 1، ص 242.

[511] انظر: رحلة الدم، ج 1، ص 52.

وصول الخميني إلى السلطة بأيام عام 1979 [512]، وانتصر فيه للخميني قبل أن يلتقي به عام 1988 [513].

لقد أصدر الشقاقي يوم 16/ 7/ 1979 م كتاب:

(**الخميني؛ الحل الإسلامي والبديل**) وسجن في مصر بسببه أربعة أيام [514]، أصدره باسم مستعار (فتحي عبد العزيز)، ولم ير فيه أية إشكالية دينية في المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري الذي ينهجه الخميني، كتب فيه قائلًا:

فتحي الشقاقي مؤسس حركة (الجهاد الإسلامي في فلسطين) التي انطلقت في أوائل الثمانينات .

" مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية لا يفوتنا أن نشير في نهاية عرض أصوله إلى الفتوى التي أصدرها الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت:.... مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية هو مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة " [515].

واستمرت علاقة الشقاقي بالخميني بما لا يمكن الحديث عنه بما يفوق ما وصفه الشقاقي نفسه بقوله:

" علاقتي الشخصية بالإمام الراحل الخميني العظيم، فعندما أدخلني الصهاينة إلى الزنزانة الصهيونية، وكنت أنزف يومها بدأت أكتب بكتابة اسم روح الله الخميني على

---

[512] انظر: رحلة الدم الذي هزم السيف، ج 1، ص 99.

[513] انظر: رحلة الدم الذي هزم السيف، ج 1، ص 100.

[514] انظر: رحلة الدم، ج 1، ص 53.

[515] الخميني؛ الحل الإسلامي والبديل، فتحي عبد العزيز، دار المختار الإسلامي، الطبعة الأولى: 1979 م، ص 60.

جدار الزنزانة بالدم النازف، هذه هي علاقتي بالإمام الخميني الراحل، لقد تعمّدت بالدم والجهاد وبالتضحية "[516].

إن الانفتاح على إيران بعد ثورتها يمتد أيضًا إلى حركة حماس، وسيمتدح وفد برئاسة خالد مشعل إيران في الذكرى الثلاثين لثورتها، يقول مشعل: " **إيران الإسلام والمقاومة... نزوركم في الذكرى الثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية على يد الإمام الراحل الإمام الخميني عليه رحمة الله** "[517].

إلا أن الخلاف بين حركة حماس وحركة الجهاد سيلقي بظلاله على مسألة التشيع، ومع اعتبار أن انطلاقة حركة الجهاد سبقت حركة حماس وما لهذا من أثر على الصعيد الدعائي للحركتين،



صورة نادرة لأحمد ياسين أحد أهم رموز حركة حماس، خلال زيارته ايران عام 1998 وهو يلقي كلمة خلال لقائه طلبة الحوزة العلمية في قم (نشرها موقع الوفاق).

فسيجري الاعتراض داخليًا من حماس على موقف الجهاد من الشيعة كدعاية حزبية لتعبئة العناصر، ولكسر دعاية حركة الجهاد بأنها سبّاقة، كعلامة من علامات الفرق بين

---

[516] رحلة الدم الذي هزم السيف، ج 1، ص 100.

[517] انظر يوتيوب: خالد مشعل يترحم على الخميني.

الحركتين، وستعتبر حماس بأن حركة الجهاد تمثل انشقاقًا عن إخوان فلسطين، وأنها هي الأم، وبشكل عام فإن حركة الجهاد أقل استدعاءً للخلاف مع الشيعة اليوم باعتبار تركة مؤسسها المكتوبة في هذا الشأن.

لقد كان إزراء سيد قطب على النظرية، والحديث عن الجانب العملي الحركي والممارسة يغفل عن كون أمثال الشيعة سيسلمون بكل سطر منه، مع الاحتفاظ بالجانب النظري الذي يعتقدونه، ومن هنا سيعملون وفق عقائدهم ومذهبهم وتصوراتهم، حتى ولو سلموا بكل ما قاله، ومن هنا سوف يصاب عزّام **بالذهول** في أفغانستان من تعامل الشيعة مع أهل السنة [518]، ويرى أن معظم الشيعة – كما يقول – يكرهون الجهاد الأفغاني [519]، هذا الذهول الذي أصابه كيف يمكن تفسيره وقد كان بإمكانه أن يعرف الخلافات بين أهل السنة والشيعة بمطالعة أي كتاب في هذا، فكيف وهو القائل **"وجهني سيد قطب فكريًا، وابن تيمية عقديًا "** [520]، وكلام ابن تيمية فيهم كثير شهير، بل إن واحدًا من أكبر كتبه مخصص للرد عليهم، وهو كتابه (**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**) الذي طبع في 9 مجلدات بتحقيق محمد رشاد سالم، فعلى الأقل كان ينبغي أن يكون هذا متوقعًا منه لا أن يصاب بالذهول لما يجده.

---

[518] انظر: الأسئلة والأجوبة الجهادية، نسخة إلكترونية، عن منبر التوحيد والجهاد، ص 83.

[519] انظر: الأسئلة والأجوبة الجهادية، ص 82.

[520] الذخائر، ج 2، ص 56.

فكيف إذا كان هناك كتّاب من غير المسلمين، ومع حاجز الدين واللغة والثقافة، عرفوا تلك الخلافات بل وإلى أي مدى استحكمت في الشيعة، وعلى سبيل المثال كتب المستشرق اليهودي جولدتسيهر المتوفى سنة 1921:

" إن الإسلام الشيعي ينطوي بطبيعته على اتجاه يخالف اتجاه السنة مخالفة صريحة، حتى فيما يمس المسائل الجوهرية الخاصة بالعقائد " [521]، وإن **" النزعة المتعصِّبة عند الشيعيين الصادقين في تشيعهم لم تقتصر على الكفار، بل شملت المسلمين من مختلف النحل والمذاهب، وكتب الشيعة تفيض بالدلالة على هذا البغض والتحامل "**[522]، بل إن **"الأحاديث عند الشيعة مفعمة بالبغض والعداء نحو المسلمين الذين يخالفونهم في المذهب، وقد يكون ذلك بدرجة أكبر مما يشعرون به نحو الكفار "**[523].

ورغم إعجاب ميشيل فوكو بالخميني، إلا أنه كتب عن المؤسسة الدينية الشيعية في إيران في 1978:

" لا ينبغي لنا أن نزوّق الأشياء: فالمؤسسة الدينية الشيعية ليست قوة ثورية، وهي تؤطر المذهب الرسمي منذ القرن السابع عشر... فتجمعت في أيديها أموال طائلة مما سبب الكثير من النزاع والكثير من التواطؤ مع أصحاب السلطة "[524].

---

[521] العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ص 222.

[522] العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 235.

[523] العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 236.

[524] فوكو صحافيًا؛ أقوال وكتابات، نقلها إلى العربية: البكاي ولد عبد المالك، جداول للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2012، ص 42.

فلم تكن الصورة محجوبة كما يحاول العديد من الإسلاميين أن يصوروها في سياق اعتذارهم عن مواقف الكثير من رموزهم من الثورة في إيران 1979، ثم إن عزّام لم يكن يفتقد أدوات البحث المنهجي، فقد حصل على الدكتوراه في أصول الفقه من الأزهر عام 1973 م [525]، أي قبل 7 سنوات من كتابته لذلك المديح، ولكن الحقيقة هي أن توجيه سيد قطب كان الأسبق إليه من ابن تيمية، وبالتالي كانت أفكار معالم في الطريق هي التي تستهويه، و كانت سطور سيد برشاقتها الأدبية وما رُسم حول إعدامه من ملحمية عاطفية، تثري عاطفته الثورية إلى درجة تؤثر على منطقية تفكيره، وتغربل له ما يقرأه من كتب لغير سيد قطب بغربال الـ(**معالم**) والـ(**ظلال**)، وسيظهر سعيد حوى موقفه من الخمينية في 1986 كونها أصبحت تشكل بتعبيره: "**خطرًا فكريًا وحركيًّا** " [526]، ويكتب كتابه: (**الخمينية؛ شذوذ في العقائد، شذوذ في المواقف**)، ويطبع في 1987.

كانت كلمات سيد قطب تلهب قارئيه، لتنشر فيهم هيامًا، كأنها بمجملها سحر غناء بأبيات قصيدته (**أخي**)؛ التي يصلح كلُّ شطر منها لكي يكون عنوانًا لمرحلة سياسية متأزمة، أو حزمة شعارات تصدع بها جماعة إسلامية طامحة، أو أخرى يائسة، أو تصويرًا لحدث تبثه قنوات إخبارية فيما بعد:

أخي هل تُراك سئمت الكفاح *** وألقيتَ عن كاهليك السلاح؟

فمن للضحايا يواسي الجراح *** ويرفع رايتها من جديد؟

---

[525] انظر: عزّام رجل دعوة ومدرسة جهاد، ص 22.

[526] هذه تجربتي وهذه شهادتي، سعيد حوى، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: 1987، ص 155.

أخي إن أخذوك على إثرنا *** **وفوجٌ على إثر فوج جديد**

فإن أنا مت فإني شهيد *** وأنت ستمضي بنصر جديد

أخي إنني اليوم صلب المراس *** **أدكّ صخور الجبال الرواس**

أخي فامض لا تلتفت للوراء * طريقك قد خضَّبته الدماء**

ولا تلتفت ههنا أو هناك *** **ولا تتطلع لغير السماء**

سأثأرُ لكن لربٍّ ودين *** **وأمضي على سنتي على يقين**

فإما إلى النصر فوق الأنام * وإما إلى الله في الخالدين** [527]

إن سيد قطب لمثال واضح على ما يمكن للأدب أن يصنع، وهو يعكس شيئًا قليلًا لما كان للأدب والبيان من أثر في التاريخ الإسلامي بين الفرق المختلفة، فكم كان لـ(**نهج البلاغة**) للشريف الرضي على سبيل المثال من تأثير على الوسط الشيعي، وقد كان الأدب والبيان وقتها بضاعتهم؟ لقد كان قطب هو الذي نفث على جمر عاطفة عزّام، فجعلها تتوقد قائلًا في كتابه (السرطان الأحمر) 1980:

"**الثورة الإسلامية في إيران تحت زعامة الخميني... رفعت راية الإسلام**" [528].

[527] أبيات مختارة من قصدة (أخي) المنشورة في ديوان سيّد قطب، جمعه ووثقه وقدم له: عبد الباقي حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة – مصر، الطبعة الأولى: 1989 م، ص 291.

[528] السرطان الأحمر، ص 77.

ليغير عزّام هذا الموضع من كتابه فيما بعد، وتتحرك عاطفته نحو طليعة مرجوة أخرى، فيكتب مكانه:

" أحداث الجهاد الأفغاني تحت قيادة أبناء الحركة الإسلامية والعلماء... رفعت راية الإسلام " [529].

إن عقلية الطليعة متمثلة بالحركة الإسلامية والولاء لها، تشكل نفس القالب الأول الذي صيغت منه كلمات تشكل مظهرًا مختلفًا فحسب، وإلا فإطارها واحد، فالمفصل النظري الذي يحتم وجود مثل تلك (الطليعة) يسيطر على الموقف، والعاطفة هي العاطفة، ولكنّها هذه المرة تحطُّ عصا الترحال في آخر محطة لربما، إنها الحركة الإسلامية.

سيسيطر هذا الإطار على كثير من الأحزاب والجماعات من بعد عزّام، ومن نفس المسوِّغات التي ساقها دومًا، وستحرص على إغماض الطرف عن زلاتهم، لصالح الحس النقدي إلى حد الهوس بالمؤامرة مع غيرهم، كتب عزّام في **(حركة حماس الجذور والميثاق)** مبينًا جذور الحركة:

" عبد الله نمر درويش، وهذا الشاب يحتاج كتابًا كاملًا لنوفيه حقه... كان عضوًا بارزًا في الحزب الشيوعي، ثم رجع إلى الله ودرس في المعهد الشرعي في نابلس، ثم أصبح معلمًا في أم الفحم التي كانت معقلًا من معاقل الشيوعية، وبدأ أبناؤها يعودون إلى الله، ويخرجون من الشيوعية، ويحملون الدعوة الإسلامية... **ولقد بدأ عبد الله سرايا الجهاد، واكتشفها**

---

[529] الذخائر، ج 1، ص 987.

اليهود، مما جعلهم يرتعدون رعبًا وفزعًا، وضيّقوا على عبد الله، وحدّدوا إقامته ومنعوا حركته "[530].

عبد الله نمر هو مؤسس (الحركة الإسلامية) أو بعبارة أوضح (الإخوان المسلمين) شمال فلسطين، وقد اعتقل عبد الله نمر 3 سنوات عام 1981، ليطلق سراحه 1984، بتهمة صلته بتنظيم سري، وبعد خروجه من السجن سيصرِّح **علانية بأنه يعارض المقاومة المسلحة، ويؤكد أن ما سبق منه مجرد غلطة في شبابه، ولقد دعم عملية السلام واتفاق أوسلو، وقرر الدخول في الكنيست في** 1996 [531].

سيقول مثلًا: " **أنا وأنت مواطنان في دولة ينتميان إلى شعب نتألم على آلام هذه الأم في سديروت، وعلى آلام تلك الأم في بيت حانون** " [532].



مؤسس الحركة الإسلامية عبدالله نمر درويش يتحدث مع رئيس الدولة في السابق شمعون بيريس خلال حفل إفطار في مقر الرئيس الإسرائيلي .

(AFP)

ومع ذلك فقد وصفته حركة حماس في بيانها في التعزية بوفاته في 2017 بأنه "**صاحب المشوار النضالي الطويل في خدمة شعبه وقضيته وفي مواجهة الاحتلال الصهيوني**

---

[530] الذخائر، ج1، ص 851، 852.

[531] انظر: من هو درويش.. مؤسس الحركة الإسلامية بالداخل الفلسطيني؟، على موقع الجزيرة: http://www.aljazeera.net.

[532] انظر: يوتيوب (الشيخ عبد الله نمر درويش- الإرهاب).

والتصدي لمخططاته في طمس الهوية الفلسطينية "[533].

وعزّت به جماعة الإخوان المسلمين ووصفته بـ " **فضيلة الشيخ عبد الله نمر درويش**"[534].

أليس هو مؤسس حركة الإخوان في شمال فلسطين؟! ولك أن تتخيل لو أنه لم يكن من الإخوان ووقع في مواقفه السياسية السابقة؟ الشاهد هنا أن الولاء يحدث لمن هو في إطار (**الحركة الإسلامية**) في إطار عاطفي، كالذي يلتمس تسويغه بأنه لا يدري بعدها إلى من سينقل ولاءه!

لقد كان سيّد قطب محوريًا في تفكير عزّام، إلى الحد الذي جعله يقول:

"كثير من الناس يقرأون في الكتب، في التفاسير، في تفسير ابن كثير والطبري وغيرهم، لن يستطيعوا أبدًا، وأنا أتكلم لكم كأستاذ في الشريعة الإسلامية، أعلم أكثر مما تعلمون، وأدرك في هذه القضية، اطلعت أكثر مما تطلعون، لن يستطيع أن يفهم القرآن كما أنزل ولا أن يخوض به معركته "[535].

لن يُفهم القرآن بتلك الكتب الأصيلة في التفسير عند عزّام، ومن هنا تأتي الحاجة إلى سيّد قطب! فيقول: " المعركة بين الإسلام والجاهلية... هذه المعركة من أراد أن يفهمها واضحة كما هي، **وكأنه يتلقى القرآن الآن كما أنزل**، ويخوض به معركته الحالية، معركته

---

[533] رابط البيان:

.http://hamas.ps/ar/post/7372

[534] على موقعهم:

.http://www.ikhwanonline.com

[535] الذخائر، ج 3، ص 441.

التي خاضها أوّل مرة **فعليه بـ(ظلال القرآن)، والذي لا يقرأ كتاب أو تفسير سيد قطب في (ظلال القرآن) لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذه المعركة "**[536]**!**

إن سطوع نجم عزّام، كان يسحب الهالة من رموز الكثير من الإخوان المسلمين في الدول العربية، ولذا جرت وراء الكواليس نزاعات معه، حيث إن بروز اسمه كان على حساب تلك القيادات التاريخية، غير الموجودة في أفغانستان، لكنه لم ينقل تلك المعارك إلى العلن[537].

وقبل أن يقتل عزّام، كان قد سجل وصيته بخط يده، أوصى فيها بمواصلة الجهاد، وأكد مواقفه السابقة من أن الجهاد فرض عين كالصلاة، وسيبرز اسم في الوصية يكون له ما بعده، كتب قائلًا:

" الأخ أبو عبد الله، أسامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وماله، ونرجو الله أن يكثر من أمثاله، ولله أشهد أني لم أجد له نظيرًا في العالم الإسلامي، فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله وأن يبارك في حياته "[538].

نص كلام عزام عن أسامة بن لادن بخط يده في وصيته .

536 الذخائر، ج 3، ص 440، 441.

537 انظر: 15 طلقة في سبيل الله، بقلم مصطفى حامد، ص 192.

538 الذخائر، ج 1، ص 1012.

ستنشر مجلة المجتمع الكويتية نص وصيّة عزّام وهي محسوبة على التوجه الإخواني، إلا أنها لم تنشر هذا الجزء منها[539]، فيما يظهر لنفس الإشكالية التي حصلت بين الإخوان كتنظيم وقيادات مع عزّام، فإن بروز اسم أسامة بن لادن، في وصية شخص مشهور وله ثقل بين جماعة الإخوان مثل عبد الله عزّام، كان سيعيد المشكلة إلى مربعها الأول، حيث سيلتفُ الشباب حوله، ويتركون قياداتهم التاريخية، ولذا آثرت المجلة حذف هذا المقطع من الوصية.

[539] المجتمع، العدد: 944، 5 ديسمبر 1989، ص 19.

في تلمّس خيوط مؤامرة، خارج عناصرها مجتمعة

نظريات المؤامرة سيطرت بشكل كبير على عقول كثير من العرب، ولذلك ظروفه وممهداته التاريخية، فالبحث عن أسبابٍ لهزائمَ متعددةٍ، والشعور بالاغتراب في عالم يتسارع تطوره، يعيد الأذهان إلى حال ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، فقد عانت من نتائج الحرب الأولى، من بطالة، فقر، وكساد، وجرح غائر في الكرامة القومية، مما مهّد لاستقبال صرخات هتلر وهو يتحدث عن مؤامرة يهودية خبيثة على العرق الألماني!



صورة دعائية تابعة للنازيين حوالي عام 1942، كتب عليها بالألمانية: "**وراء قوى العدو: اليهودي**".

متحف ذكرى الهولوكوست الولايات المتحدة.

وانساق الألمان وراء خطابات هتلر، حتى أسلموه مقاليد حكمهم، فجرَّهم إلى حروب طاحنة، كانت نتائجها تبخير الشعارات التي أطلقها بنتائج كارثية، من بين تلك الأفكار التي تبخرت تلك المؤامرة الكونية اليهودية العالمية على ألمانيا، فقد ساقوا اليهود أفوجًا إلى مجازر جماعية، دون أن يجدوا منهم كبير مقاومة أو حتى استعداد سابق، والواقع أنهم ساهموا بتوحيد العداء ضدهم من يهود العالم بتلك المذابح التي قاموا بها.

وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل 1948 وهزيمة الحرب ضدها بثلاث سنوات سيحتفي العقاد بترجمة كتاب (**بروتوكولات حكماء صهيون**) واصفًا إياه بالكتاب العجيب [540]، ولا يستطيع أن يتجاوز الثغرات حول أصل الكتاب، وفي نفس الوقت لا يقدر على التخلي عن نظرية المؤامرة، فيقول:

" البروتوكولات من الوجهة التاريخية محل بحث كثير، ولكن الأمر الذي لا شك فيه... إن السيطرة الخفية قائمة بتلك البروتوكولات أو بغير تلك البروتوكولات "[541].

فيضحي وجودُ الكتاب وعدمه واحدًا، فالنتيجة واحدة عنده وهي أن معناه صحيح عنده وفي هذا مصادرة عن المطلوب، ويمكن إدراك دواعي كاتبه من خلال تحليل سطوره، بأنه دفاع عن القيصرية الروسية في وجه الثّورة ضدهم، باللّعب على وتر التعصب الديني للكنيسة، وليست هذه المحاولة الأولى ولا الأخيرة في ابتكار أمثال هذه الكتب على لسان الخصوم، فعلى سبيل المثال كتاب (**مذكرات همفر**) وهي مذكرات منحولة يمكن معرفة أن كاتبها شيعي، أراد الهجوم بها على الدعوة الوهابية فحسب بطريقة شعبية، ويمكن لأيٍّ كان أن يقول: هو محل بحث كبير ولكن نتيجته صحيحة، وهي التي تحتاج أصلًا إلى برهنة ولذا وُضع الكتاب من أجلها، وليست مقدمةً مسلّمةً، ففي هذا مصادرة عن المطلوب.

---

[540] انظر: الخطر اليهودي؛ بروتوكولات حكماء صهيون، تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ص 11.

[541] الخطر اليهودي؛ بروتوكولات حكماء صهيون، ص 16.

على أي حال عقلية المؤامرة سيطرت على سيّد قطب، وعبد الله عزّام وغيرهما ممن سار على طريقتهما في هذه النظرة إلى التاريخ والسياسة العالمية، وتبلغ القناعة بها إلى الحد الذي يجعل عمر محمود عثمان الذي يكنى (بأبي قتادة الفلسطيني) يحتد من أي تقليل من شأن مسلَّماته حول هذه النظرة ليقول:

"الاستهزاء بالمؤامرة من المؤامرة نفسها "[542]، وبهذه العقلية يمكن أن يخرج له من يقول: من المؤامرة الحديث عنها أيضًا، إلى آخر ما يمكن أن تصل إليه هذه النظرة.

اللافت في موضوع أفغانستان أنّ القضية لا تحتاج إلى كبير خيال من أنصار نظرية المؤامرة ليفككوا رموزًا أو شيفرات معقدة مما قد يجعل من الواحد منهم روائيًا عالميًا كـ**(دان براون)**، بل إن عناصرها كانت مكتملة، ومع ذلك فقد كانوا يفكرون بمؤامرة خارج تلك العناصر، ويحاولون رسم روايتهم بعيدًا عن كثافة مقوماتها التي يتعايشون معها**!**

فقد بدأ الدّعم البريطاني والأمريكي السري للجماعات المناهضة للحكم الموالي للسوفييت قبل أي تدخل سوفييتي عسكري هناك، بل لقد أعرب بريجنسكي قبل ذلك لكارتر **"عن أمله في أن تستدرج الولايات المتحدة تدخلًا عسكريًا سيفشل، ومن ثم نهب للاتحاد السوفييتي حرب فيتنام الخاصة به "**[543].

كتب بريجنسكي إلى كارتر:

---

[542] انظر يوتيوب: أبو قتادة الفلسطيني، مناقشة كتاب: بروتوكولات حكماء صهيون.

[543] التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 204.

" من الضروري أن تستمر المقاومة الأفغانية، وهذا يعني تزويد الثوار بالمزيد من الأموال وشحنات الأسلحة، وبعض النصائح التقنية، ولتحقيق ذلك لا بد من إعادة الثقة في باكستان، وتشجيعها على مساعدة الثوار، ويتطلب ذلك إعادة النظر في سياستنا مع باكستان وتقديم المزيد من الضمانات، والمساعدات إليها، واتخاذ قرار يقضي بعدم إخضاع سياستنا الأمنية تجاه باكستان لسياسة عدم انتشار الأسلحة النووية، ولا بد من تشجيع الصينيين على مساعدة الثوار أيضًا، والاتفاق مع الدول الإسلامية على إنشاء حملة دعائية وحملة عمليات سرية لمساعدة الثوار ""[544].

وفي قانون رئاسي سري، وقعه الرئيس الأمريكي كارتر سمح لـ "السي.آي.إيه" بشحن الأسلحة سرًا إلى المجاهدين، واستعمل المستند كلمة التحرش لوصف أهداف "السي.آي.إيه" ضد القوات السوفييتية، وقد رفعت عمليات "السي.آي.إيه" السرية نفقات التدخل السوفييتي في أفغانستان[545]، وقامت بتعزيز علاقاتها مع المخابرات الباكستانية[546].

سعت باكستان للاشتراك بالقضية بكل ثقلها، فعلاقتها مع الهند متوترة، ولا تريد أن يقوم بجانبها نظام شيوعي يناصبها العداء، لقد **"كان في مصلحة باكستان أن تساعد الأفغان، فحدود السوفييت وصلت حينئذ بالفعل إلى باكستان، ونشأ خطر حقيقي جدًا**

---

[544] حروب الأشباح، ص 84.

[545] انظر: حروب الأشباح، ص 93.

[546] انظر: حروب الأشباح، ص 94.

من أن السوفييت سوف يستقرون في أفغانستان، ويستطيعون من هناك أن يغزوا باكستان بعد فترة قصيرة "[547].

وقد حرص الرئيس الباكستاني ضياء الحق على السيطرة سياسيًا على أسلحة (السي.آي.إيه) وأموالها، وتمكن من الحصول على ذلك، لقد أصرَّ أن يمرَّ كل سلاح أو دولار مخصص للمقاتلين الأفغان عبر أيدي الباكستانيين، فهو من يقرر أي مجموعة مقاتلة ستستفيد منها [548]، ومع معرفة الأمريكان بأن الباكستانيين يسرقون المساعدات، إلا أنهم استمروا بإرسالها لهم [549]، وقد تم بيع ثلث الأسلحة الواردة في السوق السوداء [550]، والحديث يجري هنا عن كميات كبيرة من السلاح التي تصل إلى باكستان لدعم المجاهدين، بلغت من طرف الأمريكيين إلى **65 ألف طن** [551]، وستعطي إدارة ريغان لضياء الحق 3.2 مليار دولار، بالإضافة إلى السَّماح له بشراء طائرات (إف 16) [552]، في بيان التزامها بالتحالف معهم، لقاء دعمهم للقضية الأفغانية.

يتحدث برويز مشرف عن دور باكستان في تلك المرحلة:

---

547 على خط النار، ص 214، 215.

548 انظر: حروب الأشباح، ص 100.

549 انظر: حروب الأشباح، ص 106.

550 التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 209.

551 التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 209.

552 انظر: حروب الأشباح، 100.

" ساعدنا في خلق المجاهدين، ونفخنا فيهم نار الحماس الديني في المدارس الدينية، وسلّحناهم ودفعنا لهم المال، وأطعمناهم، وأرسلناهم للجهاد ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان "[553].

لقد أقيمت في باكستان مراكز مخابرات من دول متعددة كالمخابرات الأمريكية والبريطانية، وتم تزويد المجاهدين بخرائط لأهداف لسوفيتية يريدون ضربها [554]، ولم تكن تقتصر على أفغانستان بل تم شن **عشرات من الهجمات حتى 25 كيلومتر داخل الاتحاد السوفييتي وصلت ذروتها سنة 1986** [555]، وتعهدت الولايات المتحدة بحماية باكستان.

كتب كارتر:

"إن الاحتلال السوفيتي لأفغانستان كان يهدد أمن الولايات المتحدة، سأكون مضطرًا لاتخاذ إجراءات عسكرية، إذا أحكموا قبضتهم وانتقلوا إلى الدول المجاورة "[556].

" لا نستطيع تحمل تحرك السوفييت إلى الدول المجاورة، وبناءً عليه التحكم في الكثير من موارد النفط في منطقة الخليج. وأصبح البيان الخاص بالاستخدام المحتمل للقوة

---

[553] على خط النار، ص 271.

[554] انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 216.

[555] انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 220.

[556] مذكرات البيت الأبيض، جيمي كارتر، ترجمة: سناء شوقي حرب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 2013، تعليقًا على صورة للجيش السوفييتي قبل ص 307.

العسكرية في منطقة الخليج معروفًا باسم (مبدأ كارتر) لأنه انطوى على ضرورة استخدام كل ما أوتينا من قوة "[557].

لقد كان الصِّراع في أفغانستان حلقةً من حلقات الحرب الباردة، وتمثلت تلك المرحلة في **"إغراق الجيش السوفييتي في المستنقع الأفغاني، وفي البناء الواسع النطاق للوجود العسكري الأمريكي في الخليج، بوصفه رادعًا لأي عملية نقل أخرى نحو الجنوب للقوة السياسية أو العسكرية السوفييتية، وهكذا التزمت الولايات المتحدة بالدفاع عن منطقة الخليج "**[558].

وكانت العلاقة بين الاتحاد السوفييتي والصّين متأزمة، فطالبت الصّين السوفييت بالأراضي الممتدة من الأورال وحتى الشّرق الأقصى، مدَّعية بأنّ هذه الأراضي تعود إلى جمهورية الصّين الشعبية، وتم حشد قطاعات كبيرة من الجيش الصّيني على الحدود، ووزعت منشورات معادية للسوفييت[559]، ومع تأزم العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، تقاربت الصّين مع الولايات المتحدة، وفي لقاء جمع بين بريجنيف وكارتر، قال كارتر بأنّ العلاقة مع الصّين جيدة بالنسبة للولايات المتحدة، فقال بريجنيف: **" بالتأكيد ليست جيدة بالنسبة للاتحاد السوفييتي "**[560]، كان حشد الصين للجيش على الحدود دافعًا لحشد

---

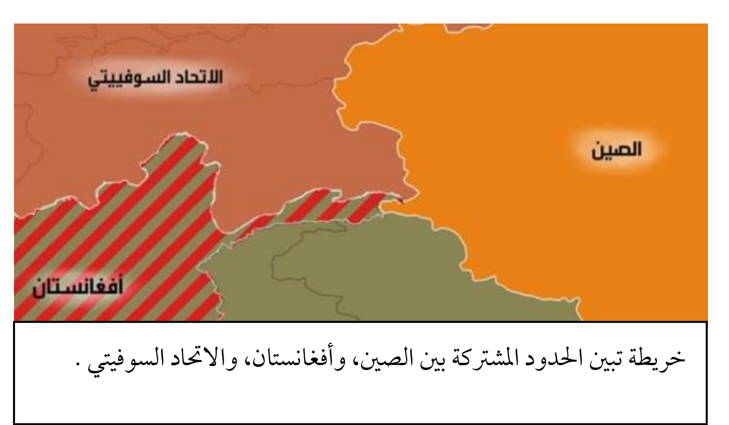
[557] مذكرات البيت الأبيض، ص 521.

[558] رقعة الشطرنج الكبرى؛ السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيًا، زبغنيو بريجنسكي، مركز الداراسات العسكرية، الطبعة الثانية، 1999، نسخة إلكترونية، ص 10.

[559] انظر يوتيوب: الأسباب الحقيقية لإدخال القوات السوفيتية إلى أفغانستان. شهادة مذهلة لرئيس أركان القوات السوفيتية هناك، نورات تير-غريغوريانس رئيس الأركان السوفيتية في أفغانستان (1981 – 1983)، دقيقة: 8، 9.

[560] مذكرات البيت الأبيض، ص 439.

السوفييت جيشهم في وجهها، فأدخل الاتحاد السوفييتي الجيش التاسع والثلاثين وكان **يضم مائة ألف عسكري إلى الجمهورية الشعبية المنغولية** التي تقع شمال الصّين لتأمين الحدود السوفييتية ضد أي تهديد من الصين، ولكن الجناح اليساري لحدودهم كان مكشوفًا وغير محمي، وتحديدًا في حدود الصّين مع أفغانستان، فكان في دخول السوفييت إلى أفغانستان حشدٌ للجيش من ذلك الجانب في وجه الصّين [561]، ولذا صرحت الصّين بإدانة دخول السوفييت أفغانستان، وأيدت الجهاد الأفغاني وأسرعت **"تمد المجاهدين بالعتاد والسّلاح، كما دفعت حزب (شعلى) الشيوعي الأفغاني إلى قتال الروس وعملائهم"**[562].



خريطة تبين الحدود المشتركة بين الصين، وأفغانستان، والاتحاد السوفيتي .

وقد اتخذت الولايات المتحدة منهجًا يتضمن أكثر من عشرين خطوة عقابية للاتحاد السوفييتي [563]، منها تقييد امتيازات الصيد البحري للسوفييت في المياه الأمريكية، مما خفض الصّيد من **350 ألف طن، إلى 75 ألف طن**، و منعت أيضًا مبيعات القمح التي طلبها السوفييت وهي **(17 مليون طن)**، وانضمت أوروبا وكندا إلى الولايات المتحدة في وقف تصدير القمح والذرة وفول الصّويا وغيرها من المنتجات الزراعية إلى الاتحاد

---

[561] انظر يوتيوب: نورات تير-غريغوريانس رئيس الأركان السوفيتية في أفغانستان (1981 – 1983)، دقيقة: 10.

[562] ذكريات عربي أفغاني، ص 300.

[563] انظر: مذكرات البيت الأبيض، ص 511.

السوفيتي، وأوقف السوق الأوربية المشتركة أموال دعم التصدير، وأوقفت منح التراخيص لصادرات الغلال ومنتجات الألبان للسوفييت، وأعلنت إيران استنكارها للغزو السوفييتي [564].

وفي 1980 قررت الولايات المتحدة مقاطعة الأولمبياد الصّيفي في موسكو، احتجاجًا على احتلال السوفييت لأفغانستان، وكذلك فعلت ستون دولة أخرى [565].

ولقد " طبّقت السّعودية وأمريكا سياستين اقتصاديتين مهمتين:

أولًا: خفضت أمريكا سعر الدولار، مما **خفَّض قيمة الصادرات السوفيتية بمقدار الربع.**

ثانيًا: قرَّرت السّعودية زيادة إنتاج النفط... وفي أواخر خريف 1985، زاد إنتاج النفط السّعودي ليصل إلى قرابة 9 بلايين برميل يوميًا، في تشرين الثاني/ نوفمبر وصل سعر النفط 30 دولارًا للبرميل، ثم انخفض خلال 5 أشهر إلى 12 دولار للبرميل، وبالنسبة إلى موسكو أدى هذا الأمر **إلى خسارة 10 مليارات دولار**، وبناءً عليه هبطت مبيعات الأسلحة السوفيتية بـ 20 في المائة في سنة 1986، ما مثّل خسارة **أخرى بقرابة ملياري دولار** [566].

---

[564] انظر: الشيعة في أفغانستان، ص 113، 114.

[565] انظر: مذكرات البيت الأبيض، ص 521.

[566] صراع الحلفاء السعودية والولايات المتحدة منذ 1962، ص 168.

كان برنامج دعم (السي.آي.إيه) في بدايته سرِّيًا لعدد من القادة **مثل قلب الدين حكمتيار** [567] الذي دعمه البريطانيون أيضًا، ودعي إلى دوننج ستريت في 1980 [568]، ولكن في العلن كان حكمتيار ينفي تلقيه لأي دعم في المال والسِّلاح حتى مرحلة متأخرة [569]، ولقد زار مستشار الأمن القومي الأمريكي زبيغنيو بريجينسكي باكستان، لحشد قوى المجاهدين، وعلى الحدود الأفغانية قرب ممر خيبر، خطب قائلًا:

" نعرف إيمانهم العميق بالله، ونحن واثقون بأن كفاحهم سينجح، الأرض هناك لكم، ستعودون إليها ذات يوم، لأن كفاحكم سيفوز، وستعود إليكم بيوتكم، لأن قضيتكم محقة، والله معكم " [570].



مستشار الأمن القومي الأمريكي بريجنسكي، يخطب في جمع من الأفغان عل الحدود الأفغانية الباكستانية، قرب ممر خيبر .

ثم " سفينة تلو سفينة، وقافلة شاحنات تلو قافلة... بلغت الإمدادات السرية التي أرسلتها (السي.آي.إيه) إلى الجبهة الأفغانية مستوى لم تعده من قبل، كما أن البرنامج لم

567 انظر حروب الأشباح، ص 108.

568 انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 219.

569 انظر: الذخائر، ج 3، ص 467.

570 انظر يويتيوب: الحرب الباردة، تلفزيون دولة الكويت بلس، حلقة 20، دقيقة: 16.

يعد سرِّيًا، بدأ الرئيس ريغان **بالتلميح علنًا إلى أن أمريكا تساعد (المحاربين من أجل الحرية) الأفغان، كما كانت تسميهم واشنطن "**[571].

إلى أن يصبح الأمر مكشوفًا على العلن، ففي 16 حزيران/ يونيو 1986، سيزور برهان الدّين ربَّاني الناطق الرسمي باسم ائتلاف المجاهدين الأفغان الولايات المتحدة الأمريكية، ويلتقي بالرئيس الأمريكي وقتها رونالد ريغن، وهو العام الذي ستسلم فيه الولايات المتحدة صواريخ ستنجر إلى المجاهدين، **ليتم اطلاق أول صاروخ منها في 25 أيلول/ سبتمبر 1986 على مشارف مطار جلال آباد**[572].



رباني أثناء لقائه بريغن في البيت الأبيض .

وقد ظل عزّام ينفي أن لأمريكا أية يد في مساعدة المجاهدين بالسلاح حتى وقت متأخر، كما سجل ذلك في سطورٍ له بتاريخ 1987، لقد كان **"لا يتورع عن إخفاء الحقائق، ويدافع عن الواقع الفاسد لقيادات الأحزاب الأفغانية، وهو أول من يعرف حقيقتهم "**[573]، لكن الأخبار تواترت، وصار جحد وصول إمدادات عسكرية أمريكية مكابرة

---

[571] حروب الأشباح، ص 111.

[572] انظر: ولادة الأفغان العرب، ص 138.

[573] معارك البوابة الصخرية، مصطفى حامد، ص 24.

للعيان، الأمر الذي دفعه إلى الحديث عن تلك الصَّواريخ، وبيان المسوِّغات لقبولها وانتشارها بين المجاهدين.

لقد أقر عزّام بمفعول صواريخ ستنجر فقال:

" قبل أسبوعين نزلت طائرتان في مطار شترال، سُئل الطيارون الروس: ما أكثر ما يرهبكم ويخيفكم؟ قالوا: صاروخ ستنجر "[574].

ولتسويغ وجودها بأيدي المجاهدين، قال:

" أصبحت صواريخ ستنجر هي حديث السامر لكل من أراد أن يتسلى بالتحليلات السياسية الدولية، وأضحى الإنسان لا يطالع خبرًا في الصحف الغربية عن الجهاد إلا وصاروخ ستنجر يحرز قصب السبق، وينال القسط الوافر من الحديث، وما علم الناس أن أمريكا تأخذ ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار "[575]، ويقصد بأنهم يأخذون **"ثمن كل صاروخ من السّعودية "**[576].

وتسويغ عزّام لهذا الفعل وكأنهم يشترون سيارات، أو يتبضعون من سوق مفتوحة، ويتغافل عن المعنى السياسي في إعطائهم هذه الصَّواريخ حتى ولو بالمال، فهذه الصَّواريخ لا تُعطى لكل من دفع 70 ألف دولار أليس هكذا؟! بل يصل تسويغه حدَّ الظرافة وهو يحاول إظهار أن المجاهدين هو المغبونون من صفقات كهذه، فيقول: "تأخذ

---

[574] الذخائر، ج 3، ص 210، بتصرف يسير.

[575] الذخائر، ج 2، ص 108.

[576] الذخائر، ج3، ص 573.

ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار، **طوله متر! الصاروخ طوله متر! ثمنه سبعون ألف دولار** "[577]، فما وجه الغرابة في أن يكون طوله مترًا، وثمنه مرتفعًا؟ فهذا صاروخ تقدر قيمته بمفعوله وتطور تقنيته، لا بالطول والوزن!

وعلى تسليم روايته بدفع 70 ألف دولار لقاء كل صاروخ، فينبغي التنبه إلى ما حصل بعد الحرب، حيث **"سعت الولايات المتحدة بشتى الوسائل لاستعادتها مقابل مائة ألف دولار للقطعة الواحدة، ولكنها منيت بفشل ذريع في هذا المجال "**[578]، وهذا يُبيّن أن الهدف من تلك الصَّواريخ لم يكن تجاريًا كما تحوم حوله دعاية عزّام.

وفي حديث عبد الله أنس عن عزّام قال:

"لم يكن يتدخل في أمور مثل خذوا ستنجر أو لا، هذه من القرارات السياسية السيادية"[579].

فالموضوع فيه سياسة وسيادة فيما يتعلق بالفصائل الأفغانية، ولكن مع الولايات المتحدة فكأن الحديث عن سوق وُضعت فيها أموالٌ فتلقوا منها السِّلاح فماذا كان؟!

---

[577] الذخائر، ج 3، ص 1119.

[578] عصر التطرفات، إيريك هوبزباوم، ترجمة: فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2011، ص 454.

[579] انظر يوبتيوب: رحلتي مع الجهاد، الحلقة 10، دقيقة: 4.

وحاول أن يحصر الأمر بصواريخ ستنجر فقط، فقال: " **أظن أني مطلع على الجهاد، أتحدّى أي واحد من المسلمين أو الكافرين، أن يثبت أن أمريكا قدمت قطعة سلاح واحدة للجهاد... الأسلحة كلها شرقية** "[580].

وقال: " **ما رأيت سلاحًا أمريكيًا واحدًا في أرض أفغانستان سوى ستنجر** "[581].

يوضح كارتر في مذكراته كيفية الدعم الأولي للمجاهدين، فقال:

" **كانت المساعدات العسكرية تزيد بصورة منتظمة فترة حكمي، وكانت هذه العملية سرية للغاية لكثير من الأسباب، وقررت أن أزوّد المجاهدين الأفغان بأسلحة سوفيتية الصنع، حتى لا تظهر أنها تأتي من هنا، كانت الأسلحة السوفيتية متوفرة في كثير من البلاد، ولكننا اشتريناها من باكستان ومصر والسعودية، تم استكمال هذه المساعدات وتوسيعها على عهد رونالد ريغن، وأصبحت معروفة للعامة بشكل واضح** "[582].

ومع تسويغ عزّام لوجود هذه الصَّواريخ بأيدي المجاهدين، كان ينادي بـ "**مقاطعة أمريكا في كل مكان... لا بد أن تنظر المرأة إلى حبة التفاح الأمريكي... كأنها رأس أفعى تريد أن تلدغها، لا بد أن ينظر الشاب إلى السيارة الأمريكية كأنها دبابة تريد أن تهرسه تحت جنازيرها، لا بد أن يلقي الأطفال باللعب القادمة من أمريكا ويلقوها في أماكن القمامة والمزابل** "[583]، لكن (لا بد) هذه لا تشمل صواريخ ستنجر!

---

[580] الذخائر، ج 3، ص 210.

[581] الذخائر، ج 3، ص 573.

[582] مذكرات البيت الأبيض، ص 512.

[583] الذخائر، ج 3، ص 899.

أما عن لقائهم بالرئيس الأمريكي، فقد تولى عزّام سياسة التسويغ لهم، فيقول فيه:

" إنك لتستشعر العظمة الإيمانية والعزة الإسلامية، وأنت تسمع تصريحات قادة الجهاد، إذ صرح يونس خالص ويقول: ما قابلت ريغان إلا لأعرض عليه الإسلام "! [584].

ويفاخر عزّام بأن خالص قال عن سبب زيارته لريغان: **" خشيت إن سألني ربي، كيف تفلت فرصة تعرض بها الإسلام على رجل كافر فلا أستطيع أن أجيبه! "** [585]، وكأنه لا يوجد أي مدلول سياسي لاستقباله في البيت الأبيض، المسألة فقط دعوة إلى الإسلام، ولك أن تتخيل لو أن قومًا انفتحت شهيتهم الدعوية لزيارة رسمية إلى إسرائيل بحجة دعوتها إلى الإسلام وتجاهل أي مدلول سياسي للزيارة.

وعن وسائل الإعلام الغربية التي تتحدث عن (المجاهدين) المقاتلين في سبيل الحرية، تبلغ الأمور بعزّام إلى اللفظية إلى أبعد حد، فيقول:

" لقد فرض الجهاد الإسلامي الأفغاني على العالم أن يعيد إلى قاموس التعامل اليومي مصطلحات إسلامية كادت تندثر مع الزمن طي النسيان، ففرضوا كلمة الجهاد، ورفضوا كلمة الثورة "[586].

وما قاله عزّام هنا حول فرض هذه المصطلحات، لم يكن قهرًا على العالم كما يحاول تصويره أو كما يتصوره هو بحق، فقد تم التفكير فيه قبل أن يصل هو أصلًا إلى السّاحة

[584] الذخائر، ج 2، ص 108.

[585] الذخائر، ج 3، ص 572.

[586] الذخائر، ج 2، ص 105.

الأفغانية، ففي 17 ديسمبر 1979، في اجتماع (**خاص للتنسيق**) كانت بشكل عام فيه "**الخطة الأمريكية تصوير السوفييت بأنهم أعداء للسياء الدينية والقومية الإسلامية** "[587].

وفي يوم 18 ديسمبر ألقت مارجريت تاتشر رئيس الوزراء البريطانية خطابًا بعنوان (الغرب والعالم اليوم) "**دافعت فيه بقوة عن الإسلام بديلًا للماركسية** "[588].

وخلال زيارة لاحقة لمعسكر اللاجئين قرب حدود أفغانستان قالت:

" **إنكم تتركون بلدًا كافرًا لأنكم رفضتم أن تعيشوا في ظل نظام شيوعي كافر يحاول تدمير دينكم** "[589].

كما نظمت الاستخبارات عمليات للدعاية، **تضمنت توزيع نسخ من القرآن باللغة الأوزبكية، كانت وكالة الاستخبارات الأمريكية قد قامت بطباعتها**[590]، وموّل جهاز المخابرات البريطاني قاضي حسين أحمد، وهو زعيم الجماعة الإسلامية الباكستانية لضخ الأموال، وإدخال أدبياتهم في جمهوريتي **طاجيكستان وأوزباكستان** لإثارة الدوائر الدينية المحلية، ودفعها



الصورة لقاضي حسين أحمد قائد الجماعة الإسلامية في باكستان .

---

587 التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 205.

588 التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 205.

589 التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 206.

590 انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 220.

للتمرد على حكوماتها الشيوعية [591]، و "**ليس ثمة ما يشير إلى أن الحكومة الأمريكية توقعت السقوط الوشيك للاتحاد السوفييتي، أو كانت مستعدة بأي شكل من الأشكال لهذا الحدث** " [592]، ولذا فقد كان التفكير باستنساخ المجاهدين الأفغان في باقي الجمهوريات التي يوجد فيها مسلمون، لإثارتهم ضد الاتحاد السوفييتي.

فما يتحدث عنه عزّام هو تحصيل حاصل، وتنفيذ لما تم السعي إليه من دوائر المخابرات المختلفة، وسعت إليه سياسات دول ووظفت له موارد، فليس فيه سباحة عكس التيار! ولا هو إلزام لهم بما لا يريدونه، بل هذه الطريقة اللفظية أنهم سموه جهادًا لا ثورة، تذكر باللفظية التي توقف معها نصارى بني تغلب حين كان "**المأخوذ منهم جزية باسم الصَّدقة** "[593].

إن نظرية المؤامرة التي كان عزّام يتفنن في تلمس خيوطها إلى حد الهوس والمبالغة، والحديث عما لا تسعفه الوقائع التاريخية، كانت تتبخر لصالح التسويغ والتماس الأعذار للمجاهدين الأفغان، وهو ما سيكرره من بعده أسامة بن لادن، متحدثًا عن تلك الفترة:

" لم يكن هناك أي اتفاق، وإنما كنا نقوم نحن بواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية، عندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديدًا بين الروم والفرس وكان دائمًا، ولا يمكن لعاقل أن يقول إن

[591] انظر: التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، ص 220.

[592] عصر التطرفات، إيريك هوبزباوم، ص 445.

[593] المغني، (أبو محمد) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة: 1997، ج 13، ص 224.

المسلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم وهو الواجب عليك يفرح الفرس "[594].

الواقع أن المسألة لم تكن مجرد أنه بدأ بالروس، **وفرح** بذلك الأمريكان! بل الأمريكان بدأوا الدعم مع البريطانيين لمعارضي الشيوعيين قبل 6 أشهر من دخول السوفييت، ومع دخول السوفييت ارتفع الدعم تدريجيًا وظهر من السّر إلى العلن، وكانوا يقيمون أحيانًا غرف عمليات مشتركة في باكستان، يعطون المجاهدين خرائط لضرب القوات السوفييتية، وقد تم التوغل في بعض العمليات داخل الأراضي السوفيتية، ودعموا جماعات عديدة لتحريض المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الأخرى على قتال الحكومات الشيوعية هناك، فالحديث يجري هنا عن ملايين الدولارات وأطنان الأسلحة، التي انهالت على أفغانستان، وأجهزة المخابرات الغربية التي كانت قد سبقت القادمين العرب إلى باكستان، كل هذا مع التوظيف السياسي لهذا وهو ما لا يمكن اختزاله كله بعبارة: (**تقاطع مصالح**).

فهل توجد في الدنيا مؤامرة لا تكون عبارة عن (**تقاطع مصالح**)؟ أم إذا كان المجاهدون في وسط دوّامة عناصرِها مجتمعة قيل: تقاطعت المصالح، وفي غيرهم مؤامرة؟! فهذه الكلمة لا تحل الازدواجية في ذا الخطاب البتة، إنما تلقي بعنوان جديد على تلك الحالة التي يفترض أن يجدوا لها تفسيرًا في خطابهم!

---

[594] أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، فارس آل شويل الزهراني (أبو جندل الأزدي)، نسخة إلكترونية، ص 433، 434.

ويغفل في حديثه عن تقاطع المصالح دون رضاهم، عما أراده الأمريكيون من هذه الحرب، ويظهر ذلك في شهادة يوسف ندا على دوره في المفاوضات لانسحاب السوفييت من أفغانستان، فلقد قابل حكمتيار قائلًا له:

" السوفييت يريدون المغادرة، ولا يريدون لرجالهم أن يُقتلوا أثناء الانسحاب، كما يرغبون في إقامة علاقات طيبة مع النظام الجديد، وألا يصبح لهم عدو جاثم على حدودهم "[595].

وهي دعوة صريحة لرغبتهم بمخرج آمن، مما يوفر على الأفغان القتل والقتال، ويحقق النتيجة المعلنة للجهاد هناك، وعرض ندا على حكمتيار أن يطلب في المفاوضات " **إزالة جميع الألغام، وتعويضكم عن الطرق، والمدارس والمستشفيات وكافة المرافق التي دمروها**"[596].

كانت الخطة أن يلعب الإيرانيون دور الوسطاء، فهم لا يريدون أن يكون الأمريكان والسوفييت ضدهم، وإذا ساعدوا السوفييت فسوف يكسبون تأييدهم ضد الولايات المتحدة، ووافق حكمتيار على هذا، وتم الترتيب مع الإيرانيين على المفاوضات مع السوفييت على أتم وجه، وتم تحديد موعد رحلة حكمتيار إلى إيران، و"**قبل موعد الرحلة بثلاث ساعات تدخل الأمريكيون**"[597]، فـ"**لم يتوقف القتل في أفغانستان، أراد**

595 من داخل الإخوان المسلمين، يوسف ندا مع دوجلاس تومسون، ترجمة: محمد فريد الشيّال، الطبعة الثانية: 2013، نسخة إلكترونية غير مرقمة، وبالإمكان العثور على الموضع هذا باستعمال البحث الإلكتروني فيها.

596 المصدر السابق.

597 المصدر السابق.

الأمريكون للحرب أن تستمر، كانوا يريدون أن يزداد نزيف السوفييت إلى أقصى ما يمكن، لم يرضوا لهم انسحابًا آمنًا، وقد حصلوا على ما أرادوا، واصل قلب الدين حكمتيار هجومه، قصف كابول، فمات عشرات الألوف "[598].

فهذا حكمتيار الذي **كانت تربطه بأسامة بن لادن علاقة وطيدة في تلك الفترة [599]، بل إن علاقته به كانت هي الأوثق من بين قادة الأحزاب الأفغانية حتى نهاية الحرب** [600]، يقرر تقاطع مصالح عموم المجاهدين هنا مع من لتستمر الحرب هناك؟ لقد ترك مصلحة بلاده، والهدف المعلن من الجهاد ضد السوفييت وهو خروجهم من أفغانستان، لمصلحة مزيد من الدماء، لمزيد من التدفق في المال والسِّلاح على أمراء الحرب، **في تلك الفترة التي كان ابن لادن يشارك في أفغانستان ويسقط العديد من المتطوعين العرب قتلى وجرحى،** كانوا يستنزفون السوفييت دون أية جدوى سياسية لهم بعد عرض السوفييت للتفاوض حول انسحابٍ آمن لهم سوى تحقيق مصلحة الولايات المتحدة، وإلا فقد كان يمكن أن يتم توفير آلافٍ من الضحايا، والانهماك في إعمار أفغانستان.

إن الولايات المتحدة لم تفرح بتلك الحرب فقط، بل قالت: لا، لتوقفها! واستمر قادة الجهاد بهذا الأمر، متابعين للقرار الأمريكي، وتم رفض عرض الانسحاب الآمن،

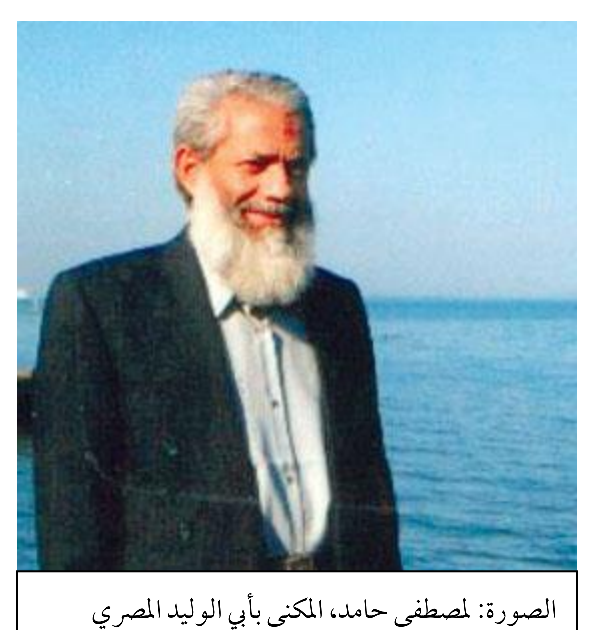
---

[598] المصدر السابق.

[599] انظر: الدب الأسمر؛ اعترافات الحارس الخاص لأسامة بن لادن، شارل فؤاد المصري، دار النهضة – الجيزة، الطبعة الأولى، 150.

[600] انظر: خيانة على الطريق، مصطفى حامد، ص 62.

و"**بعدما قام (جورباتشوف) بسحب القوات من أفغانستان في 1989، تجاهلت الولايات المتحدة والبلاد الغربية الأخرى الشعب الأفغاني بشكل كامل**" [601].



الصورة: لمصطفى حامد، المكنى بأبي الوليد المصري

مصطفى حامد وهو ممن كان في أفغانستان لسنوات وعاشر أسامة بن لادن وغيره، ووصفه أبو مصعب السوري بقوله: "**الرجل من عباقرة الكتاب والمفكرين ومن الدرر التي ضاع قدرها وقيمتها في بحر الأمواج المتلاطمة لمسار الجهاد الأفغاني، وهو صحفي محترف وكاتب ومؤرخ، ومفكر استراتيجي عالٍ** " [602].

يقول مصطفى حامد: " **كل التيارات التي عايشتها في أفغانستان كانت تعبيرًا عن أمراض الأمّة، وأزماتها في شتى المجالات، ولا يمكن أن تكون الظواهر المرضية علاجًا للمرض** "[603]، يشرح ذلك فيقول:

[601] مذكرات البيت الأبيض، ص 513.

[602] دعوة المقاومة العالمية، ص 198.

[603] مصطفى حامد، المطار 90، ص 95.

" في أفغانستان تجلت أزمة الفكر الجهادي العربي في أشد صورها قتامة، فالقيادات التي تصدت لقيادة العمل العربي: عبد الله عزّام، وأسامة بن لادن، كانت تفتقر إلى المعرفة السياسية، أو العسكرية اللازمة، وترتب على ذلك:

كان تقييمهم للموقف القائم في أفغانستان خاطئًا، وترتب على ذلك خطط عملية خاطئة، بل كان العمل في الواقع لا يعرف التخطيط، فكان مجموعة من المبادرات الوقتية المرتجلة والمزاجية.

وفي العمل السياسي وقعوا فريسة لأكبر الأفاقين من قادة الأحزاب (الأصولية) المصنوعة على أعين أعداء الإسلام، فأصبح العمل الجهادي العربي، سواء المالي، أو القتالي، لا يخرج عما تريده دوائر الاستخبارات الأمريكية، وأذنابها.... أما العمل العسكري لهؤلاء القادة، فلم يحقق سوى إهدار دماء، ومجازر شباب، وشتات في العمل؛ لا يعطي ثمرة للأفغان، ولا يحقق فهمًا عسكريًا للعرب الذين لم يكتسبوا سوى مهارة إطلاق النار "[604].

ففي مقابل هواية كشف المؤامرات اليهودية والماسونية الخفية، كان يجري تعطيل هذه الموهبة فيما يتعلق بتحليل الحرب في أفغانستان، وهذا ما سينعكس على الأجيال التالية ممن سيتابعهم على هذه المفاصل الفكرية، ومن أهم تلك المفاصل اعتقاد أنهم جزء من الحل، وليسوا جزءًا من المشكلة، فيضحي نقدهم للواقع ليس شاملًا لهم، كونهم جزءًا من الواجب المتحتم وليس الواقعَ الذي يجب تغييره.

[604] مصطفى حامد، المطار ٩٠، ص ٩٨.

وسيتم تجاهل كل ذلك الحصار السياسي والاقتصادي على الاتحاد السوفييتي، من كل الدول التي ساهمت فيه، وعلى رأسها الولايات المتحدة التي كانت في حرب باردة مع السوفييت، وتجاهل أثر الدعم الغربي بالمال والسِّلاح والموقف السياسي لهم في أفغانستان، وتراجع مناطق نفوذ السوفييت، كالتوتر مع الصّين الشعبية، ودخول مصر في خط التحالف مع الولايات المتحدة أيام السّادات الذي دفعه إلى دعم الجهاد الأفغاني بشكل كبير [605]، كذلك الأسباب الداخلية المضعفة للاتحاد السوفييتي، من بيروقراطية متضخمة، وغياب للحريات السياسية، وأزمة في الاقتصاد [606]، وتململ للقوميات التي حواها الاتحاد السوفييتي [607]، وتصاعد للاحتجاجات الداخلية [608]، وفروق في مستويات الحياة بين أجزاء الاتحاد، لتختزل الصورة في حرب أفغانستان عند حديث الأدبيات الجهادية عن سقوط الاتحاد السوفيتي، تلك الحرب التي بلغت فيها خسائر السوفييت الرسمية: 15 ألف قتيل (أما الإحصائيات غير الرسمية تتراوح بين 40 – 50 ألفًا) و تكلفتها ملياري دولار سنويًا، مع التنبه إلى أنه عندما انسحب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان **ترك خلفه نظامًا مستقرًا نسبيًا ومواليًا لهم**، ولم تسقط حكومة نجيب الله إلا عندما أوقف السوفييت إمدادات الأسلحة بعد أربع سنوات كاملة [609]، و**"مع التراجع**

---

[605] انظر: ذكريات عربي أفغاني، ص 125.

[606] انظر: انهيار النموذج السوفيتي، كريس هارمان، ترجمة: خليل كلفت، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى: 2010، ص 59.

[607] انظر: انهيار النموذج السوفيتي، ص 61.

[608] انظر: انهيار النموذج السوفيتي، ص 152.

[609] انظر: الدروس المستفادة من غزو أفغانستان، ويليام دالريمبل، قندهار – أفغانستان، على موقع بي بي سي بالعربية: http://www.bbc.com/arabic.

التدريجي لروسيا، أصبحت الولايات المتحدة القوة العسكرية والاقتصادية العالمية من دون منازع "[610].

لقد حصلت مبالغة في الأدبيات الجهادية في دور الجهاد الأفغاني في انهيار الاتحاد السوفيتي حيث تم اختزال الصورة فيه والمبالغة في أثره، وقد عبر عن هذا سالم الزايدي في قصيدة له بعنوان (**أرونا بطشكم**) والتي صارت نشيدًا مشتهرًا بعده [611]، وكان مما قاله فيها:

وكنّا قد قصدنا الروس قبلًا *** وكانوا قوّة متمكنينا

فكدناهم بحول الله كيدًا * فصاروا قلّة متناحرينا** [612]

لقد كان التاريخ يعاد إنتاجه بتجاوز الوقائع، ويتم الاعتماد فيه على اليقين بأفكار وشعارات تلفها مسحة غموض، كهالة روحانية صوفية، بقدر تجاوز الأرقام والدراسات الموضوعية، كتب عزّام:

" يجمع المراقبون أن الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصر، أذهلت المؤرخين أن يفسروها، وحارت عقول المراقبين في فهمها، وكما قال الصحفي الكندي عندما رأى انتصارات المجاهدين على الروس: إنها حقائق ولكني لا أستطيع تفسيرها "[613].

---

[610] مذكرات البيت الأبيض، ص 697.

[611] انظر يوتيوب: أرونا بطشكم هيا أرونا وطيشوا، واملؤوا منا السجونا.

[612] ديوان العزة، مجموعة قصائد حماسية في الجهاد، ص 25.

[613] الذخائر، ج 2، ص 93.

فكم هم المراقبون الذين ينقل إجماعهم، وما أدراه هو بهذا؟ لا يشكل هذا سؤالًا محوريًا هنا، ولكنّ سطوره هذه، تكشف فرقًا بين منطقيين، بين منطق يقول فيما لا يعلمه: لا أستطيع تفسيره، وبين من يستنبط من هذا العجز دليلًا على أنها خارقة، **فعدم المعرفة يضحي معرفة بخارقة**، وهي مغالطة: **فما لا تعلمه يعني أنك لا تعلمه، لا أنك تعلم أنه خارق من الخوارق.**

تم اختزال انهيار الاتحاد السوفيتي بفعالية الجهاد الأفغاني، وتجاهل وجود أي دعم خارجي، وكان لهذا ما بعده، من الاعتداد الزائد بالنفس، الذي يدفع إلى القياس على هذا كأصل، تمثل في قول أسامة بن لادن سنة 1998:

" بإمكانيات ضعيفة، وعدد قليل من (الآر.بي.جي)، عدد قليل من ألغام الدبابات، عدد قليل من الكلاشينات، تحطمت أكبر أسطورة عرفتها البشرية، وتحطمت أكبر آلة عسكرية، وزال من أذهاننا ما يسمى بالدول العظمى، ونحن نعتقد أن أمريكا أضعف بكثير من روسيا "[614].

إنه يعيد صياغة كلمات عزّام القائل: **" الحرب العالمية الثالثة قامت في أرض أفغانستان، حلف وارسو في جهة الحكومة الأفغانية، مقابلهم الشعب الأفغاني الأعزل الفقير الأمي الذي لا يملك شيئًا من التكنلوجيا ولا السلاح ولا المال "** [615]، مع العلم أنه يغالط

---

[614] انظر يوتيوب: لقاء أسامة بن لادن مع قناة الجزيرة 1998، دقيقة: 50.

[615] الذخائر، ج 3، 974.

الحقائق التي يعلمها هو جيدًا مثل عزّام، يخبر مصطفى حامد عن حدثٍ فترة الحرب الأفغانية، فيقول:

" واجه أبو حفص –وهو القائد العسكري لتنظيم القاعدة – ضيوف الخليج بحقيقة أن **المخابرات الباكستانية هي التي تقود معارك جلال آباد وتوجهها**، وذلك كان شائعًا في صحف باكستان والعالم، وتؤيده ملاحظات كل من شارك في تلك المعارك، وكان قريبًا إلى حد ما من مستوى القيادات الميدانية العليا هناك.

كان ذلك صحيحًا، ليس منذ معركة جلال آباد الشهيرة، بل منذ بداية الجهاد الأفغاني، ومع ذلك فالمسلمون المخلصون هم آخر من يعلم، بل هم كالذي يغمض عينيه ولا يريد لأحد أن يوقظه، وإذا فعل، فالويل له.

لقد صدم الضيوف، فمشوا في كل بيشاور وكل الجبهات يسألون عن صحة ما قاله أبو حفص، خاصة وأنه قد حاز على شهرة وثقة منذ معارك جاجي التي كان نجمها الأوضح.

وقد يكون ذلك غريبًا وهو فعلًا كذلك، لكن الأغرب **أن يغضب أبو عبد الله من ذلك القول ويعاتب أبا حفص عليه**، رغم أنه حقيقة ساطعة في سماء العالم، وليس في أفغانستان فقط.

لقد كان **الدكتور عبد الله عزّام أشد حرصًا بكثير على نفي أو طمس تلك الحقائق، حتى آخر خطبة له** في بيشاور قبل اغتياله قبل نهاية ذلك العام: 1989 م "[616].

فابن لادن وهو المكنى بأبي عبد الله عاتب أبا حفص لإخباره الناس بأن المخابرات الباكستانية هي من تدير المعارك في أفغانستان، ثم يأتي هنا لتصوير الأمر بصورة مختلفة وهو يستصرخ الشباب للانضمام إليه، لقد كانوا ينتجون تاريخًا على مقياسهم، تاريخًا بديلًا عن الوقائع والحقائق، ثم يقدِّمون نتائجه بشكل شعارات ليؤمن بها من يتابعهم، طامسين أي خبر قد يُنغِّص على العنوان القائل بأن **"الله عز وجل هو الذي رعى هذا الجهاد"** [617].

كان (تقاطع المصالح) يشمل الحكومات التي تريد التخلص ممن قد يتسبب فيها بمشاكل أمنية، ولم يكن هذا سرًا، بل قال عزّام: **" نقول للحكومات هذه التي تطارد الشّباب الذين يأتون إلى أفغانستان، ماذا عليهم لو خلوا بينهم وبين أفغانستان؟**

إن قُتلوا استراحوا، وكان لهم ما أرادوا، يتخلصون من هؤلاء المتطرفين – كما يسمونهم – يستريحون، وإن رجعوا يحاسبونهم، نصفهم يقتل شهيدًا، وجزء تبتر رجله، وجزء تبتر يده فيستريحون، على الأقل يقاتلهم وهو أعرج، قبل ذلك كان يقاتلهم وله رجلان اثنان، والآن أعرج برجل واحدة! "[618].

---

[616] الحماقة الكبرى أو حرب المعيز، مصطفى حامد، ص 64، 65.

[617] الذخائر، ج 3، ص 736.

[618] الذخائر، ج 4، ص 34.

بعد أفول نجم الجهاد الأفغاني، وتضاؤل الأموال، وخفوت سلطانه على خيال الكثير من الشباب، ستبقى لعبة (تقاطع المصالح) هذه، وفي هذا الإطار يوضع قول سيد إمام:

" سمعت هذا الكلام من فم الظواهري بأذني مباشرة بدون واسطة في السودان آخر عام 1993، إذ قال لي: إنه ملتزم أمام السودانيين بتنفيذ عشر عمليات في مصر وإنه استلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض "[619].

[619] وثيقة التعرية لكتاب التبرئة.

أفكارٌ.. للقاعدة الصلبة.

كانت أفكار عزّام تتمحور حول إيجاد "**قاعدة صلبة ينطلق منها المسلمون**"[620]، وهذه القاعدة لن تتشكل دون الجهاد في سبيل الله، فعندما يهب المجاهدون إلى أفغانستان، سيتم صقلهم وتدريبهم، سيعيشون حياةَ العزة بعدما ذاقوا الذل في بلدانهم، وسيقيمون دولة الإسلام الأولى في الأرض، تلك التي قرأ حديث سيد قطب عنها قائلًا بأنها ستشكل "**قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني بجملته**" [621]، كانت العواطف هائلة وكبيرة، والآمال معلّقة جدًا بهذا الحلم الكبير.

استبشر عزّام بالقادمين إلى الساحة هناك مع من رفع السِّلاح من المجاهدين الأفغان، عاقدًا الأمل عليهم في مستقبل قريب جدًا؛ ينعكس على مشاكل الأمة المتنوعة، منها قضية فلسطين، حيث سيبنون الدولة هناك، ثم ينطلقون إلى المناطق الأخرى ومنها فلسطين، لكن الأمر لم يسر بمثل هذه الصورة الرومنتيكية العاصفة، لقد وفد إلى أفغانستان غير واحد ممن تأثروا بسيد قطب، غير عبد الله عزّام، وستشتعل العديد من الأفكار التي سيكون لها صداها فيما بعد.

كان عصام البرقاوي (المكنى بأبي محمد المقدسي) قد رفض الانضواء تحت حزب من الأحزاب الأفغانية[622] حين وصل بيشاور، وسيطبع كتابه (**ملة إبراهيم**) لأوَّل مرة فيها،

---

[620] الذخائر، ج 3، ص 75.

[621] معالم في الطريق، ص 76.

[622] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيون، ح 7، دقيقة 12.

ذلك الكتاب الذي يقتبس فيه عن سيد قطب، مواجهًا فيه "**الذين يتشدقون بكثير من كلام سيد قطب رحمه الله تعالى، في الوقت الذي يحرصون بل يتسابقون فيه على استجداء الطواغيت المعرضين عن شرع الله، من أجل أن يحكّموا شرع الله في بعض القضايا، أو كي يمنحوا إذنًا للدعوة إلى الله أو من أجل الحصول على مقاعد في مجالس الشرك والفسوق والعصيان** "[623].

كان المقدسي في بداية حياته قد لقي إمامَ مسجدٍ يلتزم الصلاة فيه، وهو **سيد عيد** من الذين سجنوا مع سيد قطب ومن المقربين منه، بل إن سيد قطب قال عنه بأنه "**في مقدمة الذين يعتبرون قد درسوا وفهموا**" [624] -أي كلامه وتوجيهه-، فكان المقدسي يحضر دروس سيد عيد التي يصف كلامه فيها بقوله: " **كل كلامه (ظلال) يمشي على الأرض، كل كلامه يتكلم في (الظلال)** " [625]، سيحرص سيد عيد على المقدسي، ويوظفه في مطبعة تابعة للإخوان المسلمين وكان المقدسي هو المسؤول المباشر عنها [626]، كذلك انضم المقدسي باكرًا أيضًا إلى حلقات جماعة محمد بن سرور، ويتحدث عن نوعية الكتب التي كانوا يتدارسونها قائلًا: " **من الكتب التي درسناها في الحلقات، في أوائل توجهنا، كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب** " [627]، وبهذا كان مسلحًا ثقافيًا قبل أن يقدم إلى أفغانستان، ليهاجم مبكرًا من وصفهم بالمميعين لطرح سيد قطب، الحائدين عن طريقه.

[623] ملة إبراهيم، أبو محمد المقدسي، منبر التوحيد والجهاد، ص 42.

[624] لماذا أعدموني، ص 22.

[625] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 1، دقيقة: 34.

[626] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيون، ح 7، دقيقة 12.

[627] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 1، دقيقة: 34.

توجه المقدسي إلى عدة مضافات حتى وصل إلى مضافة جميل الرحمن، مؤسس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة، وهي الجماعة السلفية الأشهر في تلك الفترة، يقول: **"ولكني صدمت بما هو أسوأ من المعسكرات التي يسيطر عليها الإخوان المسلمون ونحوهم، فقد كانوا يسبحون فهد بن عبد العزيز، والسعودية "** [628]، لقد كانوا يرون أن السّعودية دولة التوحيد ونحو هذا، الأمر الذي امتعض المقدسي لأجله، وفارقهم بسببه، ولكنه تأثر بهم حتى ولو خالفهم، ولعل من ذلك وصفه لمجلتهم بأنها (**مجلة التوحيد والجهاد**)، وهو الوصف الذي سيحمله موقعه فيما بعد (**منبر التوحيد والجهاد**)، وهو اسم الجماعة التي سيؤسسها أحد المتأثرين به أبو مصعب الزرقاوي في العراق قبل أن يبايع القاعدة، وهي (**جماعة التوحيد والجهاد**).

كان صيت المقدسي قد بدأ ينتشر في أفغانستان بين العرب بأنه طالب علم استنباطًا من أن له عدة كتابات متفرقة قبل وصوله إلى أفغانستان! ولكثرة حديثه في بعض المسائل الشرعية، ولذا سيعرض عليه رياض الحقيل المكنى بأبي مصعب بأن يكون **مسؤولًا شرعيًا في (القاعدة) التابعة لأسامة بن لادن، التي كانت في بدايتها حينئذ، في منطقة خوست** [629].

لم يكن الحقيل يعرف أن المقدسي يكفر النظام السعودي [630]، و شكا إلى المقدسي انتشار الفكر الذي سمّاه بـ(الفكر التكفيري) و التطاول على العلماء بين شباب القاعدة، وهذا

628 انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 8، دقيقة: 27.

629 انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 8، دقيقة: 28.

630 انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 8، دقيقة: 29، 30.

من الأهداف التي وضعها للمقدسي ليكافحها! ولم يكن يعلم شدّة هجوم المقدسي على مشايخ السعودية، **مما يبين إلى أي درجة كانت تسود في تلك المعسكرات الارتجالية، وكم كانت خليطًا غير متجانس الأفكار، سوى بخطوط عامة فقط،** ذلك الإهمال للجانب النظري لحساب الجانب العملي سيكون له أكبر أثر فيما بعد.

لقد أخبره الحقيل أنه رفع ذلك إلى أسامة بن لادن بأنّ الأمر اشتد في معسكرات القاعدة، فجماعة الجهاد كانت تسيطر على القاعدة، وتأثر بهم شباب السعودية واليمن وغيرها، وبعد أن ألحّ عليه، حاسبًا أنه يجهل حقيقة الأمر، قال له ابن لادن: **أنا أعرف بهذا، ولم يأخذ بتنبيهاته،** ولذا شكاه أيضًا إلى المقدسي [631]، وكأن ابن لادن يستلهم كلماتِ عزّام " **في ميدان العمل تذوب الخلافات** " [632]، فما يهمه هو الحركة كما قال سيّد قطب، أما الخلافات النظرية بين الطليعة، والقاعدة الصلبة، فليست بتلك الأهمية، ستذوب مع العمل والحركة.

كانت علاقة أسامة بن لادن مع النظام السعودي جيدة في تلك الفترة، ولم يكن يظهر أيَّ عداء لهم، وعلاقته قوية مع قادة الأحزاب الأفغانية، مثل سيّاف وحكمتيار، وهو الأمر الذي لا يرتضيه المقدسي، قال عن تلك الفترة:

" لقد رأيتني في بيشاور مرات ومرات، وفي أفغانستان... عرض عليّ أثناء ذلك مرارًا لقاء بعض قادة الجهاد مما أعد بعضهم اليوم من سادات المجاهدين في زماننا، وزينة أهل

---

[631] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 1، 3.

[632] الذخائر، ج 3، ص 721.

العصر، فكان عندي آنذاك كما قال عبد الله بن المبارك في بعض الرواة المتكلم فيهم: (أن ألقى بعرة أحبَّ إليّ من أن ألقى أحدهم...) لأن بصائرهم كانت زائغة في طواغيت الحكم، وأنصارهم، وكانوا يتخبطون في العلاقات أو التحالفات مع كثير من رؤوس الضلالة، ممن قد بصّرنا الله تعالى فيهم وفي انحرافاتهم في وقت مبكّر، كان فيه بعض هؤلاء الفصاميين يسهرون في حراسة أولئك الرؤوس الضلّال " [633].

وهو يقصد أسامة بن لادن في قوله أن ألقى بعرة في تلك الفترة أحب إليه من أن يلقاه، أما من وصفهم بالفصاميين، فيقصد بها أبا مصعب الزرقاوي، فقد كان الزرقاوي فترتها حارسًا شخصيًا لـ(**حمدي مراد**) في أفغانستان، فمراد سيضحي أمين عام وزارة الأوقاف الأردنية بعد ذلك، وكان المقدسي ومن معه يعيّرون الزرقاوي بهذا في السجن على وجه المداعبة أنهم كانوا حرّاسًا شخصيين له في أفغانستان[634]، قبل أن ينشرها المقدسي في كتابه (**وقفات مع ثمرات الجهاد**) على وجه الجد، بعد احتداد الخلاف بينه وبين الزرقاوي.

كانت جماعة الجهاد قد اشتركت في معسكرات القاعدة حتى لا يكون التنظيم مغلقًا على الإخوان المسلمين [635]، فمؤسس القاعدة أسامة بن لادن كان قد انضم إلى الإخوان المسلمين وهو في المدرسة الثانوية [636]، وكان يتطلع إلى القتال في سورية عندما قد بلغت مسامعه أخبار أحداث العنف السياسي فيها بين 1979 – 1982، يقول موسى القرني:

---

[633] وقفات مع ثمرات الجهاد، أبو محمد المقدسي، منبر التوحيد والتوحيد، ص 81.

[634] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 7، ص 13.

[635] انظر: الجريدة، العدد 152، الاثنين 26 نوفمبر 2007 م، ص 13.

[636] انظر: البروج المشيَّدة؛ القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر، لورانس رايت، ترجمة: هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي، مصر، الطبعة الثالثة: 2011 م. ص 101.

"لما كان هناك الإشكالات في سورية، بين النظام السوري، وبين وحركة الإخوان المسلمين، أسامة كان يفكر كيف يذهب إلى سوريا كيف يشارك المسلمين جهادهم هناك "[637]، ولكنه لم يستطع الذهاب، فقرر دعم الإخوان فكان يجمع التبرعات ويرسلها إليهم [638]، ولما وصل إلى باكستان لدعم الجهاد الأفغاني كانت تعليمات جماعة الإخوان له ألا يتخطى لاهور، وأنه يسلم الأموال فقط هناك، لكنه دخل إلى بيشاور، وانخرط في الجهاد الأفغاني، فراجعوه وأصرّ ففصلوه من الجماعة تنظيميًا [639]، لكنه بقي على أفكاره التي نشأ عليها وهو في صفوف الجماعة وهي ظاهرة (**الإخواني اللا إخواني**) أي المنتمي إليهم كهوى وسياسية وأفكار دون انتساب تنظيمي، وكانت علاقاته قويّة مع رموز الإخوان هناك من عبد الله عزّام، إلى باقي قادة الفصائل سيّاف ورباني وحكمتيار.

كانت أغلبية الشباب في القاعدة من المصريين من جماعة الجهاد [640]، التي سيتفق المقدسي مع أفكارها، وكان كتابه (**ملّة إبراهيم**) قد انتشر بينهم، حتى إنهم قرأوه جماعيًا، دون أن يعرفوا من هو مؤلفه، فلما عرّفهم بنفسه كبر في أعينهم [641]، واستغربوا كيف وضع في المعسكر، وكيف عينه الحقيل مسؤولًا شرعيًا عليهم وهو يحارب مثل هذه الأفكار، لقد شارك المقدسي في منطقة ميرانشاه، في بيت تابع للقاعدة في دورة سمّيت (**الدورة**

---

[637].انظر يوتيوب: داوود الشريان مع الشيخ موسى القرني والجهاد الافغاني والعراقي والثناء على ابن لادن، دقيقة: 4

[638] انظر: نبيل نعيم: الظواهري وصف عبدالله عزّام بـ "أونطجي" وكذاب، على موقع قناة العربية: https://www.alarabiya.net.

[639] انظر يوتيوب: الظواهري «بن لادن» كان إخوانيًا ولكن الجماعة طردته.

[640] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 9.

[641] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 13.

الفكرية) يرسل إليها المتدرب في المعسكرات العسكرية، حتى "**يسبك ويصبغ ويوجه**"[642].

ومع عودة المقدسي إلى بيشاور سيلتقي بسيّد إمام (عبد القادر بن عبد العزيز / د.فضل)، وكان إمام وقتها هو **القاضي الشرعي لمعسكرات القاعدة**[643]، وهو الذي كلّف المقدسي بالذهاب إلى معهد شرعي تابع للقاعدة، فصار يدرّس فيه مادتين: العقيدة، والتفسير[644]، وكان الخلاف في بيشاور مستعرًا: هل يجوز القتال مع الفصائل الأفغانية، أم لا يجوز، فهناك من كفّر رؤوس تلك الأحزاب[645] والغالب أن المقدسي وسيّد إمام منهم، وهناك من بحث جواز القتال تحت راية شركيّة لدفع خطر أكبر كسيّد إمام، وللخروج من الخلاف قيل: ماذا لو قاتل الإنسان منفردًا ألم يقل الله عز وجل: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[646]، والظاهر أنه رأي المقدسي.

وهذا الاستدلال بهذه الآية كان كما سبق قد أشهره عبد الله عزّام، لاستقدام الشباب إلى أفغانستان، وهو استدلال فيه عدة ثغرات.

ففي القرآن: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[647]، ولمّا قال أتباع موسى له: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ

[642] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 16.

[643] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 15.

[644] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 17.

[645] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 20، 21.

[646] النساء، الآية: 84.

[647] آل عمران، الآية: 146.

وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[648] اعتذر موسى إلى ربه قائلًا: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾[649]، ولم يقاتل موسى وأخوه لوحدهما، فالقتال له هدف، ولا يتحقق بواحد واثنين، إنما كان الخطاب لهم جميعًا لتحقيق الغاية من القتال، فلمّا نكلوا لم يعد للقتال من معنى سوى إزهاق نفوس القلّة التي تستجيب، ولذا لم يقاتلوا وحدهم.

فما معنى الآية؟

قال الطبري: " فأمّا قوله: ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنه يعني: **لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك إلا ما حملك من ذلك دون ما حمل غيرك منه أي: إنك إنما تتبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك** "[650].

فهي مثل معنى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [651]، وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [652]، فهو غير مكلف بأفعال غيره ولن يحاسب عنها، وهكذا كل إنسان، لن يحاسب عن فعل غيره، وليس هذا خاصًا بالقتال وهو المعنى الأقرب إلى الآية، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقاتل وحده، **فهي على هذا خارج موضع الاستدلال السابق تمامًا.**

---

[648] المائدة، الآية: 24.

[649] المائدة، الآية: 25.

[650] تفسير الطبري؛ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى: 2001، ج 7، ص 267.

[651] البقرة، الآية: 286.

[652] الأنعام، الآية: 164.

ولكنّ بعضهم رأى قول البغوي فيها:" **لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن الله قد وعدك النصرة** "[653] فحسبه عامًا في المسلمين! وغفل عن قوله "**فإن الله قد وعدك النصرة** "، "قال الزجّاج: **أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وإن قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر** "[654].

ولذا عدّ مرعي الكرمي أن من خصائص النبي صلى الله عليه واله وسلم "**مصابرة عدو كثير للوعد بالنصر** "[655].

فهذا من خصائص النبي، لأن الوعد بنصره متحققٌ له بعينه، وكأن الكرمي اختصره من قول السيوطي:

"**باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بوجوب مصابرة العدو وإن كثر عددهم ووجوب تغيير المنكر ولا يسقط للخوف بخلاف الأمة فيهما، ووجه الأمرين أن الله وعده بالحفظ والعصمة فقال: ﴿ والله يعصمك من الناس﴾ فلم يكونوا يصلون إليه بسوء قلّوا أو كثروا** "[656].

---

653 تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: 1989 ج 2، ص 256.

654 الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2006، ج 6، ص 481.

655 غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، مرعي بن يوسف الكرمي، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: 2007 م، ج 2، ص 167.

656 الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 2، ص 400.

فلاحظ قوله: بخلاف الأمة فيهما فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تكفل الله بحفظه، ونصره، وألا يصلَ إليه عدو، وأنه يكفيه المستهزئين، ولذا فإنّ قول البغوي محمول على الخصوصية لتحقق النصر له بعينه، فحتى على هذا القول لا متمسك في الآية لمن استدل بها على وجوب القتال الفردي.

في بيشاور كانت تصاغ الأفكار حول التكفير، ولم تكن بحاجة إلى عبقرية في تلك الظروف حتى تنتج كتابًا يكفر نظامًا ما، أو أن تمد تكفير الحاكم إلى الجيش والشرطة والمخابرات أو غيرها، فقد امتعض عزّام من إطلاق وصف "**الحرب الأهلية الأفغانية**"[657]على القتال الدائر مع الحكومة الأفغانية التي خلفها السوفييت وراءهم، ورأى أنها مع غيرها تشكّل عناوين برّاقة خلفها **مؤامرة خبيثة على الإسلام**[658].

كتب عزّام:

"**إذا كان القتال بين المجاهدين وبين حكومة نجيب الشيوعية حربًا أهلية، إذن فالقتال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قومه في بدر وأحد والخندق وفي فتح مكة كلها حرب أهلية** "[659].

"**سألني أحدهم: لم القتال، وقد خرج الروس؟ فأجبت: خرج الملحدون، وجاء المرتدون**"[660].

---

[657] الذخائر، ج 2، ص 365.

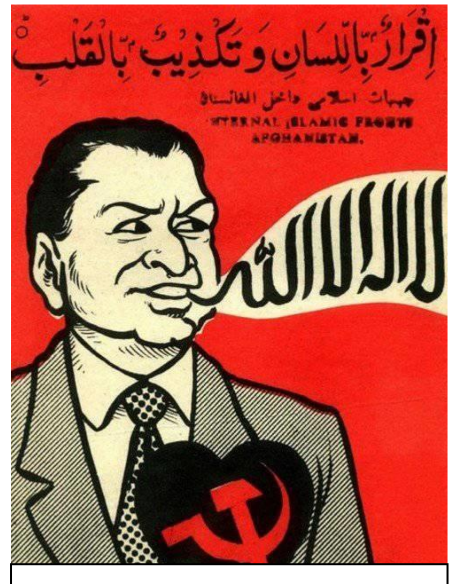
[658] انظر: الذخائر، ج 2، ص 362.

[659] الذخائر، ج 2، ص 248.

[660] الجهاد، العدد 62، ص 9.

لقد كفّر عزّام الحكومة الموالية للسوفييت وشمل هذا الجيش والشرطة، أفتى بقتل الأسرى منهم حتى ولو شهدوا بالشهادتين، مع العلم أن محمد نجيب الله رئيس الحكومة الموالية للسوفييت كما يقول عزّام: "**أصدر قرارًا: من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته، نعم وظّف مطاوعة من الشيوعيين حاملين عصا يسوقون الناس بالعصا إلى المسجد عند الأذان** "[661].

ورغم "**التخلي عن مصطلح ديمقراطية وحذفه من اسم البلد، عام 1987، الاعتراف بالإسلام كدين للدولة، السماح بتعدد الأحزاب** "[662].



صورة دعائية ضد بابراك كارمل المدعوم من السوفييت، توزع من المجاهدين الأفغان، بأن نطقه للشهادة كذب، وأنه يبطن الكفر .

إلا أن عزّام ظل يقول حتى قبل وفاته بشهر تقريبًا سنة 1989: "**حكام كابول شيوعيون كفار** "[663]، و"**القتال بين المجاهدين المسلمين الأفغان وبين الشيوعيين الكفار الأفغان** "[664]، واستمر القتال بعد انسحاب السوفييت، وكان المجاهدون يقصفون كابول بين فترة وأخرى[665]، وجوابًا عن سؤال يقول: **ألا**

---

[661] الذخائر، ج 3، ص 466.

[662] تجربة الإسلام السياسي، أوليفيه راوا، ص 143.

[663] الذخائر، ج 3، ص 693.

[664] الذخائر، ج 3، ص 693.

[665] انظر على سبيل المثال: صحيفة الديار اللبنانية، الخميس 2 شباط 1989، ص 15، وأرشيف الصحيفة مرفوع على موقعها على الشبكة: http://www.addiyar.com.

يوجد مسلمون يتضررون من الناس الموجودين في كابل؟

قال عزّام: "**موجودون.. يتضررون، لكن يوجد حكومة كافرة تترس بهؤلاء، يعني تختبئ بهؤلاء** "[666].

لقد كانت توزع مطويّات تكفر الشيوعيين في أفغانستان، حتى ولو نطقوا بالشهادة وصاموا وصلّوا، أليست الشيوعية كفرًا؟ قال عزّام: "**قضية الجهاد في أفغانستان هي قضية المعركة بين الكفر والإيمان، هي قضية المعركة بين الإسلام والطاغوت** "[667].

لم يكن الأمر متعلقًا بالمحتل السوفييتي لأفغانستان فقط، فقد خاطب عزّام المجاهدين قائلًا: " **إن جهادكم لا ينتهي عند حدود أفغانستان** "[668]، وفي **الكويت** قبل اغتياله **بأقل من شهر** عام 1989، قال:

" **المرتد ليس له حكم إلا الموت، فقولوا للشيوعيين في بلادكم إن شاء الله سيأتيهم الدور، إن شاء الله، إن شاء الله سنذبحهم ذبحًا شرعيًا، بسم الله والله أكبر، ليس كاللحم البلغاري، اذبح! شرعي إن شاء الله! مرتدون يستحقون الموت والدور قادم لهم، والله سيصيبهم مثل الشيوعيين داخل أفغانستان** "[669].

---

[666] الذخائر، ج3، ص 693.

[667] الذخائر، ج 3، ص 1091.

[668] الذخائر، ج 3، ص 854.

[669] الذخائر، ج 3، ص 1054.

لم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير، فسيطبع المقدسي في باكستان لأول مرة كتابه (**الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية**) [670]، وسيدافع عمّن كفر ابن باز والعثيمين بأن هذا ليس غلوًا في التكفير[671]، وسيطبع رسالة صغيرة في باكستان – فقدت منه لاحقًا – بعنوان: (**لماذا الجهاد في أفغانستان وليس في عربستان؟!**) كانت عبارة عن مقارنة بين الحكومة الأفغانية وبين الأنظمة العربية، فهناك مساجد تحت ظل الحكومة الأفغانية [672]، كما يوجد في الدول العربية، كما أنهم يقولون أنهم مسلمون كذلك في المنطقة العربية، يقول المقدسي: " **أتيت بمنشورات لهؤلاء الشيوعيين ودعاويهم بأنهم يحبون الإسلام وأنهم مسلمون، كذلك الأسرى الأفغان كانوا يدّعون الإسلام، وكنا نسمع أحيانًا أذان الأفغان المقاتلين للمسلمين، نسمعه من بوسطاتهم وقت الإفطار في رمضان، كنا نتحين وننتظر غروب الشمس، إذا كنا بين الجبال، لا نعرف وقت الإفطار، فكنا نعرف أحيانًا الإفطار من أذان هؤلاء الذين يحاربون المسلمين** " [673]، فلماذا يكون الجهاد في أفغانستان فقط؟ لماذا لا يمتد إلى المنطقة العربية؟ فيقول المقدسي للشاب: إذا رجعت إلى بلدك فيجب فيها ما تصنعه في أفغانستان.

وسيعود المقدسي إلى **الكويت** وتكون أول أعماله (الجهادية) في الدول العربية بأن يشارك في 15 يوليو 1991 بقصف (مركز الفنون) المملوك للفنان عبد الحسين عبد الرضا[674]

[670] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 11، دقيقة: 1.

[671] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 9، دقيقة: 28.

[672] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 11، دقيقة: 2.

[673] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 11، دقيقة: 3.

[674] انظر: تاريخ الاعتداءات الإرهابية والتخريبية في الكويت، على موقع:

بقذيفة آر.بي.جي! ويرمي من كان معه قذيفة أخرى، قبل الانسحاب فارّين بسيارة كان المقدسي قد غير أرقامها الأصلية [675].

المقدسي سيصفه أيمن الظواهري سنة 2008 بقوله:

" الشيخ أبو محمد المقدسي، ذلك البحر الزخار من العلم والتصنيف، وتلك العقلية الموسوعيّة، وذلك الصُّمود الراسخ في وجه طواغيت العصر، ولكن يخفف عني العبء أنه **لا يحتاج لتعريفي، فهو علَم من أعلام الدعوة للتوحيد** ومعاداة الباطل في زماننا هذا، وقد **تشرفت بمعرفته والاستفادة منه في فترات إقامته في بيشاور إبان الجهاد الأفغاني،** ويكفي المجاهدين فخرًا أن من **بينهم ذلك العالم العامل** " [676].

كان تكفير أنصار الحكومة الأفغانية يتمدد ليشمل غيرها، ولكن ماذا لو وصل إلى المجاهدين أنفسهم؟! فقد انزعج العديد من الناس مما انتشر بين الأفغان، فقد رأوا "مزارات كبيرة تقرب إليها القربات، ويدعى فيها الأولياء من دون الله، بل ووصل الحال إلى درجة تخصيص بعض الأولياء بشفاء حالات من المرض، دون غيرها، فيقولون: هذا البابا (ويقصدون الولي) يشفي من العين، وهذا يشفي من مرض البطن.. إلخ، وعندهم اهتمام كبير بالقبور، فتراهم يبنون عليها ويزخرفونها، ويجصِّصونها، ويضعون عليها

.http://www.alanba.com.kw

[675] انظر يوتيوب: ولكن كونوا ربانيين، ح 11، دقيقة: 22.

[676] التبرئة، ص 44.

الأعلام لتمييز الشهداء كما يقولون، وترى بعض القبور يصل طولها إلى عشرين ياردة ويسمونها (شل قزة بابا) أي: الولي صاحب العشرين ياردة "[677].

وجر هذا إلى الإنكار عليهم، **ورميهم بالكفر والشرك**، وسينزعج عزّام من هذا ليقول: "**ما رأيت واحدًا يتكلم على الأفغان تقريبًا إلا وحرمه الله بركة الجهاد**، لأنه طبيعيًا إذا كنت تنظر إليهم أنهم **كفار**، نفسك ستعاف البقاء في هذه الأرض، والجهاد بطبيعته شاق، فلماذا تتحمل هذه المشاق من أجل الوقوف بجانب **شعب كافر** "[678].

وليرد عليهم قال: " إن **الجهل عذر في الأصول** وفي الفروع، ما هي الأصول؟ **العقائد**، والفروع: الفقه "[679]، وهنا يبرز سؤال: **لماذا لم يجد الجهل عذرًا لأولئك الموالين للحكومة الأفغانية؟!**

سينزعج الكثير من الأفغانيين مما اعتبروه محاولة لتغيير دينهم وسيوجهون الاتهامات نحو الوهابية، وقد "**اجتمع مجلس كبير من علماء قندهار وأصدر بيانًا أن العرب وهابيون كفار، وطالب كلَّ قائد بالتخلص من العرب الذين معه، أو طردهم** "[680].

لقد انتشر بين الكثير من الأفغان المجاهدين تلك القناعة القائلة "**إننا نتخلص من الروس والشيوعيين أولًا ثم بعد ذلك نحارب الوهابيين ونقضي عليهم، وهذا ليس فقط رأي**

---

[677] الطريق الشائك، ص 26، 27.

[678] الذخائر، ج3، ص 429.

[679] الذخائر، ج 3، ص 429.

[680] ذكريات عربي أفغاني، ص 206.

العوام، بل رأي معظم القادة الصِّغار أيضًا " [681]، كانوا يعتبرون جميل الرحمن أمير (كونر) **"وكل من معه كفارًا زنادقة "**[682].

وبعد خروج السوفييت سيشتد الأمر على جماعة الدعوة التابعة لجميل الرحمن، لتتحالف العقائد مع المصالح والسياسة مع أخطاء جماعته لسحقها، فجماعة (**الدعوة إلى القرآن والسنة**) لم تكن مسجَّلة رسميًّا لدى الحكومة الباكستانية ولم تكن تحصل على السلاح من باكستان [683]، فقد قاموا بفتح قنوات لدعمهم ماليًا من السعودية بعد أن كان تقاربهم العقدي معها أكبر من غيرهم، فكانت لجنة الإغاثة السعودية تدعمهم [684]، واشتروا السلاح بسهولة إذ كانت السوق السوداء تعجّ به، فصاروا بهذا خارجين سياسيًا عن سيطرة باكستان التي أخذت على نفسها ضبط توزيع الدعم على الفصائل لتضمن قدر الطاقة تبعيتها السياسية لها.

وقد نقدوا الأحزاب الجهادية المتنوعة على صفحات مجلتهم، ومما عابوه عليهم تلقيهم الدعم من الولايات المتحدة، وكان نقدهم لعدد من رموز الإخوان المسلمين مثل محمد الغزالي محل امتعاض من الإخوان المسلمين، كذلك كانت شدّتهم في إنكار العديد من المسائل محل تندر من عزّام [685]، وهذا بجملته سيجرُّ عليهم نقمة الأحزاب الأفغانية.

---

681 ذكريات عربي أفغاني، ص 90.

682 ذكريات عربي أفغاني، ص 211.

683.انظر: المجاهد 5، ص 14

684 انظر: المجاهد، العدد 30، ص 17.

685 انظر: الذخائر، ج3، 438.

ومع إعلانها الإمارة في كونر، بدأت الجماعة بهدم القباب والقبور يومًا بعد يوم [686]، وقاموا بتطبيق القصاص والتعزير بالحبس، والضَّرب أحيانًا، تم منع بيع السجائر وإغلاق الدكاكين وقت الصلاة [687]، لكن تحركها السياسي الأخطر كان تماهيًا مع قناعتها بمعارضتها لتعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي [688]، فقاموا بإغلاق مقرات (**الحزب الإسلامي**) التابع لحكمتيار في (**كونر**) [689]، وبهذا فقد دخل في حرب معهم، وقد قطعت باكستان خطوط الإمدادات من أراضيها عنهم [690].

وفضلًا عن خسائرهم البشرية والمالية التي قدرت بـ 10 ملايين دولار، و إغلاق الكثير من مدارسهم [691]، كانت أكبر ضربة لهم عندما قام شاب عربي اسمه الحركي عبد الله الرومي، واسمه الحقيقي: أشرف بن أنور بن محمد النيلي [692]، كان مراسلًا لمجلة(**الجهاد**) التابعة لعبد الله عزّام ثم مع (**البنيان المرصوص**) التابعة لسيّاف [693]، و كان ينتمي إلى الإخوان المسلمين[694]، وتربى في معسكرات **عبدالله عزّام وأسامة بن لادن وحكمتيار** [695]،

[686] انظر: المجاهد، العدد 30، ص 15.

[687] انظر:المجاهد، العدد 30، ص 14.

[688] انظر: المجاهد، العدد 5، ص 15.

[689] انظر: المجاهد، العدد 35، ص 14.

[690] انظر: المجاهد، العدد 40، ص 13.

[691] انظر: المجاهد: العدد 40، ص 13.

[692] انظر: المجاهد، العدد 35، ص 8.

[693] مقتل جميل الرحمن، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار – صنعاء، الطبعة الثانية: 2000، ص 71.

[694] ذكريات عربي أفغاني، 159، 160، و مقتل جميل الرحمن، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار – صنعاء، الطبعة الثانية: 2000، ص 71.

[695] انظر: الطريق الشائك، ص 82.

وكان يتهم جماعة جميل الرحمن بالعمالة للسعودية، وأنها تريد التفريق بين المجاهدين [696]، **قام هذا الشاب باغتيال جميل الرحمن**، وقد جاء في بيان الجماعة **"تم هذا العمل الإجرامي بيد آثمة، مدفوعة من إحدى الجهات "**[697]، **لقد رأوا أن الجريمة لم تكن فردية** [698].

سيشكل مقتل جميل الرحمن مرحلة مهمة للافتراق بين قسم كبير من (السّلفية) وبين جماعة الإخوان المسلمين، فسينفجر مقبل بن هادي الوادعي في اليمن واصفًا حكمتيار بأنه **"عميلٌ لأمريكا وعدو للإسلام"**[699]، وأنه عرف **"الحزبية عند أسامة [700]بن لادن"**، فقد كان ميل ابن لادن مع حكمتيار، وسيشن هجومًا لفظيًا على الإخوان الذين وصفهم بـ**"الإخوان المفلسين"**[701].

كتب المدخلي: **" هذه الجماعات البدعية التي تسميها بالجماعات الإسلامية بدأت بغزو (كُونر) السلفية وقتل زعيمها السلفي جميل الرحمن، وكم حاربوا السلفيين من بداية الجهاد"**[702].

---

[696] مقتل جميل الرحمن، ص 71.

[697] انظر: المجاهد، العدد 35، ص 4.

[698] انظر: المجاهد، العدد 35، ص 9.

[699] مقتل جميل الرحمن، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار – صنعاء، الطبعة الثانية: 2000، ص 33.

[700] مقتل جميل الرحمن، ص 51.

[701] مقتل جميل الرحمن، ص 56.

[702] جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات، ربيع بن هادي المدخلي، تقديم: صالح الفوزان، دار المنهاج، القاهرة، الطبعة الأولى: 2005، ص 80.

المدخلي الذي كان له سابقة مع الإخوان[703]، سيوظف ما حصّله من تلك الفترة، ليعطي السلفية معنى حزبيًا في المضمون، ويقيم تحالفاته وخصوماته كتحرك سياسي حزبي، ولا يمكن تجاوز واقعة كونر في تحليل تلك الخصومة الشديدة منه للإخوان كتنظيم، وهو الذي كانت تربطه بها روابط متينة، ويكتب على صفحات مجلتها.

أما بالنسبة للموقف من الشيعة، فقد غطت مجلة (الجهاد) التابعة لمكتب الخدمات بعض أحداث حرب المخيمات في لبنان وجاء فيها في 17 – يوليو، 1985:

" تحالف (درزي، **شيعي**) للقضاء على حركة (مرابطون) ومعظم مقاتليها من (السنة)، إن المعركة بين (**الباطنيين والسنة**)، أو **بعبارة أصح بين الكفر والإسلام**"[704].

كتب عزّام في سياق حديثه عن البعثيين:

" **هؤلاء كفار**... فهؤلاء تعدونهم مسلمين؟! وتعد الشيعة كفارًا؟ لا، **هؤلاء كفار قبل الشيعة**، فالذي يريد أن يتكلم عن الشيعة يجب أن يتكلم عن حزب البعث، مفهوم؟ **كلهم سواء، لكن خطر الشيعة فعلًا على العالم العربي أكبر من حزب البعث** "[705].

وفي سياق ذكره لإحدى المعارك بين السنة والشيعة في أفغانستان، قال بتباهٍ:

" الشيخ سليم هذا فقد بصره في معركة ضد الشيعة، اتصل بأبيه في الحج، قال: الشيعة سدّوا الطريق على المجاهدين، قال: ابدأوا المعركة ضدَّهم، والمعركة هنا ليست بالعصي،

---

[703] انظر: فضائح ونصائح، مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين – القاهرة، الطبعة الأولى: 1419 هـ – 1999 م، ص 126.

[704] مجلة الجهاد، العدد 9، ص 18.

[705] الذخائر، ج 4، ص 92.

بدأ (بي.إم. 12) تشتغل، والهاون والرشاشات والزيكويك والـ(آر.بي.جي) والكلاشينات، ودارت معركة عنيفة بين أهل السنة والشيعة، **وهزم الله الشيعة، وفتح أهل السنة اثني عشر قرية ودمروها، وأذل الله الشيعة، وكسر شوكتهم، من يومها خنس الشيعة في الجحور والسراديب، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا، هذه القرى وأنت ذاهب إلى جاجي ترى البيوت مهدمة** "[706].

ويمكن الربط بين هذا، وما كانت تبثه المجلات الجهادية، وتحديدًا مجلة (المجاهد) التابعة لإمارة كونر، لمعرفة تأثير هذا على الساحة العراقية فيما بعد حين صرح أبو مصعب الزرقاوي في 2005 بإعلان الحرب الشاملة على "**الشيعة الروافض أينما وجدوا**"[707].

ذلك الإعلان الذي طالب ميسرة الغريب بعدم انتقاده، فقال: "وهل يُعْقَل أن يخفى على الشيخ الزرقاوي وكثير من المجاهدين ضرر **المجاهرة بقتال الشيعة إعلاميًا** وهو يعلم جيدًا مبدأ مراعاة "خير الخيرين وأخفّ الضررين"... **فـ"الزرقاوي" صاحب تجربة رائدة، وهو أمير الساحة فهو أدرى بها وبما يصلحها** "[708].

وكأنه يعيد كلام عزّام وهو يقول:

" والله عبد الله عزّام أقل من أن يحكم على حكمتيار ومسعود!! "[709].

---

[706] الذخائر، ج 4، ص 1128.

[707] انظر: الزرقاوي يتوعد شيعة العراق والسنة يدينون تفجير الكاظمية، على موقع الجزيرة: http://www.aljazeera.net.

[708] من خفايا التاريخ؛ مستقاة من تجربة أبي مصعب الزرقاوي، ميسرة الغريب، ص 56.

[709] الذخائر، ج 3، ص 575.

وقد وصف عطية الله الليبي الزرقاوي في إعلانه الحرب على الشيعة بأن له **نظرًا استراتيجيًا**[710]، وأن له فلسفة **"وهي من العمق والقوة بمكان "**[711].

على أيِّ حال عبّر عزّام عن انزعاجه من انتشار التكفير: **" الآن يوجد موضة التكفير، موضة، موضة التكفير "!**[712].

وكان يمكن ملاحظة الأمر، فمن سيّد قطب:

" نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية"[713].

إلى صفحات مجلة الجهاد التي أسسها عزّام:

" اليوم.... في زمن خلت فيه الأرض من بقعة تدين لله وتحكم بشرعه، وتفشت الجاهلية، وانتفشت واستقوت على المؤمنين "[714].

إلى المقدسي:

" الدنيا كلها اليوم دار كفر... ولا أستثني من ذلك حتى مكة والمدينة "[715].

---

710 الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، جمال إبراهيم المصراتي، جمع: الزبير الغزي، دار المجاهدين للنشر والتوزيع، ص 103.

711 الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 103.

712 الذخائر، ج 3، ص 872.

713 معالم في الطريق، ص 17.

714 الجهاد، العدد 12، ص 36.

715 وقفات مع ثمرات الجهاد، ص 84.

وبين كلمة قطب " **الناس ليسوا مسلمين كما يدعون وهم يحيون حياة جاهلية**"[716]، و"**كل ما حولنا جاهلية**"[717]، يمكن استشفاف ما سيقوله أبو قتادة الفلسطيني فيما بعد:

"**مَن قال أن الأمة ليست ضالة؟! يعني، الذي يظن أن الأمة على الخير والبركة، فهذا خبيث النفس، أو أنه عميلٌ مأجور**"[718].

ومع أحداث العنف الأهلي في الجزائر ستبرز مقالات عمر محمود عثمان المكنى بأبي قتادة الفلسطيني في مواضيع القتال والتكفير ونحو ذلك، الذي يصفه الظواهري بأنه "**من الأعلام الشامخة، والعلماء الموسوعيين**" [719]، ويتحدث السوري الذي يصفه الظواهري بأنه "**الصادق الصدوق**" [720]، فـ (الصادق الصدوق) يقول عن دور (العَلَم الشامخ) في تلك الفترة:

"**تولي أبو قتادة سياسة التبرير الشرعي لكل ما يصدر عن الجماعة المسلحة.... كفتواه في (جواز قتل النساء والأطفال) من أسر رجال الأمن والسلطة... يسارع بدوره للتأصيل الشرعي لها، تماما كما يفعل علماء الأمراء والسلاطين في بلادنا**"[721].

"**ولوَّح أبو قتادة في أكثر من مجلس بجواز سبي نساء هؤلاء المرتدين من الشعب الجزائري! وكتب بذلك ما يشبه الفتوى ذات مرة ليجيب على تساؤل جاءه من بعضهم**

[716] معالم في الطريق، ص 158.

[717] معالم في الطريق، ص 17.

[718] دروس في مسمّى الإيمان، أبو قتادة الفلسطيني، ص 200.

[719] التبرئة، ص 47.

[720] التبرئة، ص 54.

[721] مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، ص 30.

من الجزائر. حيث جادلته وأقنعته بعد طول نقاش بعدم نشر هذا الرأي الغريب الذي سيقيم الدنيا على القضية فضلًا عن غرابته وشططه! "[722].

هذا (العَلم الشامخ) الذي كان يجيز قتل نساء وأطفال يشهدون بالشهادتين، يصرح في مجلة (الأنصار) التي كان يبث منها أقواله بأنّ أبا لؤلؤة المجوسي مسلم! فيقول:

" الخلفاء الثلاثة الشهداء ما ماتوا بيد الكفار، بل ماتوا بيد مسلمين فسقة مبتدعة، فأبو لؤلؤة الفارسي ليس من أهل الشرك، ومحاولة إثبات مجوسيته دونها خرط القتاد وإن نسب إليها "[723].

وهي الجملة التي سيكررها فارس آل شويل الزهراني (وهو تابع لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب) سنة 2002 [724]، في كتابه **(الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث)**[725].

في حين يقول ابن تيمية:

" أبو لؤلؤة كافر باتفاق أهل الإسلام، كان مجوسيًا من عبّاد النيران "[726].

---

[722] مختصر شهادتي، ص 30.

[723] الأنصار 8 – 2 – 1996، العدد 135، مقالة: بين منهجين (83)، ص 7.

[724] ذكر تاريخه مؤلفه، في لقاء معه في مجلة (صوت الجهاد) العدد 10، ص 26.

[725] مرفوع على موقع (منبر التوحيد والجهاد).

[726] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: 1406 هـ – 1986م، ج 6، ص 371.

ومع ذلك سيقول أبو قتادة متباهيًا بمعرفته، وسعة اطلاعه: **"أنا ابن هذا الطريق، أعرفه ككف يدي، عشته وما زلت أعيشه، أرقب فيه دبيب النمل بل أقل منه "**[727].

التباهي الذي سبقه به عزّام وهو يقول:

" أنا أعلم منكم بدين الله، أعلم منكم بكتاب الله وسنة نبيه، أنا ابن الحركة الإسلامية منذ ستة وثلاثين عامًا، أنا في الدعوة الإسلامية وعمري اثنا عشر عامًا، أعرف طبيعة الدعوات، أعرف مداخل الحركات، أعرف العمل لدين الله، أعرف تمامًا طبيعة البشر "[728].

ستُبحث جوانب جديدة، فمن الحزام الناسف الذي قال فيه عزّام: **"أجاز الفقهاء التضحية بالنفس من أجل نصرة الإسلام، ولا يعد هذا انتحارًا "**[729]، إلى بحث الانتحار خوف إفشاء الأسرار، وفي هذا يقول أيمن الظواهري سنة 1996: **" الانتحار إن كان له مبررٌ أصيل قوي، ويتصل بأمر يخص المسلمين وينفعهم، وبدونه يحصل الضرر للمسلمين، فإنه حينئذ يكون جائزًا "**[730]، وقد ألف عبد العزيز بن صالح الجربوع، رسالة بعنوان: **(المختار في حكم الانتحار خوف إفشاء الأسرار)**، قال فيها: **" يلزم لزومًا حتميًا جميع من أفتى بجواز وفضل العمليات الاستشهادية؛ أن يفتي بجواز وفضل من قتل**

---

727 ما بعد المقاربة، أبو قتادة الفلسطيني، ص 23.

728 الذخائر، ج4، ص 1101.

729 الجهاد، العدد 7، 37.

730 شفاء صدور المؤمنين، رسالة عن بعض معاني الجهاد في عملية تفجير إسلام آباد، أيمن الظواهري، عن منبر التوحيد والجهاد، ص 63.

نفسه فداءً للمسلمين"[731]، إلى أن يقول: "**يتوجه وجوب قتل النفس على من وقع في مثل ذلك، صيانة لدماء المسلمين وأعراضهم** "[732]، يعني أن الأسير قد يعترف على مسلمين، ومن هنا يقتلهم العدو، ففي قتله لنفسه حماية لغيره!

ويتم إغفال أن كل مصلحة وجدت عند حكم الشرع بالنهي عن شيء، فهي ملغية مهدرة، كمن يقول: يجوز بيع الخمر لمصلحة يتيم، فقد كان الأيتامُ موجودين في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك نزل تحريم الخمر، ولم يرخص ببيعها لأجلهم فتلك مصلحة مُهدرة، ولذا جاء في حديث أنس بن مالك: أن أبا طلحة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أيتام ورثوا خمرًا، قال (**أهرقها**)، قال: "أفلا أجعلها خلّا؟ قال: **لا**"[733].

وقد كان خطر الأسر موجودًا عند تحريم قتل المرء لنفسه، فكيف وأهل بدر "**من أفضل المسلمين**"[734]، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو لهم فيقول: "**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض** "[735]، فكيف بقوم هذا شأنهم، وخطورة الأسر قائمة، والإخبار بثغرة في المدينة حاضرة، ومع ذلك يظل التحريم مستمرًا فيهم، ولم يقل أحدٌ

---

[731] الرسالة مرفوعة على موقع (منبر التوحيد والجهاد):
http://www.ilmway.com.

[732] المختار في حكم الانتحار خوف إفشاء الأسرار، عبد العزيز بن صالح الجربوع، عن منبر التوحيد والجهاد.

[733] سنن أبي داود، سليمان بن أشعث السجستاني، حققه: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق- الحجاز، 2009، ج5، ص 518، وحكم محققاه بأنه حديث صحيح، وإسناده عند أبي داود: حسن.

[734] صحيح البخاري، حديث رقم: 3992، فتح الباري، ج9، ص 56.

[735] صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى: 1349 هـ - 1930 م، ج 12، ص 84.

منهم بقتل الأسير نفسه خوف أن يدل كافرًا على سبيله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو كبار صحابته، فعلم أن هذه المصلحة مهدرة.

على أي حال فإن فتوى جواز أو وجوب الانتحار للأسير حتى لا يفشي الأسرار تطورت إلى قتل الأسير من زملائه حتى لا يفشيها! وفي لقاء مع(**خالد الفراج**)، الذي اعتقل في السعودية لعلاقته بـ(**تنظيم القاعدة في جزيرة العرب**) بقيادة عبد العزيز المقرن سنة 2004، يذكر أنه بعد أن أحاطت به مجموعة من قوات الأمن ليعتقلوه، هاجم مسلحو التنظيم الموقع، قال: "**فيما بعد قابلت شخصًا – أي في السجن – صدمت لما قال لي هذا، قال لي: أردنا إنقاذك، إن لم نستطع قتلناك** "[736] حتى لا يفشي أيَّ سرٍّ من أسرارهم، وقد قتل برصاص المهاجمين في هذا الحادث ستة من قوات الأمن السعودي، ووالد خالد الفراج، الذي صرّح ابنه خالد هذا بأنه سامحهم، ولا يطالبهم بشيء لدم أبيه.

سيظل عزّام محوريًا في تفكير أسامة بن لادن، ليقول فيه سنة 1998:

" الشيخ عبد الله عزّام عليه رحمة الله هو رجل بأمة، وأظهر بوضوح بعد أن اغتيل، مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجل مثل الشيخ عبد الله عليه رحمة الله "[737].

لكن بقيت مسحة كانت في خطاب عزّام، لم يكن لابن لادن أن يقولها حتى ذلك الوقت، ألا وهي قول عزّام:

---

[736] انظر يوتيوب: الثامنة / لقاء داود الشريان مع خالد الفراج، دقيقة: 44، 45.

[737] انظر: لقاء أسامة بن لادن مع قناة الجزيرة 1998، دقيقة: 35.

" المجاهدون نقلوا المعركة من داخل أفغانستان إلى داخل روسيا "[738].

وهي التي ستتكفل 11/ 9 له بأن يردد مثلها، ليقسّم العالمَ بعدها إلى قسمين، وقد عبرت مجلة (**صوت الجهاد**) وهي مجلة نصف شهرية كانت تصدر عن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عن هذا، بقولها:

" قال الشيخ أسامة: إن هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر لا إيمان فيه، وقال بوش: من ليس معنا فهو ضدنا، فاختر لنفسك أي الدار تختار؟! "[739].

لكن برزت إشكاليات تتزاحم حول تماسك خطاب ابن لادن ومن نحا نحوه، ألم يكن يرى الأمريكيين يدعمون الفصائل الأفغانية المجاهدة، ويشاهد صواريخ ستنجر في الجبهات؟! ومع ذلك كانت علاقته جيدة مع تلك الفصائل، ومع الحكومة السعودية فترتها، في حين أنه يستشهد بما سمعه فترة الحرب في أفغانستان من كارتر فيقول: **" قال كارتر إن أي تدخل لروسيا إلى منطقة الخليج نعتبره اعتداءً على أمريكا، لأنه محتل لهذه المنطقة "** [740].

علمًا أن كارتر كان قد التزم التحالف مع باكستان أيضًا، تلك التي سافر ابن لادن إليها وكانت علاقته جيدة جدًا مع المملكة فترة الحرب الأفغانية، والتزم كارتر بتمويل

---

738 الذخائر، ج 3، ص 743.

739 صوت الجهاد، عدد 8، ص 17.

740 انظر: لقاء أسامة بن لادن مع قناة الجزيرة 1998، عند الدقيقة 3، بعد الساعة.

وتسليح الفصائل الأفغانية سرًّا، ومع مجيء ريغن استقبل المجاهدين في البيت الأبيض، والتزم بقضيتهم ودعمها وساهم بالمقاتلين لأجل الحرية، ولم ينعكس هذا كله سلبًا على علاقة ابن لادن بهم! وكان المجاهدون يقيمون غرف عمليات مشتركة مع المخابرات الأمريكية والبريطانية لتوجيههم لضرب السوفييت فيها، وحكمتيار كان يتلقى المساعدات والتوجيهات من الأمريكيين، ومع ذلك كان مقربًا لابن لادن، وكانت مكاتب الفصائل مفتوحة في بيشاور ولم يستنبط وقتها أنهم في دولة محتلة .

إلا أنه يتجاهل كل هذا بكلمة (تقاطع مصالح)، وكأنه هو الوحيد الذي له مصالح تتقاطع مع غيره، وغيره يجب ألا تتقاطع مصالحه مع الآخرين، كان السوفييت يريدون الانسحاب ولكنه استمر بزج الشباب في القتال الأفغاني لأن حكمتيار امتثل لقرار الأمريكيين، فهم يريدون استمرار الحرب، والفصائل تريد استمرار الدعم، وكان ابن لادن نفسه يعلم بإدارة المخابرات الباكستانية للكثير من المعارك في أفغانستان، لكنه يسكت عن هذا ويحاول طمسه، حتى لا تذهب هالة القلّة القليلة التي تحطم الأسطورة العالمية!

لما كان ساكتًا فترة الحرب السوفيتية عن دعم باكستان والفصائل، لأجل تقاطع المصالح، ثم بعد أن انتهت ألا يحق لغيره أن يسكت لأجل تقاطع المصالح؟ أم إنه قد أعلن انقسام العالم إلى فسطاطين، واحد ليس فيه شعبة نفاق! وعلى رأسه هو وأنصاره؟ وآخرون كفار لا إيمان لهم، وبذا حسم الموضوع؟!

ثم إنه سبق أن صرح في 1998، فقال:

" **نحن لا نعمل هنا بصفة مستقلّة، بل نحن في دولة لها أمير مؤمنين، ملزمون شرعًا بطاعته فيما ليس فيه مخالفة لله سبحانه وتعالى، ونحن ملتزمون بهذه الدولة... هناك آراء للطلبة (طالبان) ألا نتحرك من داخل أفغانستان ضد أي دولة أخرى، وهذا كان قرار أمير المؤمنين كما هو معلوم ولكن التحريض بفضل الله نحن نقوم به**[741]".

ورغم هذا القرار المعلن، فإنه تعامل مع نفسه كدولة داخل الدولة، **وهو الذي أعلن الحرب على أمريكا من أراضيها، ولك أن تتخيل هذا في أي دولة كانت، أن تأتي مجموعة وتعلن الحرب، وكأنه لا يوجد فوقهم أي مسؤول عن قرارات الحرب والسلم والتي هي من خصائص حاكم الدولة**، ثم إنه بعمله ذلك جر إلى تحطيم هذه الدولة التي يسلّم بأنها إسلامية، وهنا يتساءل سيّد إمام: " **هل العقلية التي أضاعت دولة إسلامية كانت قائمة بالفعل في أفغانستان (طالبان)، هل ينتظر من هذه العقلية أن تقيم دولة إسلامية؟**"[742].

فالتيارات التي بحثت قتل المرء لنفسه خوف أن يعطي معلومات يمكن استعمالها لقتل مسلمين، كان صعبًا عليها أن تبحث حكم الامتناع عن فعل يؤدي إلى سقوط دولة يسلّمون أنها إسلامية، فلا مسوّغ عندهم لإسقاطها! دع عنك آلاف القتلى والجرحى من القصف المركَّز على بلدة لا تملك من وسائل العصر سوى القليل.

وقد رفع عطية الله الليبي لواء التسويغ لهذا فقال: "اعتبر بموقف الملا محمد عمر وطالبان عمومًا، فإن الذي أصابهم جراء الحدث عظيم، لم ينل أحدًا من الناس مثله في أي مكان

---

741 انظر: لقاء أسامة بن لادن مع قناة الجزيرة 1998، عند رأس الساعة من اللقاء.

742 التعرية لوثيقة التبرئة.

من الشدة والجراح والقراح والحرمان... ومع ذلك فإن الله نور قلوبهم... **فما تكلموا** ولا نكلوا ولا استكانوا للحديث عن الأحداث، **وتقليب الصفحات، وإنما انطلقوا إلى العمل**"[743].

فيتم إسقاط أي مراجعة للحدث، بمجرد أن طالبان لم تفعل؛ سكتوا وتركوا تقليب الصفحات، إنّ المهم هو الحركة!

وبطريقة جدلية إلزامية يقول:

" تصحيح الخطأ هنا ليس ممكنًا إن صح أنه خطأ فعلًا، ثم إن صح أيضًا؛ فالاعتذار للشيخ وأصحابه فيه ممكن، بل سهل علينا، والحمد لله.

وأنت قصارك أن تعرف أن الشيخ أسامة... قد أخطأ في اتخاذ القرار وعصى أميره (أمير المؤمنين) ولم يأخذ بالشورى (وهذه فيها مجال) إلخ.. طيب.. وماذا بعد؟

هب أنك عرفت هذا وفهمته.... فما المطلوب الآن؟ تقف مع أمريكا؟ وتساند التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب؟ وتنخرط في حملة الضربة الحديدية لنشر العدالة الأمريكية؟ "

[744].

[743] الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 117.

[744] الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 117.

فهو يتحرك في مفصل الثنائية التي رفعها ابن لادن القائلة بفسطاطين (**إيمان لا نفاق فيه/ كفر لا إيمان فيه**)، فإما أنت معهم، أو مع الحملة الأمريكية على أفغانستان! بل وتقول بـ (**العدالة الأمريكية**) وبعدها يسهل القول بأنك كافر لا إيمان لك!

ويتم بعث كلمات سيّد قطب من جديد، فيقول عطية الله: " يكفيك أن طالبان دولة أو شبه دولة زالت! وجماعات أخرى متكاملة اضمحلّت وزالت، أو كادت! والقتل والأسر الذي استحرّ في أهلها وأفرادها وغيرهم شيء لا مثيل له في القريب! **حتى يسميه أخونا الشيخ أبو مصعب: الأخدود** "[745]، وهو كما سبق مجرد اقتباس من تشبيهات سيّد قطب.

ولا يبخل جامع الكتاب في الإحالة على موضع ذلك من كلام أبي مصعب السوري فقال: **"عبر الشيخ أبو مصعب السوري عن الغزو الصليبي لأفغانستان في أكثر من موضع من كتابه (دعوة المقاومة) وغيره، فقال مثلًا (723): "دخل التيار الجهادي محنة الأخدود المعاصر الذي ابتلع معظم كوادره خلال السنوات الثلاثة المتتالية (2001 – 2003) "، وقال (ص 41): "جاءت أحداث سبتمبر 2001، ودخل الجيل الثاني في أتون المحنة، لينصرف القرن العشرين، وتفتتح الألفية الثالثة بمذبحة مروعة وأخدود عظيم، التهم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم من القتل أو الأسر إلا النزر اليسير "**[746].

745 الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 118.

746 حاشية الأعمال الكاملة لعطية الله، ص 118.

وهذا التشبيه سبق التعليق عليه، عند الحديث على كلام سيّد قطب فيه، ويظهر إلى أي درجة تشكل أفكار قطب مفاصل التفكير عندهم، مهما تكاثفت النقول عن غيره، لكنها تعود لتوظف في إطار مقالاته، وصوره الأدبية.

ثم أليس في دخول المرء إلى بلد بتأشيرة عقد أمان عرفي مع تلك البلد؟ والمعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، ولكن يجيب الظواهري: **" الأمريكان والغربيون لا يقيمون أي اعتبار لتأشيرة ولا لجواز فلماذا نقيم نحن اعتبارًا لها؟"**[747].

ويسرد عدة حوادث على هذا، فيذكر أنها خطفت مسلمًا حمل الجواز الألماني، وآخر من إيطاليا، وآخر من كرواتيا ونحو هذا، وهنا يطل سيّد قطب مرة أخرى بمقالاته التي تكاثفت عليها أدبيات الجهاديين، فهو يقول:

" لا جنسية للمسلم إلا عقيدته التي تجعله عضوًا في الأمة المسلمة "[748].

فالجنسية السياسية تضحي هنا مرادفة للمعتقد الديني، وبذا فإن اعتدت دولة ما على مسلم في الشرق فكأنها اعتدت على مسلم في الغرب، أو يقيم بين ظهراني مواطنيها، وما قاله قطب هو الذي فتح الباب على مصراعيه لمثل ذلك التسويغ التالي لكثير من الأحداث، فيكفي أن يقال لقد فعلوا كذا في البلد الفلاني، ليقال حاربوا الإسلام، وبالتالي نقضوا العهد، وهذا لم يكن موجودًا في التأصيلات الفقهية الأولى، قال تعالى:

---

[747] التبرئة، ص 100.

[748] معالم في الطريق، ص 138.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ [749].

قال الطبري: **" إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا، فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق؛ عهد قد وثق به بعضكم على ألا يحاربه "**[750].

وفي صلح الحديبية، "قال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو **يرسف في قيوده**، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: **أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا! ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله"**[751].

الشاهد أن أبا جندل كان قد عذب، **والظاهر أنه سيعذب إن ردّ إليهم ولم يُنقض بهذا العهد، ولا بتعذيب غيره من المسلمين تحت قريش**، وكانت قريش في هدنة مع باقي

---

[749] الأنفال، الآية: 72.

[750] تفسير الطبري، ج 11، ص 294، بتصرف يسير.

[751] صحيح البخاري، حديث رقم: 2731، 2732، فتح الباري: ج 6، ص 623.

المسلمين، بخلاف ما لو اعتدت قريش على أحد مسلمي المدينة، فإنهم بهذا ينقضون العهد، وبهذا تسقط دعوى سيّد قطب بتوحيد العقيدة والجنسيّة السياسية.

ولذا يقول الشافعي:

" إذا **دخل جماعة من المسلمين دار الحرب بأمان، فسبى أهل الحرب قومًا من المسلمين لم يكن للمستأمنين قتال أهل الحرب عنهم، حتى ينبذوا إليهم، فإن نبذوا إليهم فحذروهم وانقطع الأمان بينهم كان لهم قتالهم، فأما ما كانوا في مدة الأمان فليس لهم قتالهم** " [752].

فلم ينقض الأمان بمجرد أنهم اعتدوا على قومٍ من المسلمين، بل لم يأذن بالقتال حتى يقع نبذ العهد إليهم.

لقد كان تأثير عزّام وسيّد قطب كبيرًا جدًا، بل في إطارهما تم وضع المفاصل الأصيلة التي تتكاثف حولها النقول، وتتعدد صيغ التعبير عن مضمونها، يعبر عطية الله عن تأثير سيّد قطب وعزّام في التيارات الجهادية فيقول:

" لا شك أن للعالِمين والعَلمين الجليلين المذكورين تأثيرهما في الحركة الإسلامية المعاصرة بعامة، وفي الحركة الجهادية على وجه الخصوص " [753].

ويظهر أثر سيّد قطب في عطية الله نفسه حين يقول: "إذا أنت قررت أن هذه الدولة كافرة مرتدة، وجب الخروج عليها وإزالتها... فأعلنتَ الحرب، وبدأتَ القتال، فالسؤال عن أفراد يقتلون في هذه الحرب، لا ينبغي أن يرجع على ذلك الأصل بالإبطال، بل **عليك أن**

---

[752] الأم، ج 5، ص 677.

[753] الأعمال الكاملة لعطية الله، ص 143، 144.

تستمر في الحرب، سواء كانت الحرب حاسمة أو كانت حرب استنزاف طويلة المدى، فأنت تقاتل جيش وجند تلك الدولة، **ولا تسأل كبير سؤال عن إسلامهم أو كفرهم!"**[754].

فالارتجالية مفتوحة من أوسع أبوابها، وكأنه **لا يوجد فرق كبير بين قتال المسلمين وقتال الكافرين حتى (لا تُسأل كبير سؤال) عن هذا!** المهم هو الحركة، أما النظرية فتنشأ من الممارسة!

هذه النظرة التي تختزل الأمر بأنه صراع مع الجاهلية كعنوان، تتجاهل تعقيدات الواقع، وتهمل النظر السياسي إلى الغاية القصوى، ويصبح نظرها عسكريًا محضًا، بعقلية الجندي المجردة، ليضحي تفكيرها منصبًا على الهدف هل فيه كفار حربيون أم لا، ثم تسوّغ الأحكام فقهيًا بمثل هذا! بقطع النظر عن الظرف والموقع فكل هذا لا تأثير له في الحكم عنده، كتب عطية الله:

"أما كونها في بلاد مسلمين أو غيره فلا تأثير له ما دمنا نعلم تفاصيل الناس الموجودين في المحل (الفندق) أو غيره، وإنما يكون لهذا الوصف (كونها في بلاد المسلمين أو بلاد الكفار) تأثير حين نجهل أحوال الناس في المحل الذي هو الهدف "[755].

وهذا مجازفة، وكلامه لا يصح فقهيًا، فإسقاط تأثير كونهم في بلاد المسلمين أو غيرها حتى ولو علمنا أنهم كفار حربيون، **يتجاهل أن عقد الأمان للكافر الحربي قد يعقده غير**

---

[754] الأعمال الكاملة لعطية الله، ص 140 – 141.

[755] الأعمال الكاملة لعطية الله، ص 140.

الإمام في حال تم إسقاط اعتباره، فيصح الأمان من أفراد المسلمين لجماعة من الكفار الحربيين، وفي صحيح البخاري: "**باب أمان النساء وجِوارهن** "، وذكر حديث أمّ هانئ ابنة أبي طالب، حيث قالت عام الفتح:

" يا رسول الله **زعم ابن أمي عليّ أنه قاتلٌ رجلًا قد أجرته**، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**قد أجرنا من أجرتِ يا أمّ هانئ** "[756].

قال ابن المنذر:

" **أجمعوا على أن أمان المرأة جائز، وانفرد** الماجشون فقال: لا يجوز "[757].

وقد رد عليه ابن المنذر فقال: "**وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يسعى بذمتهم أدناهم) دلالة على إغفال هذا القائل** "[758].

قال ابن تيمية: " **الأمان يجوز عقده لكل كافر، ويعقده كل مسلم** "[759]، وقال: "**الحربي إذا قلت له أو عملت معه ما يعتقد أنه أمانٌ فهو أمان**" [760].

---

[756] صحيح البخاري، حديث رقم: 3171، فتح الباري، ج 7، ص 463.

[757] الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، حققه: صغير أحمد بن محمد حنيف، مكتبة الفرقان – عجمان، مكتبة مكة الثقافية – رأس الخيمة، الإمارات، الطبعة الثانية: 1990 م، ص 83، 84.

[758] فتح الباري، ج 7، ص 463.

[759] الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن تيمية، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1997، ج 2، ص 182.

[760] الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن تيمية، ج 3، ص 768.

وهو ما نص عليه أحمد، فقال:" **كلُّ شيء يرى العلج أنه أمان فهو أمان**"[761].

يقول البهوتي:

" **ويصح الأمان من مسلم عاقل مختار غير سكران.... من إمام لجميع المشركين، ومن أمير لأهل بلدة جعل بإزائهم، ومن كل أحد لقافلة وحصن صغيرين عرفًا، ويحرم به قتل، ورق، وأسر** "[762].

لكنه يتجاهل كل هذا، ليضحي الأمر من هم في داخل الفندق، هل هم كفار حربيون أم لا**!** فبما أنه كفر الدولة، إذًا لا أمان لها، وكأنه لا أحدَ في الكون غيره ومن وافقه، ثم كفار يعقدون الأمان فهو ملغي، ومحاربون يصولون ويجولون يجوز استهدافهم**! وكأنه لا يوجد مسلمون في الوسط بينهم يصح أمانهم!**

ثم إن إباحة شيء، لا تعني انفصاله عن مآلاته، فقد يكون مباحًا ثم هو حرام لغيره، يقول ابن تيمية:

---

761 مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى: 1999، ص 334.

762 الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتي، خرج أحاديثه: عبد القدّوس محمد نذير، دار المؤيد – مؤسسة الرسالة، ص 299.

"**نقول فيما خلق من النبات والصيد هو مباح، ثم مع هذا لا يجوز إتلافه بلا فائدة، فلا يجوز قتل الصيد لغير مأكله، ولا إتلاف المباحات لغير منفعة، فإن هذا فساد، والله لا يحب الفساد** "[763].

لقد كان يتم خنق النقد بحلول اعتباطية، وبالتفخيم الذي يتجاهل أن أية حركة معارضة للوضع القائم، هي سلطة أخرى، وكما يوجد لسلطة الوضع القائم منافحون حتى عن أخطائها، كذلك ينشأ لهذه السُّلطة، بحجة أنك أقلُّ من المنتقد فهو قدّم وضحّى، هو أدرى بمصلحة البلاد والعباد، ولا يخفى عليه أي كلام مما تقوله، وعلى فرض أنه أخطأ فالأمر يسير، هل أنت معه أم مع الكفار؟! بهذه الحجج ونحوها، يتم وأد أي نقد، وإسكات صوت المعارض.

وعلى الصعيد التنظيمي، كانت نظرات الريبة تتجه نحو أي نقد داخلي، ويتم منع الحديث في مواضيع معينة، كمنعهم لمصطفى حامد من ذكر رأيه في قادة الأحزاب الأفغانية [764]، ولتشرع في وجه المحاولات النقدية اتهامات بالانشقاق، وتكوين تنظيم داخل التنظيم، كأي نظام سياسي شمولي، فلقد غضب ابن لادن على مصطفى حامد، لدورة عقدها في ميرانشاه، وتعرُّضه لشيء من أخطاء (القاعدة)، يقول مصطفى حامد بأن الأمر وصل إلى " **خشية بأن أكون صاحب (تنظيم) وهي فكرة لم تخطر لي ببال** "[765].

---

763 قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم، وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز آل حمد، الطبعة الأولى: 2004، ص 202.

764 انظر: المطار 90، ص 93.

765 المطار 90، ص 39.

والسؤال الذي يبرز هنا: كيف توقعوا من غيرهم أن يستقبلَ كلامهم بصدر رحب دون أن يخطر له أنهم يريدون الوصول إلى السُّلطة، ودون أن يتهمهم بأنهم يكوّنون تنظيمات تعمل تحت زعامتهم، ولمجرد نقد داخلي بصوت خافت لا يكاد يسمع، يشتد بهم الغضب على أهله، ويقع اتهامهم بأنهم يعملون لإنشاء تنظيمات لحسابهم؟ إلى أي درجة تصدق هنا الكلمة القائلة: "**المعارضة ليست سوى وجه آخر للحكم**"؟!

بين التاريخ، والتاريخ البديل..

كانت الجماعات الإسلامية المختلفة تتنافس على الأنصار، وعلى شعار تمثيل الإسلام الصحيح الذي يشكل الهالة الأهم في التسويق لها، وبنفس الوقت على تاريخ يظهر مدى تضحياتها، وصواب خياراتها السياسية، بل ومحنها والمظالم التي لحقت بها، كانت تعبر عن مصالحها بصيغ أفكار ورؤية معينة للتاريخ، حتى أضحت كثيرٌ من تلك الرؤى تشكل تاريخًا بديلًا يتجاوز الوقائع والأحداث الثابتة، كان هذا التاريخ البديل يشكل صورةَ علاقاتها مع الجماعات الأخرى، وفي نفس الوقت يحاول أن يضمن تسويغًا أو تهوينًا من الأخطاء الداخلية، كان يحقق ما يمكن تسميته بـ (راديكالية) مع الخارج، و(محافظة، وإصلاحية في أقصى الأحوال) داخل الجماعة نفسها.

لا يقتصر التاريخ البديل على الجماعات الإسلامية، فلكل تاريخه البديل، الذي يخدم الدعاية للسياسات الرسمية من أنظمة، وأحزاب سياسية متنوعة، لكن تسليط الضوء هنا على كشف مغالطات التاريخ البديل المتعلقة بما قيل في أفغانستان وما تعلق به كجذور وامتداد فيما بعد، وما كان لهذا من أثر على عدم تشكّل صورة صحيحة، وما أعقب ذلك من أحكام خاطئة، وكانت الصيغ التي تقدّم من تاريخ بديل تنتشر بشكل كبير ليرددها حتى خصومٌ لتلك الجماعات، ولم يعوا بأنهم لا يرددون سوى تاريخًا بديلًا مندرجًا تحت إطار الدعاية، والتسويق، أو الطمس، والتغيير لحقائق قد تحرج خطاب العديد من الجماعات الذي تلا تلك الأحداث.

ومن أهم الشخصيات التي ستتعرض لمجموعة كبيرة من التواريخ البديلة (سيّد قطب) لما لأفكاره من ثقل قد لا تتحملها أحزاب وجماعات عديدة، وفي مقابل هذا ما لفه من هالة استقطاب كبيرة للشباب ترجح كفّة نسبته إلى جماعة أو الانتساب إليه، هذه الهالة التي ساهمت فيها إضافة لأحداثها الواقعية أيضًا مصالح سياسية، ودعايات أيدلوجية عديدة، لسنوات كثيرة ساهمت في تشكيل صورة ملحمية بطولية، أو مَظلَمة مأساوية تلف اسمه، في نزاع أنظمة مع قومية عبد الناصر، وصراع على قيادة المنطقة العربية، كذلك يندرج الأمر تحت رفض الاشتراكية بشكل عام، والانحياز إلى الرأسمالية.

أهم صيغ التاريخ البديل التي رُسمتْ حول سيّد قطب كانت من جماعة الإخوان، فقد كانت تحت وقع امتداد أفكار سيّد، وما قد يجرها إليه من مواجهة مع أنظمة حاكمة، ولذا سعى العديد من قادتها ومنظّريها إلى احتواء الأمر كيفما كان، ومن ذلك محاولة الراشد، يقول محمد أحمد الراشد:

" الأديب واسع الخيال عادة، وتحمله الحماسة على إطلاق كلمات نارية، واصطلاحات مثل حد السّيف، لأنه يستنهض الهمم، ويرغب في الجهاد... لذلك لا يتقيد بمعاني الفقه ولو كان فقيهًا، بل يعطي لنفسه الحرية في إلهاب المشاعر بالمجاز، فيأتي شباب **ليس لهم وعي شرعي كامل،** فيتعاملون مع الأسطر الأدبية على أنّها مثل النصوص والفتوى، فتبتعد تصوراتهم وأفكارهم عن موازين الفقه، وقد حدث شيء من هذا حين استطرد سيّد قطب رحمه الله في وصف الجاهلية الحاضرة وضرورة مفاصلتها والبراءة منها، **وكان مصيبًا، وأدى مهمته رحمه الله بنجاح،** وكان مقصده حفظ معنويات الأمة الإسلامية...

وجاءت شهادته لتزيد تأثير كلماته في شباب مكبوت محاصر، **فأخذ بعضهم يفهم كلام سيّد على أنه تكفير ودعوة لرصاصة فوضوية وتفجير، ونزلوها منزلة النصوص الشرعية"**[766].

فيتناول أطروحات سيّد قطب على أنها صورٌ أدبية، ليست فتاوى فقهية، والمشكلة نشأت عند (بعضهم) من الذين فهموا كلامه بشكل غير صحيح، وانطلقوا إلى المواجهة، بالرصاص والتفجير!

هذا مجرد تاريخ بديل، ولم يمهل الزمان كاتبه حتى أظهر عدم اتساقه، فالرجل في نفس كتابه الذي قال فيه هذا يصف القرضاوي بقوله: **"لله دره ما أفقهه"**[767]، وأسهب في شرح فقه القرضاوي [768].

فالقرضاوي نفسه الذي يصفه الراشد بالنبوغ في الفقه، أي الفهم عن الله، قد فهم عن سيّد قطب أن سطوره مسؤولة عن الغلو في التكفير، وحكم بأن أطروحاته خرجت عن منهج أهل السنة ونحو ذلك كما سبق، فهل هو من بعض الشباب غير مكتمل الوعي كما هو تعبير الراشد؟ لكنه يعبر في هذا الكلام عن الحاجة إلى الاحتفاظ بسيّد قطب داخل إطار الإخوان مع إعطائه معنى مجازيًا، وتصحيح موقفه حتى لا يقع بتخطيء للجماعة، كما أنه يضمن رمي المجموعات الجهادية بقلة الوعي، في حين أن القرضاوي كان حريصًا

---

[766] أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي، محمد أحمد الراشد، دار المحراب، فان كونر – كندا، زيورج – سويسرا، الطبعة الأولى: 2002 م، ج 2، ص 26 – 27.

[767] أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي، ج 3، ص 71.

[768] أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي، ج 2، ص 156.

على إخراج أفكار سيّد من الإطار الإخواني، مع الاحتفاظ بعدم تخطيء الجماعة، باعتبار أنه لا يمثلها وهو تاريخ بديل أيضًا كما سبق، فسيّد كانت أفكاره بموافقة مرشد الإخوان في حينها، وفي كلتا الحالتين ما يصلان إليه هو **عدم تحميل جماعة الإخوان أي خطأ**.

وفي التاريخ البديل الذي يصوغه الراشد يتعامل وكأن سيّد قطب كان محض كاتب، يبعث كتبه إلى الناشر ويجلس في بيته، متجاهلًا أن ما كتبه قام بالتحرك في الواقع وِفقه، فقد تزعم سيّد قطب تنظيمًا حرص فيه على وجود **"مجموعات مدربة تدريبًا فدائيًا"** [769]، وأنه أوصاهم بأن يشتروا أسلحة للتدرب عليها [770]، وقد تم فرض رسوم على أعضاء التنظيم 5٪ من دخل كل فرد لشراء السلاح، واستئجار الشقق ونحو ذلك [771]، و**قاموا بتصنيع مواد شديدة الانفجار بمعونة أحد المتخصصين في الكيمياء المنتمين إليهم** [772]، **لضرب الحكومة في حال تعرضت لهم، وكان يفكر في "تدمير بعض المنشآت في القاهرة، لشل حركة الأجهزة الحكومية عن المتابعة "**[773].

لكن الراشد في نفس الوقت الذي يريد الاحتفاظ فيه بسيّد قطب داخل الإطار الإخواني، يقوم بتفريغه من محتواه، وواحدة من أهم الأفكار التي يطرحها، معارضًا فكرة سيّد عن التوحيد بين العقيدة والجنسية إلى أقصى الطرف المقابل ليفصل بين المعتقد والجنسية، ثم يصغّر الأمر جدًا كأن الجنسيّة فيه حكرٌ على أعضاء جماعة الإخوان، فيقوم

---

769 لماذا أعدموني ؟ ص 18.

770 انظر: التاريخ السري لجماعة الإخوان، ص 201.

771 انظر: التاريخ السري لجماعة الإخوان، ص 201.

772 انظر: التاريخ السري لجماعة الإخوان، ص 204.

773 لماذا أعدموني ؟ سيّد قطب، ص 38.

بتنزيل قصة صلح الحديبية على جماعة الإخوان أما غيرهم فهم كأبي جندل وأبي بصير، وكأن الإخوان دولة ذات سيادة، فيقول:

" هي قاعدة نستعملها في العلاج النفسي لداعية عاطفي يتهمنا بالإثم، وخذل المسلمين إذا رآنا نسكت عند تهور جماعة صغيرة قليلة التجريب في مواقف غير مدروسة... **لا نفدي أنفسنا لكل مجموعة عارية عن فقه الموازنات المصلحية ترتكب الأخطاء بحجة النهي عن المنكر** "[774].

ويقيم الراشد لجماعة الإخوان التي ترادف في تعبيراته كلمة (**الدعوة**) أحكامًا تخفيفية لا تنطبق على عموم المسلمين، لمصالح السياسة والحكم، فيقول:

" التوظف في البنوك، وسلك القضاء، رغم وجود التعامل الربوي، والحكم بين الناس بخلاف أحكام الحلال والحرام، وذلك لأن الدعوة تسعى لأن تحكم سياسيًا، والحكم ممارسة معقدة جدًا تحتاج دراية إدارية عالية المستوى، وإنما يترجم ذلك الموظفون من الدعاة في كل مرفق من مرافق الدولة لهم خبرة عملية واسعة، فإذا لم يتدرب رجال الدعوة من الآن في المصارف والشركات الكبرى والقضاء والمؤسسات الإعلامية والوزارات السيادية فمن أين نأتي بالموظف المخلص، وفي أمر الاقتصاد بخاصة، فإنه نصف السياسة لذلك يُفتى الداعية بكتابة الربا وإجرائه والقضاء به من أجل تحصيل الخبرة، ويستغفر الله بعد ذلك، وإنما الأعمال بالنيات، وشرط تصويب ذلك: أن يكون التحاق الداعية بوظيفته

[774] أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي، ج 2، ص 192.

بإذن من أمراء الدعوة لا بقرار فردي، ولو أن الدعاة لبثوا بلا تحصيل مهارات وتجريب جريًا مع فتاوى التشديد لصاروا مجموعة من السذج الذين لا يصلحون لحكم البلاد "[775].

ومع هذا الانفصال عن الجماعات، وعن الأحكام الشرعية للعامة، فإنه يرى وجوب تأييد المسلمين جميعًا للإخوان، وفي ثنائية شبيهة بتلك التي أطلقها أسامة بن لادن، يقول:

" الذي يرى الإخوان المسلمين كجماعة إسلامية كبرى، وهو لا يراها أهلًا للتأييد، لا يمكن أن يبصر أنوار الحق، ولا يميز بين أولياء الله، وأولياء الشيطان"[776].

وفي تاريخ بديل يقول أبو قتادة الفلسطيني عن عزّام:

" في موضوع الجهاد الأفغاني خرج عن موضوع الحزبية تمامًا... لو رأيت أن تقول: عبد الله عزّام من الإخوان المسلمين في القضية الأفغانية، فعبد الله عزّام ليس من الإخوان المسلمين " [777]، وبنحو هذا يرى سيّد قطب في نفس المحاضرة.

ففي سياق إيجاد تاريخ يدعم أصالة التيار الجهادي وعدم تبعيته إلى جماعة الإخوان؛ نظر التيار الجهادي إلى عزّام بكلمات عبرت عنها مجلة صوت الجهاد قائلة:

" إذا ذكرت الإمامة في الجهاد في هذا العصر لم يسبق إليها أحد قبل الشيخ الشهيد بإذن الله عبد الله عزّام رحمه الله "[778].

---

[775] أصول الإفتاء والإجتهاد التطبيقي، ج 2 ص 147.

[776] أصول الإفتياء، ج 3، ص 291.

[777] أبو قتادة، مناقشة " في ظلال سورة التوبة " للشهيد عبد الله عزّام – مشروع ألف كتاب قبل الممات، دقيقة: 44.

[778] صوت الجهاد، العدد 13، ص 27.

فيقدّم الفلسطيني رؤيته القائلة بأنّ عزّام وسيّد في أفكارهما لم يكونا حزبيين، بل كانا خارجين عن إطار الإخوان، وما قاله محض تاريخ بديل، فسيّد قطب أفكاره كتبت بموافقة المرشد، وهي التي انتشرت بين الإخوان فترتها بشكل مهول، ونقطة محرجة أن يكون في التيار الجهادي (إن صح وصفه بالتيار) تبعيّة فكرية للإخوان.

ومن هنا جعَلَ في قطب وعزّام شخصين في كل واحد منهما، واحدًا من جماعة الإخوان، والآخر للأمة، فهو أخذ الثاني وترك الأول، وهذه الحيل الوصفية لا تغير من الوقائع، فعزّام كسيّد كانا تابعين للإخوان، **والإخوان خليط قد يحوي أفكارًا غير متجانسة، أو غير متسقة مع البناء التنظيمي**، هذا شيء، وما يقوله الفلسطيني شيء آخر.

وقد ظل في (القاعدة) تيار يعبر عن ود كبير لجماعة الإخوان، فمثلًا يكتب فاضل هارون:

" ظهر بعض العلماء الذين صمدوا ونادوا بوحدة الأمة أمثال الشيخ حسن البنا "[779]، ويكتب: **" الشيخ سيّد قطب رحمه الله الذي ألف كتاب (جاهلية القرن العشرين) وألف تفسيره بواقعية القرن العشرين والمسمى بظلال القرآن "** [780]، مع التنبيه على أن كتاب (جاهلية القرن العشرين) هو لمحمد قطب وليس لسيّد،، وقال: **"اعلم أن الشيخ سيّد قطب قد وضح هذه الأمور كوضوح الشمس ولم يكفّر إلا من كفره الله ورسوله مع توفر الشروط و انتفاء الموانع مستدلًا بأقوال العلماء من قبله "** [781].

---

[779] الحرب على الإسلام، مذكرات فاضل هارون (فازول)، راجعه وقدم له: أبو خير الأنصاري، مركز دراسات قضايا العالم الإسلامي، ج 1، ص 23.

[780] الحرب على الإسلام، ج 1، ص 30.

[781] الحرب على الإسلام، ج 1، ص 31.

وهنا يقال: لماذا لا يُعكس الأمر على الفلسطيني؛ بأن أفكار التيار الجهادي -الذي يمثل هو وأمثاله خطها التنظيري- أسيرة لأفكار الإخوان في فترات الصدام مع الأنظمة وغيرها، وليس العكس بأن أفكار الإخوان التي عبر عنها أمثال سيّد وعزّام هي التي تحررت من الإخوان، ثم ينشأ الخلاف بين الإخوان وهذه التيارات وقت مصالحة الإخوان للنظام وقربهم منه وإبرازهم أفكارًا تتوافق مع ما تدعو إليه الحاجة السياسية وقت الصلح.

على أي حال فإن التيار الجهادي حاول الاستقلال بنفسه فكريًا كما استقل تنظيميًا عن جماعة الإخوان، وفي هذا الإطار سعى لإيجاد تاريخ بديل بأن عزّام ترك الإخوان، أو بقي إخوانيًا لكنه خرج عنهم في أفكاره، وكذلك الأمر في سيّد قطب، لمحاولة تسويغ أن الانتساب إليه ليس فيه تبعية للإخوان فكريًا على الأقل، وهو ما يوضع في إطار التاريخ البديل.

وفي إطار تاريخ بديل يقدمه هذه المرة برويز مشرّف الرئيس الباكستاني عن عبد الله عزّام يقول:

" رأى عبد الله عزّام أن الجهاد معناه طرد المحتلين من أراضي الإسلام، أما أسامة فأراد أيضًا إسقاط الحكومات في البلدان الإسلامية التي عدها مرتدة، كان ذلك سيؤدي إلى صراع بين المسلمين، ولم يكن عزّام يرغب في ذلك، أدى ذلك إلى انشقاق بين الرجلين"[782].

---

[782] على خط النار، ص 283.

وهذا تاريخ بديل، فعزّام أكد مرارًا أن الجهاد في أفغانستان لم يكن بداية ضد الروس، بل ضد الحكومة الأفغانية المرتدة، وكان يريد من أفغانستان أن تكون قاعدة للانطلاق، بعد تحرير السوفييت، ولم يكن يحصر الردة بالشيوعيين فقط! وقبل موته بشهر كان يقول للشيوعيين في الدول العربية أن المجاهدين سيأتون لذبحهم، فما قاله مشرّف يوضع في سياق تسويغ موقف باكستان السياسي حينها لبقاء عزّام على أراضيها، وإيجاد صيغة تاريخية للتفريق بين الجهاد الأفغاني، وما يحصل اليوم في أفغانستان في ظل موقف باكستان المعلن المضاد للقاعدة.

وفي سياق تاريخ بديل للأفكار تعددت الاتهامات لابن تيمية، ولمحمد بن عبد الوهاب بالمسؤولية عن تشكيل تصورات تنظيمات مثل تنظيم (الدولة الإسلامية)، الذي جرى تداول الحديث عنه في الإعلام باسم (داعش؛ اختصارًا من حروفه الأولى: الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وتزاحمت الأسباب في هذا من خلافات طائفية/ سياسية (كالشيعة)، إلى عقديّة ونزاع على تمثيل السنة كخلفية أشعرية لبعضهم، إلى حزبية، بنصب شماعة تخليها هي من المسؤولية.

ويمكن اعتبار هذا أيضًا تاريخًا بديلًا، فكتابات محمد بن عبد الوهاب وإن كانت قريبة إلى تاريخ القرن العشرين (فترة نشوء الجماعات الإسلامية المقاتلة بشكل كبير) إلا أن تأثيرها فيهم كان ضئيلًا، وغاية الأمر أنه تم التأثر بها في فلك مفاصل كتابات سيّد وعزّام ونحوهم، فقد تم اعتماد كتاب(التوحيد) لابن عبد الوهاب في دراسة الإخوان، قبل

ظهور (معالم في الطريق) لسيّد قطب وتدارسه[783]، ومع ذلك فالذي طغى في التأثير وصياغة الأفكار كان معالم في الطريق لسيّد، كما تثبته الأحداث التالية على ظهور المعالم.

واشتد التسليم بما قاله سيّد مع عزّام وابن لادن ومن نحا نحوهم، ولم يكونوا منحازين إلى طرف وهابي، فكان عزّام وابن لادن أقرب إلى حكمتيار منهما إلى جميل الرحمن، والمقدسي نفسه اعتبر ما يدور في مضافة جميل الرحمن أخطر مما يحدث في معسكرات الإخوان، كونهم مقربين من السعودية.

وقد كانت أول شبهة يرد بها الخيتي على تنظيم الدولة وأنصاره هي قاعدة: (**لا يفتي قاعد لمجاهد**) [784]، كذلك رد عليهم فيها إبراهيم السكران فيقول: "**ومن القواعد المحدثة في أصول الفقه وباب الفتوى عندهم قولهم (لا يفتي قاعد لمجاهد)، فهذه قاعدة محدثة**"[785]، ونشرت رئاسة شؤون الحرمين السعودية مقطع فيديو من خطبة لصالح بن حميد يقول فيه: " **ومن تلبيساتهم قولهم لا يفتي قاعد لمجاهد** " [786].

فهل هذه القاعدة كانت من ابن تيمية أو الوهابية أو حتى من **صياغة تنظيم الدولة؟** الواقع أنها نشأت من كتابات سيّد قطب وعزّام، وتم تغيير معاني كلام ابن تيمية ليتناسب مع كلام سيّد، فينقل عزّام كلام ابن تيمية الذي يقول فيه:

---

[783] انظر: أيام من حياتي، ص 20.

[784] انظر: شبهات تنظيم الدولة الإسلامية وأنصاره والرد عليها، عماد الدين الخيتي، الطبعة الأولى: 2015 م، ص 10.

[785] رسالة إلى المنتسب لتنظيم الدولة، إبراهيم السكران، ص 17.

[786] انظر: فيديو سعودي يرد على فتوى داعش بخصوص"القاعد لا يفتي لمجاهد": جاذبية اللفظ أضلتهم عن فساد المعنى، على موقع رأي اليوم:
.http://www.raialyoum.com

"الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا "[787].

وكلامه واضح أنه يشترط المعرفة بما عليه أهل الدنيا، ولا تشترط الممارسة للمعرفة، لكن عزّام شرح هذا فقال: "**معنى كلام ابن تيمية** أنه لا يسأل عن الجهاد إلا العلماء المجاهدون، وأما **القاعد فلا يؤخذ منه هذا الدين بحال**"[788]، فهذا ليس شرحًا بل ترديد لكلام آخر في رأسه من كلام سيّد قطب الذي قال بأن الدين **"لا يؤخذ عن فقيه قاعد"**[789].

ولم يكن الأمر بحاجة إلى متابعة إصدارات تنظيم الدولة حتى يقال بتلك القاعدة، فيكفي قراءة رسالة ماجستير صدرت في غزة 2008، لتجد في نتائجها:

" لا يفتي في الجهاد إلا الفقهاء المجاهدون "[790].

وكان لتنظيم الدولة تاريخه البديل الذي (تقاطعت مصالحه) مع التاريخ القائل بأنهم يأخذون من ابن تيمية والوهابية، فمع خلافاتهم التي طغت على السطح، وصارت علنية مع القاعدة والعديد من التيارات الجهادية، فقد تجاوزوا ترديد الأسماء التي تتقاطع مع غيرهم من التنظيمات والشخصيات كالمقدسي وتجعلهم امتدادًا لهم، فحذفوا تلك

---

787 المستدرك على مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمعه: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى: 1418 هـ، ج 3، 220.

788 الذخائر، ج 3، ص 205.

789 في ظلال القرآن، ج 3، ص 1735.

790 معالم التربية الجهادية في ضوء كتابات الشيخ عبد الله عزّام، إعداد: إياد عبد الحميد عقل، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير، تخصص تربية إسلامية، الجامعة الإسلامية – غزة، 2008، ص 108.

الوسائط وأبقوا على المنقولات، ولا يعني هذا احتكامهم أصالة إلى تلك المنقولات، أو أنهم قرأوها خارج مفاصل أطروحات سيّد وعزّام والمقدسي ونحوهم.

وكان لأنصار القاعدة تاريخهم البديل الذي تمحورت حوله حججهم في جر خلافهم مع تنظيم الدولة إلى مربع الخلاف الديني لإظهار أن الخلاف ليس على النفوذ، ولا الزعامة بل على المبادئ، فتجد كاتبًا من أنصارهم يقول في نقد تنظيم الدولة:

" ومن الأعاجيب أن من أهم مرجعيات الدولة في قضية الأسماء والأحكام سيّد إمام وكتابه (الجامع في طلب العلم الشريف)، فهذا الرجل غير موثوق العلم، ولا أدري كيف يحكم بحسن كتابه من لم يشم رائحة العلم يومًا، ولا طالع دووايين الإسلام الكبرى ليقيس عليها كتب المتأخرين "[791].

وهذا تاريخ بديل فسيّد إمام، كان قاضيًا شرعيًا في معسكرات القاعدة، وكان يشار إليه منهم بالبنان، يقول عطية الله الليبي:

"الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز **من أهل العلم والتحقيق** "[792]، و "**كتاب (الجامع) كتابٌ كثير النفع مملوء بالفوائد** "[793]، و"بعض المسائل التي بحثها الشيخ عبد القادر في كتبه كـ (الجامع) و(العمدة) وغيرها، وهي مسائل حساسة وشائكة، **قال الشيخ فيها رأيه وقد يخالفه غيره فيها وهي مسائل اجتهاد** "[794].

---

[791] الصيالم؛ قراءة في تجربة تنظيم الدولة، أبو سليمان الحضرمي، ص 44.

[792] الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 460.

[793] الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 466.

[794] الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، ص 460.

ومع رد حسن قائد محمد المكنى بأبي يحيى الليبي عليه، إلا أنه ذكر في مقدمة رده أن بعض عبارات سيّد إمام كانت جازمة مما:

" أدى إلى استغلال المغالين جماعات وأفراد له... **مع علمنا اليقيني أن المؤلف لم يرد ذلك ولا قصده ولا هو يوافقهم أو يؤيدهم فيما ذهبوا إليه "** [795].

فقد كانوا ينظرون إلى الأمر على أنه اجتهاد، ليتطور الأمر على يد ذلك الكاتب ليضحي سيّد إمام غير موثوق العلم، ولم يتوقف الكاتب في نسج تاريخه البديل عند ذا الحد فقال:

" لا يقر السوري والفلسطيني انحرافات وتقصير هذه الحركات والجماعات "[796].

فيقوم بتوحيد نهج السوري والفلسطيني ضد الانحرافات، وفي الواقع فقد كان السوري يرى أن الفلسطيني جزءٌ من الانحراف، وهو يسوغ كعلماء السلاطين – وفق تعبيره – أعمال **(الجماعة الإسلامية المسلحة)** في الجزائر، ويلوّح بجواز السبي للنساء هناك، وبما أنه يعتبر السوري رمزًا لمكافحة الانحراف، فإن السوري نفسه مدح كتابات سيّد إمام (عبد القادر بن عبد العزيز)، فقال:

" أنصح عمومًا لترسيخ العقيدة الجهادية، بمؤلفات الشهيد سيّد قطب رحمه الله، **ومؤلفات الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز**، كما أنصح جدًا بمؤلفات الشيخ عبد الله عزّام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتربية " [797].

---

[795] نظرات في الإجماع القطعي، حسن قائد، ص 3.

[796] الصيالم، ص 44.

[797] دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص 1130.

وقال: "... من أهمه كتاب (العمدة في إعداد العدة)، للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، **وكتابه القيّم الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف)** "[798].

لقد كانت التواريخ البديلة تصنع جماعات أخرى ذهنيًا غير تلك التي عاشت في الواقع، يتم تصميم تلك التواريخ لستر الأخطاء وتجاهل النتائج التي أفرزتها، لتقوم بشحنها إلى المستقبل، بعدما يتم مسحها من الماضي في ذاكرة الأجيال الجديدة من المنضوين تحت لواء تلك الجماعات.

وفي سؤال لعبد الله أنس: ما الفرق الجوهري بين مكتب الخدمات، وما حصل فيما بعد من تنظيمات كالقاعدة، وتنظيم الدولة وغيرها؟

أجاب بأن الفرق الأساسي أنهم جاؤوا إلى أفغانستان لقضية محدودة وهي نصرة الشعب الأفغاني، بخلاف الأمر عند التيارات الجهادية فيما بعد، حيث تكون المنطقة المقصودة هي البداية لمشروعهم الخاص، كالخلافة مثلًا[799].

وهذا تاريخ بديل، فقد جاءوا هم أيضًا بمشروعهم، ومكتب الخدمات نفسه الذي عمل تحت قيادة عزّام كان له مشروعه بنشر الإخوان في أفغانستان، وكان يتواصل مع تنظيم الإخوان ليدعموه في هذا الإطار، كانوا يريدون دولة الإسلام الأولى هناك، ثم الانطلاق إلى غيرها، كانوا ينادون بإقامة الخلافة في صفحات مجلاتهم، وزينب الغزالي اعتبرت

[798] دعوة المقاومة الإسلامية، ص 741.

[799] انظر يوتيوب: رحلتي مع الجهاد.. الحلقة الحادية عشرة، دقيقة: 24.

أفغانستان خطوة نحو إقامة الخلافة، وكانت مجلة الجهاد تبث أمثال هذا، لم يكن الأمر كما يصوره أنس بأنهم لم يأتوا بأي مشروع!

ويحاول حذيفة عزّام تعزيز فكرته حول تنظيم الدولة بأنهم تابعون لأجندات خارجية فيقول بأن في يد داعش سيارات تويوتا قيمتها بالمليارات [800]، ويتجاهل ما حصل قديمًا من تسويغ والده لاستلام صواريخ! مع الفرق بين السيارات والصواريخ، ويسهب في محاولات استشفاف مؤامرات خفية، في تجاهل منه لما حصل جليًّا في أفغانستان.

كان الطمس للواقع معناه تأجيل تكرار الأخطاء نفسها، ومع تأكيدهم على نفس الأفكار، التي تم رفعها فوق التاريخ، كان التمجيد التاريخي يمنع الدرس عن الأجيال التالية لتجربة أفغانستان، تلك التي قال فيها حكمتيار يومًا ما:

" لن يكون هناك أي صراع على السلطة بعد انسحاب القوات الروسية " [801]، لتطل تنهدات أميل سيوران من خلالها وهو يقول: **"يخيفني كثيرًا رجل السياسة الذي لا تبدو عليه أي علامة من علامات حبّ السلطة "** [802].

---

[800] انظر يوتيوب: الشاشة الحرة 3 | د.حذيفة ابن الشيخ عبدالله عزّام يفضح تنظيم داعش، دقيقة: 19.

[801] المجاهدون العدد: 17، ص 20.

[802] المياه كلها بلون الغرق، أميل سيوران، منشورات الجمل، ألمانيا، 2003، ص 162.

كانوا في تكتمهم على ما قيل في أفغانستان في تلك الأيام، يهيئون الظروف لتعاد الوقائع نفسها بنفس الأخطاء، لكن هذا التكرار بما يصفه ماركس: "**المرة الأولى كمأساة، والثانية كمهزلة** "[803].

[803] بواسطة كتاب: بداية كمأساة وأخرى كمهزلة، سلافوي جيجك، ترجمة: أماني لازار، طوى للثقافة والنشر والإعلام، لندن، الطبعة الأولى: 2015، ص 6.

مراجع

كتب ومجلات:

1. 15 طلقة في سبيل الله، مصطفى حامد، نسخة إلكترونية.
2. اتفاقية رودس بين العرب وإسرائيل 1949، محمد متولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م.
3. الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، حققه: صغير أحمد بن محمد حنيف، مكتبة الفرقان – عجمان، مكتبة مكة الثقافية – رأس الخيمة، الإمارات، الطبعة الثانية: 1990 م.
4. الأحزاب السياسية في سورية القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية، عبد الله حنّا، منشورات إي - كتب، الطبعة الإلكترونية الأولى.
5. الإخوان وأنا؛ من المنشية إلى المنصة، لواء علّام، أخبار اليوم – طبعة خاصة بتصريح من المكتب المصري الحديث.
6. أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، فارس آل شويل الزهراني (أبو جندل الأزدي)، نسخة إلكترونية.
7. الإسلام والديمقراطية، فهمي هويدي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى: 1993 م.
8. الأسئلة والأجوبة الجهادية نسخة إلكترونية عن منبر التوحيد والجهاد.
9. اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي، الدار القومية للطباعة والنشر.
10. أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي، محمد أحمد الراشد، دار المحراب، فان كونر – كندا، زيورج – سويسرا، الطبعة الأولى: 2002 م.
11. الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، جمال إبراهيم المصراتي، جمع: الزبير الغزي، دار المجاهدين للنشر والتوزيع.
12. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى: 1422 هـ – 2001 م.
13. الإنسان الاشتراكي، إسحق دويتشر، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 1981 م.
14. انهيار النموذج السوفيتي، كريس هارمان، ترجمة: خليل كلفت، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى: 2010 .
15. آيات الرحمن في جهاد الأفغان، عبد الله عزّام، المجتمع – جدة، الطبعة الخامسة، 1985 م.
16. أيام من حياتي، زينب الغزالي، نسخة إلكترونية.
17. أيها العرب استيقظوا واحذروا، سيّد قطب، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الثانية: 2004.
18. الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث، فارس آل شويل الزهراني.
19. بداية كمأساة وأخرى كمهزلة، سلافوي جيجك، ترجمة: أماني لازار، طوى للثقافة والنشر والإعلام، لندن، الطبعة الأولى: 2015.

20. البروج المشيَّدة؛ القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر، لورانس رايت، ترجمة: هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي، مصر، الطبعة الثالثة: 2011 م.
21. بلادنا والتميز مقالات نثرية، عبد الرحمن بن صالح العشماوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 2، 2003 م.
22. بيان الدليل على بطلان التحليل، ابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد، المكتب الإسلامي.
23. التاريخ السري لتآمر بريطانيا مع الأصوليين، مارك كورتيس، ترجمة: كمال السيّد، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية: 2014.
24. التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مذكرات علي عشماوي، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية.
25. التبرئة، أيمن الظواهري، السحاب للإنتاج الإعلامي.
26. تجربة الإسلام السياسي، أوليفيه راوا، ترجمة: نصير مروّة،دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 1996 م.
27. تحت وابل النيران في أفغانستان، أحمد منصور، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1992 م.
28. التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1992 م.
29. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: 1989.
30. تفسير الطبري؛ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى: 2001.
31. الجامع الكبير، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1996 م.
32. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2006.
33. الجريدة، الكويت.
34. جماعة المسلمين، محمد سرور زين العابدين، دار الجابية، لندن – بريطانيا، الطبعة الرابعة.
35. جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات، ربيع بن هادي المدخلي، تقديم: صالح الفوزان، دار المنهاج، القاهرة، الطبعة الأولى: 2005.
36. الحرب على الإسلام، مذكرات فاضل هارون (فازول)، راجعه وقدم له: أبو خيبر الأنصاري، مركز دراسات قضايا العالم الإسلامي.
37. حروب الأشباح، السجل الخفي: السي أي إيه، لأفغانستان، وبن لادن، ستيف كول، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان.
38. الحصاد المر، أيمن الظواهري، مركز الفجر للإعلام.
39. الحماقة الكبرى أو حرب المعيز، مصطفى حامد .
40. حول المسألة اليهودية، كارل ماركس، ترجمة: نائلة الصالحي، منشورات الجمل.
41. حياتي، رفسنجاني، ترجمة: دلال عباس، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2005.

42. الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
43. الخطر اليهودي؛ بروكولات حكماء صهيون، تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
44. الخميني؛ الحل الإسلامي والبديل، فتحي عبد العزيز، دار المختار الإسلامي، الطبعة الأولى: 1979 م.
45. خيانة على الطريق، مصطفى حامد.
46. الدب الأسمر؛ اعترافات الحارس الخاص لأسامة بن لادن، شارل فؤاد المصري، دار النهضة – الجيزة، الطبعة الأولى.
47. دروس في العمل الإسلامي، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثالثة: 1983 م.
48. دروس في مسمّى الإيمان، أبو قتادة الفلسطيني.
49. دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أبو مصعب السوري.
50. ديوان العزة، مجموعة قصائد حماسية في الجهاد.
51. ديوان سيّد قطب، جمعه ووثقه وقدم له: عبد الباقي حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة – مصر، الطبعة الأولى: 1989 م.
52. ذكريات عربي أفغاني، أبو جعفر المصري القندهاري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى: 2002 م.
53. رحلة الدم الذي هزم السيف؛ الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، إعداد وتوثيق: رفعت سيّد أحمد، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1997 م.
54. رد على سفر الحوالي وتعليقه على كتاب الشيخ المجاهد عبد الله عزّام "الدفاع عن أرضي المسلمين، سيّد إمام، نسخة إلكترونية عن منبر التوحيد والجهاد.
55. رسالة إلى المنتسب لتنظيم الدولة، إبراهيم السكران.
56. رسائل حسن البنا، نسخة إلكترونية.
57. رقعة الشطرنج الكبرى؛ السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيًا، زبغنيو بريجنسكي، مركز الداراسات العسكرية، الطبعة الثانية، 1999، نسخة إلكترونية.
58. السرطان الأحمر، عبد الله عزّام، مكتبة الأقصى – عمان، الطبعة الأولى: 1980 م.
59. سنن أبي داود، سليمان بن أشعث السجستاني، حققه: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق- الحجاز، 2009.
60. سؤالات ابن الجُنيد ليحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى 1408 هـ – 1988 م .
61. شاهد على الحدث، الطريق الشائك صفحات مطوية من الجهاد الأفغاني، سراج بن سعيد الزهراني، الطبعة الأولى: 2015 م.
62. شبهات تنظيم الدولة الإسلامية وأنصاره والرد عليها، عماد الدين الخيتي، الطبعة الأولى: 2015 م.

63. شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر، سالم البهنساوي، دار الوفاء للطباعة والنشر التوزيع، المنصورة – مصر، الطبعة الثالثة: 1990 م.
64. شخصيات لها عجب، صلاح عيسى، نهضة مصر، 2010.
65. شفاء صدور المؤمنين، رسالة عن بعض معاني الجهاد في عملية تفجير إسلام آباد، أيمن الظواهري، عن منبر التوحيد والجهاد.
66. الشهيد عبد الله عزّام رجل دعوة ومدرسة جهاد، حسني أدهم جرار، دار الضياء، عمان – الأردن.
67. شيخي الذي عرفت، محمود سعيد عزّام، سلسلة إصدارات إبداع، 2012 م.
68. الشيعة في أفغانستان، حسين الفاضلي، دار الصفوة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2006 م.
69. الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن تيمية، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1997.
70. صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى: 1349 هـ – 1930 م.
71. صحيفة العرب، لندن.
72. صراع الحلفاء السعودية والولايات المتحدة منذ 1962، نايف بن حثلين، ترجمة: أحمد مغربي، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2013 م.
73. الصيالم؛ قراءة في تجربة تنظيم الدولة، أبو سليمان الحضرمي.
74. طرق تطور الدول المتحررة، ف. فيودروف، مطبوعات وكالة أنباء نوفوستي، موسكو 1971 م.
75. العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.
76. على خط النار، مذكرات الرئيس الباكستان برويز مشرف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2007.
77. غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، مرعي بن يوسف الكرمي، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: 2007 م.
78. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: 2005 م.
79. فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي والجهاد الأفغاني، صالح الهامي.
80. فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، أيمن الظواهري، عن موقع منبر التوحيد والجهاد، نسخة إلكترونية.
81. فضائح ونصائح، مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين – القاهرة، الطبعة الأولى: 1419 هـ –1999 م.
82. فك الشيفرة الماسونية، إيان جيتينز، ترجمة: غادة حرب، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية – دمشق، الإصدار الأول: 2012 م.
83. فوكو صحافيًا؛ أقوال وكتابات، نقلها إلى العربية: البكاي ولد عبد المالك، جداول للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2012.
84. في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية والثلاثون، 2003 م.

85. قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم، وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز آل حمد، الطبعة الأولى: 2004.

86. لماذا أعدموني، سيّد قطب، نسخة إلكتروني عن موقع التوحيد الخالص.

87. لينين المختارات في 10 مجلدات، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو – الاتحاد السوفييتي، 1978 م.

88. ما بعد المقاربة، أبو قتادة الفلسطيني.

89. مجلة الأنصار – لندن.

90. مجلة البنيان المرصوص.

91. مجلة الجهاد.

92. مجلة المجاهد الصادرة عن جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة.

93. مجلة المجاهدون الصادرة عن الجمعية الإسلامية في أفغانستان.

94. مجلة المجتمع، الكويت.

95. مجلة صوت الجهاد.

96. المختار في حكم الانتحار خوف إفشاء الأسرار، عبد العزيز بن صالح الجربوع، عن منبر التوحيد والجهاد.

97. مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم).

98. المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، سعيد حوى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة: 1984.

99. مذكرات البيت الأبيض، جيمي كارتر، ترجمة: سناء شوقي حرب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: 2013.

100. مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، مكتبة آفاق، الكويت، الطبعة الأولى: 2012 م.

101. مذكرات لينين عن الحروب الأوربية ماضيها وحاضرها، ترجمة: أحمد رفعت، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر، الطبعة الأولى: 2010.

102. مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى: 1999.

103. المستدرك على مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، جمعه: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى: 1418 هـ.

104. المطار 90، مصطفى حامد، نسخة إلكترونية.

105. مع الإمام الشهيد حسن البنا، محمود عساف، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1993.

106. معارك البوابة الصخرية، مصطفى حامد.

107. معالم في الطريق، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة، 1979 م.

108. معركة الإسلام والاشتراكية، سيّد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، 1987.

109. المغني، (أبو محمد) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة: 1997.

110. مقتل جميل الرحمن، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار – صنعاء، الطبعة الثانية: 2000.

111. ملة إبراهيم، أبو محمد المقدسي، منبر التوحيد والجهاد.

112. من خفايا التاريخ؛ مستقاة من تجربة أبي مصعب الزرقاوي، ميسرة الغريب.

113. من داخل الإخوان المسلمين، يوسف ندا مع دوجلاس تومسون، ترجمة: محمد فريد الشيّال، الطبعة الثانية: 2013، نسخة إلكترونية غير مرقمة.

114. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: 1406 هـ – 1986م.

115. الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ضبط نصه وعلق عليه: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخُبر – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1997 م.

116. موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الشهيد عبد الله عزّام، مركز الشهيد عزّام الإعلامي، بيشاور – باكستان، الطبعة الأولى: 1997 م.

117. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، طباعة: ذات السلاسل – الكويت، الطبعة الثانية: 1406 هـ – 1986 م.

118. مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين: 1968 م.

119. المياه كلها بلون الغرق، أميل سيوران، منشورات الجمل، ألمانيا، 2003 م.

120. النبي المسلح (تروتسكي 1879 – 1921)، إسحق دويتشر، ترجمه وقدم له: كميل قيصر داغر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

121. نظرات في الإجماع القطعي، حسن قائد.

122. هذه تجربتي وهذه شهادتي، سعيد حوى، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: 1987.

123. وقفات مع ثمرات الجهاد، أبو محمد المقدسي، منبر التوحيد والتوحيد.

124. ولادة الأفغان العرب – سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزّام، عبد الله أنس، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2002 م.

يوتيوب:

1. أبو قتادة، مناقشة " في ظلال سورة التوبة " للشهيد عبد الله عزّام – مشروع ألف كتاب قبل الممات.

2. أبو قتادة الفلسطيني، مناقشة كتاب: بروتوكولات حكماء صهيون.

3. أرونا بطشكم هيا أرونا وطيشوا، واملؤوا منا السجونا.

4. انظر يوتيوب: تجربة الأخ جمال نجم مع الجهاد الافغاني.

5. برنامج أجرأ كلام، القاهرة والناس، نبيل نعيم.
6. الثامنة / لقاء داود الشريان مع خالد الفراج.
7. جماعة الجماعات للشيخ عبد الله عزّام.
8. جهاد الإخوان في أفغانستان – الجزء الأول.
9. الحرب الباردة، تلفزيون دولة الكويت بلس.
10. خالد مشعل يترحم على الخميني.
11. داوود الشريان مع الشيخ موسى القرني والجهاد الافغاني والعراقي والثناء على ابن لادن.
12. الدكتور فضل منظر الجهاديين في مصر والعالم.
13. رحلتي مع الجهاد، عبد الله أنس، قناة المغربي.
14. الشاشة الحرة 3 | د.حذيفة ابن الشيخ عبدالله عزّام يفضح تنظيم داعش!
15. شاهد على الإخوان – علاقة الإخوان بالأفغان و مشاركتهم في حرب أفغانستان.
16. شهادة الشيخ عدنان العرعور على مرحلة الجهاد الأفغاني.
17. الشيخ الشهيد عبد الله عزّام رحمه الله نحن ارهابيون.
18. الشيخ عبد الله نمر درويش– الإرهاب.
19. الظواهري «بن لادن» كان إخوانيًا ولكن الجماعة طردته.
20. كلام الشيخ الألباني عن عبد الله عزّام وسيّد قطب.
21. لقاء أسامة بن لادن مع الجزيرة 1998.
22. محاضرة مرئية للشيخ عبد الله عزّام رحمه الله سنة 1988 في أمريكا ولاية واشنطون مدينة سياتل.
23. محمد الملا و نبيل نعيم واحداث اغتيال انور السادات وتكوين الجهاد مع الظواهري الجزء الاول 25-07-2016.
24. ولكن كونوا ربانيين، أبو محمد المقدسي.

مواقع إلكترونية:

1. http://alresalah.ps
2. http://arb.majalla.com
3. http://hamas.ps
4. http://iranarab.com
5. http://maqalati.com
6. http://palscholars.com
7. http://www.addiyar.com

8. http://www.alanba.com.kw
9. http://www.alhawali.com
10. http://www.aljazeera.net
11. http://www.al-madina.com
12. http://www.alquds.co.uk
13. http://www.al-vefagh.com
14. http://www.bbc.com/arabic
15. http://www.globalresearch.ca
16. http://www.hurriyatsudan.com
17. http://www.ikhwanonline.com
18. http://www.raialyoum.com
19. http://www.rpcst.com/pass/om-7.htm
20. http://www.youm7.com
21. https://almesryoon.com
22. https://justpaste.it/alqaeda
23. https://kamal-khateb.com
24. https://paltoday.ps/ar
25. https://www.alarabiya.net
26. www.alwatanvoice.com